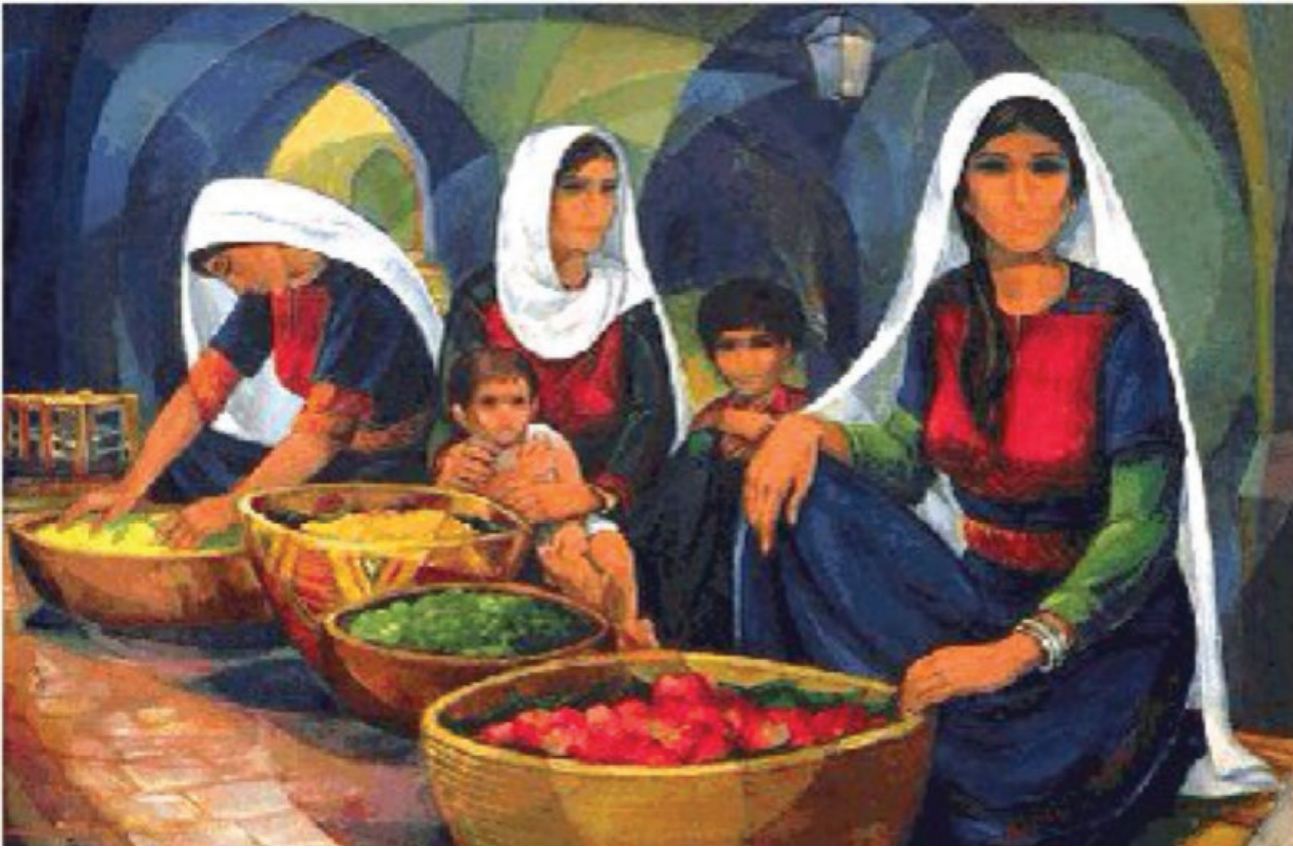


جامعة القدس المفتوحة
عمادة البحث العلمي والدراسات العليا



مختارات من الأغاني الشعبية الفلسطينية (جمع وتقديم)



الأستاذ الدكتور نادي ساري الديك
أستاذ الأدب الحديث ونقده

٢٠١٤م / ١٤٣٥هـ

مختارات من الأغاني الشعبية الفلسطينية

الأستاذ الدكتور نادي ساري الديك



بارودنا موزر عتيق
والي يصيبه ما بضيق
صهيوني زول من الطريق
هذه البلاد بلادنا
خطوا البيارق الجبال
وتبشري يا بلادنا
شباك شيالة الجمال
يوم الشدة بتشوفينا
يا بنت يا اللي ع السطوح
طلي وشوفي حالنا
انتن غواكن شعركن
واحننا غوانا سلاحنا
لا بد من يومن صحيح
نفدي الوطن بارواحننا





جامعة القدس المفتوحة
عمادة البحث العلمي والدراسات العليا

مختارات من الأغاني الشعبية الفلسطينية (جمع وتقديم)

الأستاذ الدكتور نادي ساري الديك

أستاذ الأدب الحديث ونقده

جامعة القدس المفتوحة

رام الله - فلسطين

Dr. Nadi Sari Aldeek

Ramallah

٢٠١٤م / ١٤٣٥هـ

حقوق التأليف والطبع والنشر محفوظة لـ:

جامعة القدس المفتوحة

عمادة البحث العلمي والدراسات العليا

فلسطين - رام الله - المصيون

ص.ب. ١٨٠٤

ت: ٠٢-٢٩٨٤٤٩١ / ٠٢-٢٩٥٢٥٠٨

ف: ٠٢-٢٩٨٤٤٩٢

بريد الكتروني: sprgs@qou.edu

الطبعة الأولى

٢٠١٤م / ١٤٣٥هـ

عنوان المؤلف:

nadishameem@yahoo.com

الخليوي: 00972 599 948612

تصميم:

توب ديزاين

02-2980138

الفهرس

5.....	الاهداء
7.....	الخلاصة
9.....	المقدمة
13.....	التمهيد
21.....	أغاني الحناء
45.....	أغاني الزفاف
77.....	أغاني الطهور (الختان)
85.....	أغاني الأطفال والشباب
119.....	النواح وما ترددده القلوب في الملمات
131.....	أغاني المطر وهموم انحباسه
141.....	أغاني العمل
167.....	أغاني الحماس والثورة
209.....	الخاتمة
211.....	الهوامش
213.....	المصادر والمراجع

الوهراء

إلى من شجا فأطربني، وقصده فألهب مشاعري. (جدي)

إلى من قدس العمل حده العباد، وروى الأرض بعرقه، وغنى
للزيتون حتى الثمالة، وهمس لليمون وقيل سابل القمح بنغمات
تدوم، وأطفأ ظمأ العيون، وهياً المشاعل لغيرنا، ونسج من كل حدت
صوتاً من نغميات العتابا والموال، وعشق الجمال حتى المات. (والدي)

إلى امرأة أضاءت قلوبنا بالإيمان،
وهببت إلى نفوسنا العطاء والسخاء، وصبرت على محن الأقدار بثبات،
والدتي التي كانت تردد دوماً بعبارة مخفية ومخنة:
«لصبر صبور الخشب تحت المناشير وبيش صبرك يا خشب غير التقاديري»

إلى التي تمنحني الدفء ولا تنتظر شيئاً من الوداد،
خليتي التي تظلني بماسم الدهنونة والأنفاس الحري في اللقاء.

إلى ترى الذي جُبلت منه كليات الأجساد، وغدا ينادد الثريا في محاسن
شوقه والعناق، واستوعب النبات كلها دون عناء، ويحتضن الشاردات
مناً ويضمم لنا الجراح، ويساوي بيننا في مواطنه تغز عند النداء.

إليكم جميعاً أحنى قامتي بعد الواعد الديان.

نادي

ملخص:

الفنون الشعبية القولية هي وليدة الفطرة والسليقة (الإنسانيتين)، حيث تظهر براعة (الإنسان) وعفويته في التفاعل مع محيطه والحياة؛ لأنها خرجت من رحم الأمة والشعب. وهي هجين من الثقافة الإبداعية وحياة الناس الطوعية، تخرج إلى الحياة دون تنميق وتعقيد في النمو والأداة، ونراها بعيدة عن الفن المؤدلج أو المسير حسب الطروحات السياسية والعقدية على حد سواء، لذا نجدها صادقة مطوعة تتناقلها الألسن وتحفظها الذاكرة على مر الأيام؛ إذ لم تترك مظهراً من مظاهر الحياة إلا وطرقته وجسدته وجعلته مفعلاً بلا عوائق تذكر، وإن وجدنا حالة من الضمور والاضمحلال تعتري الفنون الشعبية القولية نتيجة لمزاحمة الثقافات المصنعة الوافدة، والحرب المستعرة التي تشن ضدها من الداخل والخارج؛ ما يعني أن هذه الفنون -إن لم تُفعلْ بإيجابية ويدافع عنها- تُصبح في مهب الريح مثلها كمثل الأشياء الأخرى التي تتآكل أو تتلاشى مع صراع الأيام؛ فالتطور التقني والمعرفي -إن لم يسخر لخدمة الثقافة الوطنية بشكل عام والشعبية بشكل خاص- يصبح أداة قاطعة سلبية، يُسخرُ لحرق ما تراكم من معارف وثقافات على مدار الأيام، خاصة أن التقنيات التي نتعامل معها ليست وليدة الفكر الذي نتبناه، والحضارة العربية التي نعيش في كنفها، وإنما مصنعة في بيئات ليس لها مساس بنا ولا بثقافتنا، ما يعني أن الثقافة المصنعة والمعدة إعداداً فكرياً خاصاً هي من تنتعش ولها الصدى في هذه الأيام، وهذا هو المطلوب من ثقافة مصنعة ومصدرة لشعوب مستلبة الإرادة والفاعلية في الحياة المعاصرة، وليس لها حراك يذكر للتأثير في أنماط التفكير الثقافي المحلي، أو الإقليمي أو العالمي، لأن المزاحمة تبقى قائمة ما دامت الحياة، لأن من مظاهر الحياة الطبيعية، الصراع المتجدد بين الانداد دون النظر إلى التكافؤ في المعطيات والدلالات.

المقدمة:

الموروث الغنائي الشعبي ممتد في الحياة، ومتجذر فيها بأزليتها وقيمها، والدوافع التي وجد من أجلها، حيث يعالج أموراً ويحاكيها ويدافع عنها ويفعلها كل حسب المنطلق الذي ينطلق منه صاحب النص والمتلقي على حد سواء. بمعنى؛ ليس هذا التراث المتجدد - إذا جاز التعبير- بعيداً عن الحياة أو غريباً عنها. لذا؛ نجده يتدخل في كل جزئية من جزئيات الحياة، إلا أن هذا التراث قد لا يجد رواجاً عند بعض الدارسين للغة وعلومها وآدابها التي تنطلق من رؤى وفلسفات خاصة، وإن كانت هذه الفنون هي وليدة الفنون الإبداعية الأم، أو هي الابن الهجين للفنون الإبداعية المتعارف عليها، والتحرز منها لا يأتي عفويًا، وإنما يعود إلى التنشئة الثقافية والفكرية الإبداعية لمن انتهل من غدران الأدب والفن وعلوم اللغة المؤصلة، وهذا مرده الهاجس الذي يعتري النفس المتأدبة بالأدب الإنساني الذي بني وفق قاعدة فكرية وإبداعية خاصتين، لا تتماثلان مع قاعدة إبداع الأدب الشعبي، والباحث الذي يسطر هذه السطور واحد من الذين يتوجسون من البحث في ماهية الفنون القولية الشعبية وقيمها، لأسباب متعددة؛ منها ما تربى عليه من ثقافة ومعرفة تنبعان من اللغة الأم وعلومها.

إلا أن ما تكتنزه الذاكرة من أشياء تمت وتجسدت منذ الطفولة المبكرة حتى اكتمال الصبا والشباب، ولم يزل كثير منها عالقاً فيها، دفع الباحث إلى الغوص في الفنون القولية، حتى تتم نجدتها من الضياع، بعد أن أخذت عوامل الضعف تدب في الجسد ويؤثر ذلك على الذاكرة، وهذا مرده إلى عوامل داخلية تمس الذات والروح معاً، وخارجية تمس الجسد وتقنياته أيضاً. بذلك توحدت العوامل الداخلية والخارجية، لإضعاف الذاكرة؛ ما جعل الباحث يستعيد نشاطه تلبية لدعوة المواطنة وتجذراتها في النفس البشرية. والوطن العربي.. لذا بدأت بالتعامل مع النصوص تعاملًا يعتمد على الجنس والدافعية، بمعنى؛ جمعت الفنون القولية حسب موضوعاتها والمناسبة التي قيلت فيها، فكانت الأغاني الخاصة بالطفولة والصبا والشباب والأعراس والختان، وغير ذلك من الموضوعات الأخرى، التي تلازم الإنسان في حياته، أو يصنعها في الحياة بشكل عام.

وقد اعتمد الباحث منهجية الجمع والترتيب أكثر من التحليل؛ لأن جمع النصوص في مثل هذه المرحلة أولى من تحليلها، لأن جل الذين تغنوا بالنصوص المجموعة فارقوا الحياة إلى ربهم، وقيمت محفوظة في ذاكرتي، لذا ارتأيت أن أجمعها، تكريماً لوالدي وجددي، والمحيط الضيق الذي تلقفت من أفواههم الأغاني والمواويل الشعبية لكلا الجنسين (النساء والرجال)، على حد سواء، لأنني كنت أسمع إلى النساء في المواسم المتعددة، علماً أن الباحث اعتمد على ما تختزنه الذاكرة من نصوص قولية مغناة وما اسعفه به بعض

العارفين في هذه الفنون، لأن المشورة اضفت الرجاحة على بعض المفردات في النطق، او احلال كلمة مكان الاخرى، لأن النصوص المدونة في هذا البحث وغيرها تغنى بها أهلها ومروجوها لحقب متتالية من الزمن، وكان لتلك النصوص وقعها وصدائها وأثرها النفسي والبيئي والزماني، حتى أننا نستطيع أن نخرّج منها قيماً تربوية وفكرية هادفة أكثر بكثير من النصوص التي يعتد بها الآن أو ما يسمى بالأدب الرفيع.

فما نراه من نصوص ابداعية متنوعة في الفنون القولية الشعبية لم يأت من فراغ، وانما جاءت به السليقة السليمة والذائقة الفردية أو الجمعية على حد سواء، حتى تتضح الفكرة والفلسفة المرادتان دون مراوغة أو عناء.

وبعد أن دونت ما علق بالذاكرة على مراحلها العمرية المختلفة، وتمت عملية التقسيم والتبويب، عمدنا إلى الرجوع إلى بعض المصادر والمراجع التي تعين الباحث في هذا المضمار، فكانت أن حققت المراد، أو تسعف الذاكرة من أجل التذكر الايجابي لنصوص قد غابت أو كاد الزمن أن يخفيها. إلا أن هذه الدراسات أعانت الباحث عوناً نافعا، بل وأضافت إلى المخزون بعضاً من نصوص مشابهة أو مكملة للموضوع المستطرق، عندها قسمت الدراسة إلى مباحث فرعية، يتقدمها تمهيد يعرف بالفنون القولية الشعبية ومدى التفاعل معها، وكيف تحاول كثير من المؤسسات المصنعة للثقافة والمصدرة لها أن تमित تلك الفنون أو تحييدها وتهمش علاقة المجتمع معها، حتى تتم عملية الاحلال الممنهج لثقافات وافدة مؤدلجة تساعد على افساد الذوق، وتفتيت أو اصر اللقيا بين الاجيال القائمة والفنون التي ولدت من هموم ومعاناة وقيم الأجيال السابقة، وكُرست قيماً فاعلة يحاول الناس التفاعل معها وتنميتها تنمية هادفة.

مثل ذلك يعني جعل المجتمع بأجياله المختلفة عرضة للثقافة المصنعة والمؤدلجة حسب مصنعيها ومصدريها، لذا تكون الثقافة المصنعة هادفة إلى تدمير القيم الانسانية في المجتمعات المستوردة لهذه الثقافات المدعومة من المؤسسات الاقتصادية المسيطرة على النظم المجتمعية في العالم المحتكر لرأس المال ومقومات الحياة معاً.

وهذا ما يسمى اليوم بـ «العولة الكلية»، أي السيطرة الكاملة على مناحي الحياة وقيمتها وثقافتها إن شئنا أو أبينا، لذا لا بد من نهضة شمولية لتفعيل دور الثقافات الوطنية والشعبية على وجه الخصوص، وألا تبقى الشعوب عرضة للاستلاب والتبعية والموالاتة إلى ما يشاء الله.

لذا؛ من يتمعن في الثقافة الشعبية الوطنية في فلسطين يجدها نابغة من صميم البنية الفكرية للشعب على مدار عقود من الزمن، وقد جسدت كثيراً من الامور الايجابية من عادات وتقاليد وقيم لدى الناس وحافظت عليها، ومن اليسير التمعن فيها واطهارها في الحياة بالشكل الايجابي والمفضل وهي نابغة من مضامين الشعب والأمة التي تحتضن

الشعب وينتمي إليها، وترينا مدى الخصوبة في النتائج وتنوعه على حد سواء.؛ فتكون الإبداعات الشعبية إشراقاً إيجابية في حياة الناس، نابعة من الناس وتعود إلى الناس بشرائهم المختلفة؛ لأنها لا تخاطب شريحة دون أخرى، أو لا تمايز أحداً عن غيره، وإنما تلد من رحم الأمة، وتسري في عقول أبنائها ونفوسهم.

وبعد الإفادة من الذاكرة ومعطياتها (لأن جلّ النصوص القولية المدونة بين دفتي هذه الدراسة هي من خزين الذاكرة للباحث أو بعض الذين استعان بهم لنجدة الذاكرة نفسها من هموم الضياع) وما جمعه الباحثون والدارسون من أشياء مثيلة تسند الفكرة المبحوث عنها، لذا جاءت أسطر البحث، وقد جسدت أشياء عمرها سنين طويلة، بعد عناء من البحث والاستدلال والاستقراء، وجاءت الخاتمة وقائمة المصادر والمراجع التي أعانت الباحث حتى تظهر الدراسة في النور تتوشى بعيون الأمل القادم.

والله ولي التوفيق

نادي

التمهيد:

الثقافة الشعبية هي حصيلة التراكم الحضاري والمعرفي والإنساني لدى بيئة معينة تركتها الأجيال السابقة وتحاول الأجيال القائمة الحفاظ عليها، والأخذ بناصيتها وانمائها وتطويرها حتى يسهل التعاون معها، والاستمرارية التي توصل إلى حتمية مفادها أن ما صنعه الأجداد، أو ما تركته الأجيال السابقة يشكل رافعة من روافع النهضة الثقافية الشمولية، إن كنا نسعى إلى ذلك، أو نراها تتباعد عنا كل حسب تطلعاته ومنطلقاته والقيم التي يبحث عنها.

فإذا كانت نوايا الأجيال القائمة البحث في ماهية الثقافة الشعبية والأخذ بها، وإنماءها والبحث عن مقومات عطائها، نجدتها غدت طبيعة لينة سهلة التناول، ونراها تتناقل عبر الأفواه معبأة بالفكرة التي يطمح القائمون عليها أن يبقوها أو يفعلوها، والأ نرى المسألة عكسية، ويظهر للعيان أكثر من معنى ودلالة كل حسب طموحه وقيمه.

فالثقافة الشعبية منهل متعدد المشارب والروافد، تنمو كلما ازدادت حالات العناية بها.. وكلما غدت معلماً من معالم النمو الفكري والتطور الحضاري والإنساني نجد حالات النمو والنهوض بها تزدهر ازدهاراً فاعلاً ومفعلاً في الحياة المعاصرة، فحالات التعبير الشعبي متعددة، منها القولية والحركية والإبداعية الفنية والفكرية والملابس والطعام وغير ذلك، فالتعبير القولي الشعبي موغل في القدم، لا يعرف قائل محدد له، وأن يعرف فسرعان ما يصبح جزءاً من مكونات الإرث الشعبي أو المقولات الشعبية، التي لا يعرف قائلها أو يتناسى الناس المتلقون حقيقة القائل حتى يُعطى القول صبغة المجموع أو الصبغة الشعبية الهادفة؛ لأن النص - إن نسب إلى ثقافة جمعية شعبية كان أم غير شعبية، - يأخذ بعداً نفسياً تأصيلياً يزداد عمقاً كلما تجذر في الزمان والمكان، أكثر من كونه منسوباً إلى فرد بعينه؛ لأن سمة الجماعة تتجذر كثيراً بعمق يزداد مع استمرارية الحياة.

فالأغنية الشعبية لها نسق خاص في عملية تأصيل القيم والثوابت في نفوس الناس والشرائح المستهدفة من ذلك، لذا لا بد من السعي لتأصيل هذا اللون من الفن القولي حتى يدعم عملية البناء الفكري والثقافي والقيمي لدى مجتمع يسعى إلى النهوض بنفسه، كي يحافظ على كثير من الدلالات والرموز التي يحاول الزمن طمسها، إن كان ذلك قصداً أو عن غير قصد، لأن الأغنية الشعبية «تؤدي دوراً حاسماً في بناء الشخصية الأصلية، وتسهم في خلق تنشئته الاجتماعية، بخاصة لدى الأطفال تراهن على سلامة مقوماتنا التراثية... وتسهم في التعريف بالتاريخ الشفاهي للأمة في حال نسيانه من الذاكرة الشعبية بفعل تطور الزمن وتعاقب الأجيال»⁽¹⁾.

ونظن أن الأغنية الشعبية لها أهمية قصوى في نفوس الناس، لما تحمله من قيم وثوابت، وما تقومُ به من مواكبة الحياة بأنماطها المختلفة كي تدل على مدى أصالتها وتغلغلها في نفوس أبناء المجتمع بأنماطه المختلفة؛ فهي تغرس الحس الإنساني لدى المتلقين من خلال تجسيد قيم التراث وثوابته منذ اللحظة الأولى من ميلاد الإنسان حتى متتاليات حياته، إذ تكمل عند مفارقه الروح الجسد، وتبدأ الدورة من جديد مع طلوع شمس يوم جديد في انبعاث الحياة في جينات وليدة أخرى، فمنذ شعور الأسرة بعلامات الحمل حتى لحظة الميلاد، والناس يتحسسون الأمل القادم، فتبدأ عملية خلق العلاقة بين القادم ومقومات الحياة، فنجد همسات الحنين للمولود القادم، ونجد بعض الأهازيج الشعبية ترفع من شأن المرأة التي تحمل في أحشائها مولوداً جديداً، ونجد أقوالاً أخرى تتناغم مع بدء عملية الولادة وخروج المولود إلى الحياة، ومن ثم تبدأ عملية التواصل مع المولود وغرس القيم الشعبية في نفسه، ونلاحظ الأقوال والمواويل والأغاني التي تُحكي للأطفال وهم يرضعون من صدور أمهاتهم، أو وهم يتعانقون مع الحياة وأمهاتهم توسدهم في المهده، وما إلى غير ذلك من مساهمات لم تنزل تدل على مفاهيم خاصة.

فالأغنية الشعبية التي تقال من أجل الأطفال، نجدها عفوية خالصة، ليس لها أسس منهجية كما هي حالات البناء الفني الأخرى التي تصاحب ميلاد الأجناس الأدبية من قصة ورواية ومسرحيات وقصائد شعرية تحمل هموم وأفكار وقيم مبدعيها، أي أن عملية التخطيط المسبق لا نجدها عندما تبدأ الأغنية الشعبية بالولادة؛ لأنها تحتكم إلى الفطرة والسليقة وال عفوية، وانطلاقة الوجدان الذي لا تحده منطلقات أو تدفعه أفكار، وإنما هي الدافعية الفطرية الملازمة لسجية الإنسان معبرة عن خلجاته وهمومه الصادقة، بال عفوية المعهودة لدى الانسان السوي الذي لا تحركه الأيديولوجيا، وإنما تحركه عفوية الخاطر ومصداقية الشعور.

فما يقدم للأطفال عبر الأغنية الشعبية يرينا العمق في مصداقية الحس الشعبي، والمكانة التي يتبوّأها في بنية التسلسل الثقافي والإرادة الاجتماعية؛ لأن هذا الفن لا يكون حكرًا على فئة اجتماعية دون أخرى، أو بمعنى أشمل لا يخصص للصفوة من المتفوقين أو المبرزين في الحياة، وإنما هو نابع من ضمير الشعب يخاطب الشريحة المستهدفة بكاملها، أي حيث إن الأطفال -مثلاً - هم المستهدفون نجد الإبداع الشعبي يخاطب الأطفال جميعهم، دون تمييز أو تمييز، لذا نجد البساطة في البناء والمصداقية في القول والأداء من مكملات النصوص الشعبية التي تولد من دون عوائق تذكر بين الأغنية الشعبية والطفولة وباقي أفراد المجتمع؛ فهي ميسورة التداول والتواصل على الرغم من تعقيدات الحياة من حول أبنائها، وهذا الأمر يسهل عملية التواصل حتى تستكمل حلقات البناء النفسي والفني والجسدي والروحي لدى لأطفال الذين هم عنوان البساطة والسهولة واليسر في التداول والتناغم مع الأشياء من محيطهم.

فعملية التجاذب والتواصل قائمة حتماً بين الأطفال وما يسمعونه من أغنيات وأقوال مموسة؛ لأن الجرس الإيقاعي يؤثر كثيراً في نفسية الطفل، ويساعد على تنمية الشخصية، والقدرة على التحسس الجمالي مع تجسيد الميول الفكرية والتربوية التي تنهض بالإنسان، وتجعله يتواصل بمحبة وشوق فاعلين مع محيطه، لأن الفطرة السوية تساعد على التقبل الإيجابي للحس الموسيقي، وتجعل منه دافعاً حقيقياً في النهوض التربوي والنفسي والأخلاقي والقيمي لدى الأطفال المستهدفين من قبل بناء الفن وصانعيه.

فقابلية الاطفال للنص الموسق يؤكد أهمية الموسيقا في بناء الشخصية، وخلق الدافعية في تلقي الأفكار الجديدة، والممارسات الإيجابية المنوي غرسها لديهم، كذلك يجعل حالات الترفيه والمرح متلازمين، وتنميان الطاقات الابداعية، وتصبح تلك الأشياء من مقومات الطفل وبنائه النفسي والفكري والقيمي؛ لأن ما يكتسبه الطفل في مراحل حياته الأولى من سلبيات وإيجابيات يبقى مكتنزاً في الذاكرة، وتسعى المخيلة إلى تفعيله في أنماط الحياة المتتابعة فيما بعد.

فمن يتابع يجد أن الأغنية الشعبية المعدة للأطفال تحمل أفكاراً تربوية ووجدانية، تساهم في خلق الدافعية لديهم في تخطي الصعوبات، وتنمية المهارات والمدرجات، وتفعيل المبادرات، وتنمية حالات التكوين الإبداعية والمضامين التعليمية والتعلمية المرسله إليهم عبر النص الإيقاعي أو الصوت النغمي، الذي يصبح -فيما بعد- أداة فاعلة في صد العوالم الوافده من ثقافات مدمرة، يسعى مروجوها إلى خلق حالة من التزامن الاندفاعي لتفتيت الروابط بين النشاء الطفولي، والمحيط، والموروث المفضل في خلق الشخصية وتنمية المهارات الايجابية؛ لأن الثقافة الشعبية بشكل عام، والمعدة للأطفال بشكل خاص، أخذت حيزاً كبيراً من العناية والاهتمام من قبل الدارسين والمتخصصين؛ حتى يجعلوها أداة طيعة يستخدمونها حسب رغباتهم وميولاتهم، فإن كانت النوايا ايجابية تصبح كذلك، والا تغدو سلبية مؤكدة؛ فلا مناص حين ذلك من مقاوماتها والدفاع عن المثل في بنية المجتمع؛ فالاهتمام الشديد «بالثقافات الشعبية ينتمي إلى عملية أوسع تنتقل فيها تقنيات وأجناس وأعمال الثقافات الشعبية وتتفاعل عبر الحدود الثقافية والقومية على نحو متزايد، وقد يكون من المغري أن نسمي هذه العملية الأوسع بالعوامة»^(٢).

فالعوامة تسعى إلى السيطرة الثقافية إلى جانب سيطرة الموارد الأخرى؛ لأن الثقافة هنا تصنع ولا تنتج، وتحاول إضعاف الثقافة الوطنية، وما تحقق من نجاحات شعبية في خلق جيل من الثقافة الوطنية الناجحة والمهادفة إلى التحصن من الوافد المدمر، وهذا ما نلمسه في خلق مسلسلات وأدبيات التسلية من قبل شركات الاحتكار والتمويل السلبي للبنية الثقافية، لأن التقنية المصنعة تهدف دائماً إلى الاستحواذ الشامل على مقومات الحياة. وهذا ما نلمسه في صناعة الدراما الثقافية المعدة للشاشة الصغيرة (التلفاز)؛

لأن التلفاز جهاز ساحر وجذاب، ومن السهل أن يسيطر على المشاهدين والمتابعين، ولكي نفهم شروط وجود العولمة الثقافية، فإننا نحتاج لأن نقوم بالتفاته أوسع صوب اقتصاديات صناعة التسلية، والواقع أن الحقيقة الحاسمة في الأسواق الثقافية المعاصرة هي الدرجة التي يهيمن بها جهاز واحد عليها. هو جهاز التلفاز. ففي الولايات المتحدة، تضي الأسرة العادية (٢٥٠٠) ساعة سنوياً أمام التلفزيون، وتنفق أقل من ١٠٪ من هذا الوقت في متابعة الأنشطة الثقافية الترويحية الأخرى»^(٣)، وهذا يؤكد أهمية إدخال التقنية في ذلك.

إذاً؛ نجد كثيراً من النصوص الشعبية غدت مادة إعلامية تستقطب المشاهدين، وتغرس في نفوسهم قيماً مبحثاً عنها، فكلما اتسعت أوقات الفراغ في حياة الشعوب والأفراد نجد الحاجة إلى صناعة التسلية، لذا لا يمكن أن تبقى الأمم المغلوبة أو الفقيرة التي لا تستطيع تحويل تراثها أو أفكار أبنائها إلى مادة للتسلية، بل مادة ترفيحية، من هنا تدخل الثقافة المصنعة الحاملة للأفكار التي يخطط لها، من أجل الوصول إلى الأهداف السياسية والاقتصادية؛ ما يجعل الأمم تغرق في ثقافات مستوردة مصنعة معبأة بقيم دخيلة وعادات متعددة، بعيدة كل البعد عن أفكار الشعوب المستوردة لتلك الثقافات المستوردة، وهنا قد يصعب قراءة المراد، أو قد يقرأ المرء هذه المواد دون دراية حقيقية؛ لأن «الشعبي الكوني يضعف قدرة الأكاديميين على الوصول إلى أحكام سياسية على النتائج الثقافي، فالعولمة الثقافية قبل كل شيء تتمازج مع العولمة الاقتصادية والمالية، وكل منها يعمل لصالح أو ضد بعض الجماعات المحرومة في سائر أنحاء العالم، وتعمل العولمة- أيضاً في كل المجالات- على توسيع نطاق أسواق أوقات الفراغ التي لا يمكنها أن تثبت قيمتها الذاتية»^(٤) لأن القوي المتمكن من أدواته والقادر على امتلاك زمام الصناعات الثقافية وتحويلها هو من يسيطر على أفكار الناس وقيمتها ويوجهها حسبما يرغب، لأنه يستطيع قراءة الواقع السياسي أكثر من غيره الذين لا يستطيعون مقاومة الوافد، أو قراءة الهدف من الوافد، وإن استطاع أحدهم وتفرد بقراءة المخفي والمستور الموارى بين السطور، ولا يمتلك مقومات الرفض والدفاع عن فكرته وثقافته وطموحاته، تبقى المسألة عالقة وتسير الأمور إلى السلبية أكثر منها إلى الإيجابية، وتظهر المظهرية القوية للثقافة الوافدة، إن كانت شعبية معدة لذلك أم ثقافة معبأة بالفكرة والقيم التسلطية والسيطرة الاحتكارية، عندها تغيب موارد الثقافة المحلية، وتمحى سمات ودعائمها الثقافة الشعبية، أيضاً؛ لأن ما أقدمت عليه المؤسسات المصنعة للثقافة لا تستطيع مقومات الواقع صدها لدى الأمم والشعوب المستغلبة التي لا تستطيع تفعيل إرثها الثقافي والانساني ليكون سداً منيعاً وحصناً مانعاً لهبات الرياح الصفراء المعبأة بنظم وأفكار هدامة، تغدو الشعوب من خلالها مستلبة الإرادة، ومفككة التكوين وهزيلة في آليات الدفاع، ولا تمتلك مقومات البناء مع وجود الخميرة في النفوس. إلا أن الهجمات أعتى ما يتصوره المتلقون للثقافات الوافدة، إن كانت تسلوية أم علمية وأدبية معدة لما يصبو إليه أهل الصناعات والثقافات المصنعة، ورأس المال المسيطر. وعندما يتأكد ذلك تغيب الثقافة كعنصر مواجهة أو أحد ركائز الرهان في

المواجهة، وهذا يجعل عناصر المواجهة متحفزة، ما دامت الهزيمة تتجدد في عملية الصراع مع المحتلين والمستوطنين، (إذ ليس المطلوب الدفاع عن ثقافة محددة، بل المطلوب ثقافة تساعد الانسان في الدفاع عن ذاته، وتجدد المواجهة والهزيمة يفرض على الثقافة هذه أن تجدد ذاتها، والأصبحت عنصراً موازياً للصراع لا عنصراً عاملاً فيه. بهذا المعنى، فإن الثقافة الوطنية تساوي سيرورة تشكلها المفتوحة في ثقافة تتكون وليست متكونة) .^(٥) لأن الثقافة الوطنية بشكل عام، والشعبية بشكل خاص، يجب أن تتعامل مع الموضوعية في المعرفة والتاريخ، ويجب أن تميز بين اختلاف الثقافات وصراع الثقافات؛ لأن الاختلاف سمة انسانية بينما الصراع سمة عدوانية.

وبما أن فلسطين أرضاً وشعباً وثقافة وتاريخاً تقبع تحت نير العدوان المتواصل منذ أكثر من مئة عام، نجد الثقافة الشعبية فيها عرضة للتغريب والتهويد والطمس والاضمحلال، لأن الثقافة بشكل عام مؤسس لطمسها ومحاربة نظمها، وبالذات بعد قيام، أو الإعلان عن قيام دولة الاحتلال والاستيطان الصهيونيين، لذا بدأت عملية التغريب تسير على وتيرة مدروسة، ومنهجية واضحة لمن يستتبعها أو لا يستتبعها، فليست الأمور والثقافات النابعة من روحية المجتمع وقيمه حتى تسود إحداها على الأخرى؛ لأن القيم والثقافات المصنعة، مدعومة من أصحاب رأس المال المتنفذ والمسيطر على تقاليد الحياة ومنطلقاتها، حتى تسهل السيطرة على ما يتوارثه الشعب من ثقافات، وما تحمله من دلالات، من أجل تسهيل عملية السيطرة على مقدرات الشعب المغلوب على أمره، والمضيغ في مقدراته.

وهذا يؤكد أن الثقافة بشكل عام والشعبية بشكل خاص، لا تولد من فراغ، وإنما نجدها مترابطة بالأنساق الاجتماعية، والنظم والعلاقات المتداولة في المجتمع، فهي في حالة مستمرة في خلق العلاقات والاحتكاك مع المحيط الضيق والأرحب فيما بعد، فنجد الصلات القوية أحياناً والعادية أحياناً أخرى مع محيطها الثقافي والمعرفي، فهي أي؛ الثقافة تتعرض «في الوقت الراهن والثقافات المختلفة لعوامل التأثير والتغيير والتبديل ونسخ الملامح الأساسية الناجمة عن ازدياد الاتصال والتبادل الذي أحدثته الثورة الالكترونية الحديثة، وما ترتب عليها من تدفق المعلومات، واختفاء التواصل بين الشعوب والمجتمعات والثقافات. وبالتالي هيمنة الثقافات التي تملك من وسائل الانتشار التي تساعد على السيطرة على الثقافات التي لا تمتلك القدرة على التصدي لهذه المؤثرات الخارجية، فضلاً عن مناوئتها، وإبطال فاعليتها والاحتفاظ بالتالي بهذه الملامح والمقومات الأصلية التي تميزها عن غيرها من الثقافات» فهي أي الثقافة (تتعرض في الوقت الراهن والثقافات المختلفة لعوامل التأثير والتأثر والتغيير والتبديل ومسح الملامح الأساسية الناجمة عن ازدياد الاتصال والتبادل الذي أحدثته الثورة الالكترونية الحديثة، وما ترتب عليها من تدفق المعلومات، واختفاء التواصل بين الشعوب والمجتمعات والثقافات، وبالتالي هيمنة الثقافات التي تملك من وسائل الانتشار التي تساعد على الثقافات التي لا تمتلك القدرة

على التصدي لهذه المؤثرات الخارجية، فضلا عن مناوئاتها وابطال فاعليتها والاحتفاظ بالتالي بهذه الملامح والمقومات الاصلية التي تميزها عن غيرها من الثقافات) (٦) فهي (اي الثقافة) تشكل رؤية تنصهر فيها عمليات الحياة المختلفة؛ ما يجعل نموها وتطورها ينعكس على الحياة ايجاباً، وألا تكون السلبية هي الفاعل.

فما تفرزه الحياة من نظم صالحة، يرينا أنّ العلاقة مستمرة بين الانسان ومحيطه، وبين ما يأتي إلى محيطه الضيق من أشياء تصله من المحيط الكوني الأرحب، فهذا يعني أن البحث هنا يتم عن خلق عملية التواصل بين شريكين، هما الانسان والمحيط الكوني الذي يتعامل معه، فما ينتج من أشياء نتيجة لتلك العلاقة من علوم ومعرفة ومنجزات ثقافية، ما هو إلا تماثل للعلاقة القائمة بين الانسان ومحيطه، ما يجعل تلك المنجزات من الارث الانساني (العالمي)؛ لأنها توضع في أطر محددة يسهل التعامل معها من قبل الأفراد والجماعات، ما يعني تنمية الفكر الانساني بما يصنعه الانسان نفسه، فتكون تلك الانتاجات قد غدت في خدمة الناس إلا إذا حرفت عن مسارها القيمي والاخلاقي، وبدأ الإنسان يعاملها معاملة الحكر من أجل السيطرة والتضييق على الانسان الآخر، فإن لم يجبرها الانسان لخدمة أفكاره الهدامة أو التسلطية، تبقى النتاجات الإنسانية شائعة في حياة الشعوب؛ لأنها من صنع الانسان السوي ونتاجه، يسخرها لخدمة الناس جميعاً دون تمييز وتمايز، خدمة للفكرة الأسمى في الحياة (الانسانية)؛ لأن الانسانية تشكل الرابط الأسمى بين أبناء البشر، فكما يقول الإمام علي كرم الله وجهه: «الناس إما إخوانكم في الدين أو شركاؤكم في الانسانية».

فما ينتجه المرء من عادات وتقاليد وقيم ومنجزات يرينا حالات التجلي في الفكر الانساني؛ لأنها تشكل أرقى درجات التفاعل حتى تتجلى في فكرتها الانسانية، أو توجهها الانساني المبحوث عنه، كل ذلك يسمى التراث الانساني «الذي يرسم خصوصية الشعوب. وتقاس به أصالة وعراقة الأمم، بمدى إبرازه لأوجه التمايز بينها». (٧)

فالانسان بفطرته ميال إلى خلق حالة من العلاقة المتوازنة بينه وبين بيئته والطبيعة الكونية بشكل عام، لذا نجد الإنسان وقد بدأ يظهر حالات الجمال التي يستنبطها من بيئته ومحيطه، فالانسان العربي بفطرته ميال إلى خلق الخصوصية مع محيطه لتجسيد حالات الجمال المخفي، أو الذي لا يستطيع أحد أن يتلمسه إلا من بعد أن يتمحصه الانسان المبدع أو المظهر له، وهذا يسهل حالات التواصل بين الناس؛ فعندما ينظر الانسان إلى محيطه نظرة متأنية مستنبطة يستطيع أن يحول كثيراً من الأشياء إلى ظاهرة جمالية تساعد على التلذذ في الحياة وتجسيد لذتها.

فمن يتتبع الفنون القولية الشعبية في المجتمع العربي الفلسطيني، يجدها زاخرة كما ونوعاً وقد أظهرت الحياة بألوانها المختلفة، حيث نستطيع من خلالها إدراك الخصوصية لكل بقعة جغرافية في جغرافية فلسطين التاريخية لا السياسية!٩

الموروث القولي الشعبي لدى المجتمع العربي الفلسطيني يرينا القواسم المشتركة بين أبناء المجتمع الواحد، والبيئات المتعددة في بيئة واحدة، حيث ترسم تلك الفنون الطبيعية الخاصة أو التمايز في العلاقات الاجتماعية المستنبطة من خلال النصوص القولية أو التي تكشف عنها النصوص القولية التي تعبر عن مزاج الجماعة وميولها وعبقريتها في التواصل مع الحياة من خلال نظم بسيطة مستنبطة عن هموم الفرد، وإن كانت تلك الفنون من صنع الأفراد، فهي التي «تنتقل من شخص لآخر عن طريق الذاكرة أو الممارسة، أكثر من حفظها عن طريق السجل المدون».^(٨)

فالغناء الشعبي في المجتمع العربي الفلسطيني تشكل أحد مقومات الهوية الوطنية الممتدة في الهوية القومية للفلسطينيين؛ ما يرينا تراثاً متراكماً في النوع والكم، يظهر حالات التقارب المعرفي والهاجس المعيشي للناس، وإن وجدت المنتناقضات في حياة الناس، إلا أن الهاجس الغنائي الموروث يبقى حاملاً لمعالم الحياة التي عاشها الناس في لحظة ميلاد الفنون الشعبية القولية التي تجسد ملامح التقارب والتلاقي بين الناس في مشاعرهم وهواجسهم وطموحاتهم وقيمهم المهدة من قبل المحتلين على مدار التاريخ المكتوب، وهذا يرينا أن ما تداولته الذاكرة الفلسطينية من فنون قولية هو بمثابة «نتاج خبرة، أو تجربة تلك الجماعات»^(٩) التي لم تزل تحافظ على إرثها وإن هدته أيدي المنون العبثي المتمثل في الاحتمالات المتعاقبة والاستيطان المتجدد بأنماطه المختلفة؛ لأن كثيراً من أنماط الحياة في المجتمع العربي الفلسطيني بدأت تتبدل أو تتلاشى أو تضمحل، أو بدأت بعض أركانه تتساقط من ذاكرة الأجيال القائمة، لأن ماتناقلته الذاكرة الوطنية الجمعية لم يعد مفعلاً بأنماطه المختلفة في الحياة القائمة.

فما توارثته الأجيال الفلسطينية من غنائيات شعبية يهدف إلى تجسيد تناقضات الحياة الانسانية، حتى ترسو القيم الايجابية الهادفة التي تستخلصها من خلال الفنون القولية، وهذا يرينا الأطر الثقافية والحضارية للشعب العربي الفلسطيني في الأمكنة والأزمنة التي جاءت منها وعنها، فلا نجد قولاً إلا ولصاحبه فكرة يهدف إلى توصيلها، والانتصار للحياة الايجابية ونبذ الفوارق أو حالات الاضطهاد والخوف؛ فالغنائيات ترينا صورة مرئية لحياة الشعب في بيئته التي يعيش فيها، وترينا العادات والتقاليد الممارسة في حياة الناس، وترسم لنا أبدية العلاقة بين الانسان ومحيطه وتجسيد هذه العلاقة بكل ما تعنيه من دلالات، وإظهار الحكمة واللوعة وقسمات النظم والمعايير الأخلاقية؛ فهي بالتالي جزء مهم «من ملامح الشعب، وقسماته وأسلوب عيشه، ومعتقده، ومعاييره الاخلاقية».^(١٠)

وهذا يعني- إلى حد بعيد- أن الموروث القولي يسهم في صياغة الهوية الوطنية وعمقها القومي للذات العربية الفلسطينية؛ لأن الموروث يشكل أحد ركائز التحديات التي تواجهها الأمة، والفلسطينيون هم رأس الطعم في جسد هذه الأمة، لذا نجد حالات التواصل لطمس هوية التراث وكيونته من خلال الحرب المستعرة بأوجهها المختلفة، حتى يقال

إن الشعب العربي الفلسطيني لا جذور له، ولا تراث ولا حضارة؛ ما يعني سهولة السيطرة على مقدراته، وطمس هويته الوطنية، وحرمانه من الامتداد القومي الطبيعي؛ لأن كثيراً من النصوص القولية الغنائية في فلسطين، متقاربة أو متشابهة أو متطابقة إلى حد ما مع النصوص القولية الغنائية مع محيطها العربي، وبالذات لبنان والأردن وسوريا وأطراف مصر والعراق، وهذا يرينا خصوصية الغناء الشعبي في تفاعله مع ما يدور حوله من أحداث محاولاً إرساء بعض القيم والسلوكيات والأفكار التي غدت جزءاً من الثقافة الوطنية الفلسطينية، لأن للفن الشعبي بصمته وخصوصيته وتمايز شخصيته التي ترفده «بحصانة ومناعة ضد الطمس والإلغاء»⁽¹¹⁾ وهذا يدل على أن الثقافة القولية الشعبية تعبر عن خبرة الفرد والجماعة في مواجهة المواقف المتعددة والمتنوعة.

فحياة الناس متعددة الأوجه، وهذا يؤدي إلى تعدد الأصوات المعبرة عنها، فكل صوت له خصوصية المدى التي يتجاوب فيه، وبما أن فلسطين تقع في جغرافية متعددة المناخات، نجد هناك مناخات أدبية قولية وغير قولية تتعدد هي الأخرى، فنجد البيئة الصحراوية في الجنوب، والساحل البحري في الغرب، والمنطقة الجبلية في الوسط والشمال والغور الذي يشكل امتداداً للحضارة، والانهدام الآسيوي، ويأتي رأسياً من الشمال إلى الجنوب حيث يقع شرق فلسطين، أي بين الأردن وفلسطين، هذه التنوعات جعلت التنوعات الفنية والابداعية الشعبية متنوعة مثل الأزجال والحداث والعتابا والميجنا والمهااة والشوباش والترويدة وغيرها من المسميات التي عرفت عند المجتمع العربي الفلسطيني، حيث إننا نؤكد أن ما تركه الأجداد من فنون قولية شعبية يفوق ما يتصوره كثير من الناس غير المعنيين بالموضوع لأسباب متعددة.

لذا نجد الأغاني تتوزع بمسمياتها حسب مقتضى الحال، فنجد أغاني إعلان الخطوبة وتوابعها من مسميات من حناء، وزفاف وغيرها، إلى فنون تقال عند الولادة، والعلاقة مع الأطفال، وختانهم، ومراحل المراهقة والشباب وحتى الموت، نجد ما يتناسب ووقعه في النفوس من أقوال تحمل في طياتها عذابات النفس وأثر الفراق السرمدى.

بذلك تكون الفنون القولية الشعبية في فلسطين، أحد ملامح التدرج في السلم الحضاري للاستجابة الفعالة في خلق عملية التحدي الذي يتجسد لإبطال العلم المزعوم والتزوير المفضل في التراث والتاريخ ونسبتهما لليهود والصهيونية، لذا نرى أن الثقافة الشعبية القولية في فلسطين هي أحد مكونات الهوية الوطنية القومية الممتدة في الارث الانساني للشعب العربي الفلسطيني؛ ما يجعل هذه الفنون صاحبة الصدى الايجابي ولو نفسياً للتعويض عما يستلزم من أشياء ثمينة لا تقدر بثمن، لذا جاء الفن القولي الشعبي على أنماط متعددة سنورها في أسطر البحث الآتية.

أغاني الحناء

الانسان مدني بطبعه كما أكد علماء الاجتماع وعلى رأسهم ابن خلدون، أي أنه بحاجة إلى من يؤانسه ويعيش في كنفه، لذا نجد فطرته ميالة إلى تكوين الأسرة، والبحث عن شريك حياة، كل حسب جنسه، بهذا تكون آلية الزواج هي الأنسب في خلق الرابط الاجتماعي. وديمومة الفكرة الإنسانية في عملية التواصل السليم بين أبناء البشر دون تبعات اجتماعية سلبية، أو هدامة؛ لأن الإنسان السوي ينجح أبداً إلى صيرورة الحياة بنظم تكفل ديمومته وبقاءه، وتثري فلسفته الداعمة لقيمه والمؤصلة لثوابته، بهذا عرف الزواج الذي يمثل أرقى آلية ضبطية ابتكرها عقل الإنسان في تأنيس الغريزة الجنسية عند البشر. ^(١٢) لأن النكاح فريضة ربانية استنها لخلقه عبر شرائع ونواميس وقوانين طبقها أنبياء الله على أنفسهم حتى يشكلوا معبراً أميناً لبني البشر من بعدهم، فتكون تعاليم الله نهجا متبعا لديمومة الحياة التي فطرها الله في خلقه.

ولذلك، فقد منح الإنسان العلاقة الزوجية صفة القدسية عن طريق عقد يخضع لطقوس دينية، ومراسيم مباركة تمارس داخل أماكن العبادة، أو ما يتبعها من أماكن لها خصوصية في الاحترام والثناء من قبل أبناء البشر، من أجل أن يأخذ صفة الإشهار والإعلان أمام الناس، ومن أجل تعزيز علاقة الرجل بالمرأة وتأنيسها، أي أنه أخضع هذه العلاقة إلى ضابطين هما:

ضابط اجتماعي بكل ما يعنيه من معايير ومقاييس مقبولة اجتماعياً وأخلاقياً وواجب الالتزام بها، وضابط آخر ديني بكل ما تعنيه الكلمة؛ لأن الحياة التي نعيشها قائمة «على تقديس لحظة الخلق، ولا بد لاستمرارها عبر الزمان من التجديد والولادة والخصب، ولهذا يتم الاحتفال بطقوس الحياة المختلفة، خاصة المراحل التي تشير إلى انتقال الإنسان إلى مرحلة جديدة في الحياة» ^(١٣). بهذا ينمحي الجانب الشكي من نفوس الناس بعد الإشهار ومعرفة الآخرين المتمثل في الاحتفالات والأغاني التي تقام في مراحل الزواج المختلفة من طلبية وخطبة وحنة وزفاف. وكل هذه الأمور تؤدي وظيفة اجتماعية تملئها علينا الظروف الحياتية المعيشة بكل مضامينها؛ إذ إن هذه الأغاني «تظهر لنا أن نظام العائلة عندنا هو الذي يحمل آثار الماضي السحيق، وأنظمة القرابة المقترن بها في المحيط الشعبي» ^(١٤) وللتراث الشعبي أهمية عظيمة في حياة الشعوب، لأنه «يعمق الصلة بين الإنسان ووطنه من جهة، وبينه وبين شعبه من جهة أخرى، تلك الصلة التي نحن الفلسطينيون، أحوج الناس إليها اليوم» ^(١٥) لما يعترينا من هموم ومتناقضات وصراعات متعددة تزيد من لهب المعاناة، وتكالب القوى الشريرة على بنية المجتمع العربي الفلسطيني في فلسطين وخارجها؛ لذا نحاول أفراداً ومؤسسات التشبث والتمسك بفلسفة البقاء عبر نظم وأطر متعددة، ومنها

التمسك بالتراث الشعبي وما يرمز له من خصوصية، وإن كان لكل مجتمع ألوان خصبة وشيقة من الفن الشعبي، بما فيها العادات والتقاليد والأعراف والأساطير والأغاني التي لها حضور مميز في ذاكرة أفراد المجتمع، وواقعهم وحياتهم.

ومن الأغاني التي تستوجب الوقوف عندها والعمل على دراستها، أغاني النساء في ليلة الحناء، لعدة مبررات منها: أنها أحد فروع الأغاني الشعبية التي لها جذور ضاربة في القدم، ولها دلالات اجتماعية خاصة بها سنتعرف عليها لاحقاً، وثانياً: لأنها تُعدُّ آخر ليلة للفتاة في بيت أهلها، (إذ إنها آخر ليلة قبل ليلة الدخلة)، وثالثاً: لأن طقوس الحناء بدأت بالاندثار شيئاً فشيئاً؛ لأنه كان في السابق يعطى لها أهمية كبيرة وطقوس مميزة، بينما اليوم فإنها تُدمج مع يوم الخطبة المحتوي على عادات وتقاليد تعمل على طمس عادات الحناء وطقوسه، ورابعاً: فإن غالبية العرائس يرفضن أن يوضع الحناء على أيديهنَّ لأنهنَّ يعتبرنه عادة قديمة وبعيدة عن التمدن والرقي، وخامساً: لأن حفلة الحناء تدار في حلقة نسوية خاصة لا يشارك الرجال فيها، لذلك فهي تنضح بعنديات نساها وأفكارهن ورؤاهن المستقبلية لهذه الفتاة، لأن المعاني التي تنتجها التحولات الاجتماعية، والتي هي-في الوقت نفسه- حياة المجتمع، هي -أيضاً- وجود مادي في أشكال تعبيره المختلفة والتي فيها سلوك الناس وعلاقاتهم مع بعضهم، ولغتهم المادية المعبرة عن أحاسيسهم وعالمهم اليومي^(١٦) لذلك فإنها تستحق الدراسة، والوقوف عندها وكشف خفاياها.

فمنذ إعلان النية في إشهار الزواج، تبدأ الاستعدادات لدى أهل العريس من أجل إتمام عملية الزفاف فتكون الليالي السبع من السمر والغناء حتى حضور الليلة السابعة، وهي ليلة الحناء، ففي اليوم السابع من ليلة التعليلة إذ يستعد الموجودون جميعهم في دار العريس للذهاب إلى دار العروس، حاملين معهم الوعاء المليء بالحناء المخبول قبل تلك اللحظات بليلة كاملة، وتحمله امرأة يستبشر بها إما لجمالها أو لأخلاقها أو لمكانتها الاجتماعية، أو يقع الاختيار على امرأة لها حظوة معينة عند أهل العريس، ولها مكانتها عند أهل العروس، إن كانت العروس من البلدة ذاتها أو العشيرة ذاتها؛ أي أن الناس يعرفون بعضهم بعضاً.

ومع وصول الموكب الذي يتزعمه وجهاء القوم إلى منزل العروس، تضع من تحمل وعاء الحناء أمام العروس ما تحمله من حناء مخبول، وتتقدم المرأة المسؤولة عن تجميل العروس بالحناء وتسمى (المنقشة أو المزوقة)، وتبدأ بوضع الحناء على راحتي العروس بطريقة فنية معينة تنم عن ذوق فني خالص، حيث تتباهى العروس بالمنقشات المختارة، ثم تنقش قدميها حتى بعض من الساق، ويوضع الحناء على شعر العروس في بعض الحالات، ومن ثم يوزع المسحوق المخبول على من حضر من النساء من الجهتين (أهل العروسين) ويوزع الباقي في صرر على الصديقات ممن لم يحضرن، أو على النساء المتقدمات في السن اللواتي لم يحضرن إلى دار العروس. وبعدها ينسحب الوافدون إلى دار العريس لنحر الدبائح والاستعداد للطبخ في اليوم الذي يليه.

أسباب التسمية:

سميت ليلة الحناء بهذا الاسم نسبة إلى استعمال مسحوق الحناء، وهو عبارة عن مسحوق يؤخذ من وريقات نبتة الحناء، بعد أن تُجفف ثم تُطحن وتُعجن بالماء، ويضاف إليها خميرة العجين وبعض المواد التي تعمل على زيادة نسبة احمراره مثل الشاي، أو قشر ثمرة الرمان، أو الكركم، أو قشور الباذنجان، وهناك الكثير من الوصفات التي تقوم بها النساء من أجل ذلك. ومن ثم تطلّى بها راحة الكف وغيرها، ثم يترك لبضع ساعات حتى يصبح لونه أحمر، وتتباهى النساء بنوعية الحناء أو بمصدر نبتتها؛ فحناء الفاو أو الحناء العراقية وتليها الهندية من أجود الأنواع وأكثرها شهرة عند الناس.

ومما تجدر الإشارة إليه «أن الحناء أصبح تقليدا متوارثا لا يعمل اليوم بحيثياته»، مع بقاء وجود ليلة الحناء وممارسة عملية التحنية^(١٧) وهذه الطقوس يُعمل بها قبل ليلة الدخلة، أيضاً هذا الوقت يُختَر اعتباراً، بل له أهمية خاصة، لأن ما تتركه صبغة الحناء من آثار إيجابية يجعل الناس أكثر تفاعلاً، وإن كان ذلك مرده إلى فقر البيئة لمواد التجميل وتلميع البشرة سابقاً، لذا أخذت نبتة الحناء مكانتها إلى جانب الطقوس المتعاقبة التي ورثها الناس عن الأجداد.

فهناك من يعتقد أن عادة تحنية العروس تعود إلى جذور وثنية، وهي بمثابة نوع من الطقوس التي كانت تمارس من أجل إبطال مفعول السحر الذي قد يصنع للفتاة لعرقلة حياتها الزوجية مستقبلاً، وتفتيت أو اصر المحبة مع زوجها وأهله من بعده.

وهناك من يعتقد أن العروس إذا لم تحنّ، فإنها لن تنجب، وبما أن لونه أحمر فإنهم يتفاءلون من هذا اللون الذي يجلب السعادة. ولا ننسى التزين والتجمل الذي تحصل عليه العروس جراء ممارسة هذا الطقس الجميل، وهذا الذي قد يفسر لنا سبب اندثاره. فمهما تعددت الأقوال تجاه موضوع الحناء، إلا أنها لم تدم على وتيرتها عند الناس مهما كانت ظروفهم المعيشية.

وهناك الخطوات التي تتم فيها طقوس الحناء من عجنه، وحتى نهاية الحفلة في بيت العروس، مع ترديد بعض الأغاني الخاصة بليلة الحناء، لأنها تساعد على عملية التواصل بين الناس، ومن ثم التعرف على المضامين المنشودة من هذه الأغاني.

أولا - جيلة الحناء «عجنه»:

كانت العادات تقضي بعد أن يجلب الحناء من السوق، أن يجبل في بيت العريس وذلك من اجل إدخال الفرح والسرور إلى قلبه وأهله من بعده، ويعم الفرح، ويبتعد الشر عن البيت، وكان يعجن في ساعات الضحى أو الظهيرة، وهذا له مبرر؛ إذ إن العادات كانت تقضي قبل الحفلة في بيت العريس وبعد عجن الحناء أن «توزع صرر الحناء على الصديقات والقريبات في البلدة أو الحي بمثابة بطاقة دعوة ليشهدن حفلة الحناء»^(١٨). وحتى يشارك أهل العريس في فرحهم، وحتى يتم ذلك كان لا بد من عجن الحناء في وقت مبكر.

ومن الأغاني التي كانت تغنى أثناء جبل الحناء:

دار العريس فرحانة	والفرح عابرفيها
وأم العريس فرحانة	واحنا جينا انهنيها
تستاهلي يا دارنا	حنة واحني ايدي
يا اللي لميت شملنا	والخي مع الخية
تستاهلي يا دارنا	حنة ونقش جديد
يا اللي لميت شملنا	على ليالي العيد
تستاهلي يا دارنا	حني واحني ابوابك
يا اللي لميت شملنا	واجو عليك اصحابك ^(١٩)

إذا وكما نلاحظ، فإن هذه المقطوعة تركز على أهمية لم الشمل وتجمع العائلة؛ لأن الفرح لا يكتمل إلا بمثل وجود هذه اللمة، وحتى أيامنا هذه ما زلنا نحافظ على هذه القيمة التي تعمل على تقوية مكانة الشخص ومنزلته في المجتمع، وهذا نلاحظه عند مقارنة لأغنية القادمة؛ إذ تفاخر المغنية بكثرة أفراد العائلة المشاركين في الفرح، وهي بذلك تؤكد الثيمة الاجتماعية التي يركز عليها مجتمعنا حتى يومنا الحالي:

يعلم الله اليوم حنانا	ثلاث ترطال اللي جبلناها
للحبايب اللي عزمناها	للحبايب اللي عزمناها ^(٢٠)

إذا، فإننا نرى من خلال هذه الأغاني، « نظاماً اجتماعياً تتمثل فيه بنية الجماعة وتتجلى فيه طبائعها وخصائصها، وتخضع في نشوئها لتقاليد وأعراف ترتبط بعقيدة الجماعة وسلوكها الاجتماعي والأخلاقي^(٢١) .

وبعد الانتهاء من جبله في بيت العريس وإقامة الحفلة هناك، أي بعد أن يتم تجمع النساء القريبات والصديقات والمهنتات تذهب تلك النسوة المجتمعات في موكب غنائي إلى منزل العروس.

موكب الحناء:

«تحمل النساء الحناء في طبق مزخرف، وتذهب به في زفة إلى بيت العروس، يتقدمهن رجال الحمولة»^(٢٢).

وفي الطريق تقوم النساء بترديد بعض الأغاني التي تنضح بالمدح؛ إذ تؤكد طيب أصل أهل العروس والافتخار بنسبهم ومصاهرتهم. وهذا المدح لا يأتي من فراغ؛ لأنهم بذلك يؤكدون تحقيق الرغبات العليا في المجتمع، التي يحاول الجميع الوصول إليها، للمكانة الاجتماعية وأهميتها.؛ إذ تغني النساء في هذا الموقف:

واحنا مشينا من الصبح للعصر	واحنا لقينا طيبات الاصل
واحنا مشينا من حارة لحارة	واحنا خطبنا من دار الأمارة
واحنا مشينا من بلد لبلد	واحنا خطبنا بنت شيخ البلد
واحنا مشينا من وادي لوادي	واحنا خطبنا تنكيد الأعادي
واحنا مشينا من ساحل لساحل	واحنا خطبنا تنزید المحاسن
واحنا مشينا من بلد لبلد	واحنا لقينا غاليات الطل
واحنا طلبنا فاطمة من بيها	يا بيها يسوى مدينة مصر
واحنا طلبنا فاطمة من بيها	يا بيها يسوى مدينة حلب

المتمعن في النص يرى أنها تركز على أن بنت الأصل هي مطلبهم وإنهم فازوا بهذا الأمر، الذي سوف يكون مثالا يحتذى عند غيرهم، ويؤكد المثل على هذه القيمة (خذن الأصلية ولو على الحصيرة)^(٢٣) وليس هذا غريبا؛ لأن الأغاني والأمثال انعكاس لفكر وثقافة المجتمع، وهذا يساعدنا في تفسير تقدم الرجال موكب الحناء في مسيرتهم لبيت العروس في السراء والضراء، وهذا فيه دلالة دينية واجتماعية، وهو عدم خروج المرأة بدون محرم من بيتها، حتى في هذه الأوقات السعيدة. إذ ترى العادات والتقاليد أن المرأة بحاجة إلى من يحميها ويحرسها في كل الأوقات. بل يدل على الأشهار، ومدى التفاعل الاجتماعي بين الناس والقيمة الحقة لهذه الطقوس، لذا نجد كبير القوم من يمشي أمام النساء لابساً أفخر ثيابه وأجملها على الإطلاق.

الوصول إلى منزل العروس:

وعند وصول النساء إلى منزل والد العروس يستقبلهن أهل العروس بالزغاريد والترحيب، وأيضا هذه الزغاريد تنضح بعنديات أصحابها:

مرحبا مين طل	زي الهلال لوهل
خلوا اعداهم وراهم	زي الورق على التل
مرحبا بكم ثمانمية من الترحيب	عزالتسايب ما يعلى عليكم نسيب

وانتو الثريا وتالي النجم كله يغيب

وتبادلهن النساء القادمت التحايا، ويظهرن مدى المكانة الاجتماعية التي يتمتع بها أهل العروس، وكيفية الرقي بها حتى يعلمها القاصي والداني فيبدأن بالغناء مباشرة:

ألي حايطها كرم اللوز	لمين ها الدار الكبيرة
والعطشان يشرب كازوز	هاذي دارك بو ساري
الي حايطها كرم التين	لمين ها الدار الكبيرة
والمحتاج عليك اميل	هاذي دارك بو تيسير
الي حايطها التفاح	لمين ها الدار الكبيرة
والتعبان عندك يرتاح	هاذي دارك يا شميم
الي حايطها الرمان	لمين ها الدار الكبيرة
والغريب يفرش وينام	هاذي دارك يا ساري
الي حايطها كرم الجوز	لمين ها الدار الكبيرة
والعطشان منك اينوش	هاذي دارك يا هاشم
الي حايطها روح الغار	لمين ها الدار الكبيرة
والغريب يفرش وينام	هاذي دارك يا شميم
الي ايظللها الياسمين	لمين ها الدار الكبيرة
والغريب عندك يقيم	هاذي دارك يا شميم

إذن هناك مديح متبادل بين أهل العريس وأهل العروس من أجل تقوية العلاقات بينهم، سواء أكانت علاقة قرابة أم مصاهرة ولا مفاضلة بينهم؛ فكلاهما أعز النسب، وكلاهما وقع اختياره على الشخص الصحيح والمقبول اجتماعيا:

وانتو تعزو النسب ولا تهينونه	واحنا نعز النسب والسيب والسيب من دونه
يا شمس لا تطلعي من روس الجبال	واحنا النسب عندنا زي الذهب غالي.
ظليت داير على آلا جواد تناسبهم	لارماني الهوى على مصاطبهم

وبعد الدخول إلى منزل والد العروس تقوم النساء بالرقص أمام العروس والتغزل بها، وبجمالها وبأخلاقها، ومدح أهلها وعائلتها من أجل تخفيف الحزن عنها بسبب معرفتها بأنها آخر ليلة تنام في بيت أهلها، فتكون مليئة بالأشجان المختلفة ما بين الفرح والحزن. لذلك؛ فهي بحاجة إلى أغانٍ تخفف ألم الفراق عليها:

يا منقشة بالحننا	لضي الحننة ابدياتك
والليلة نامي عنا	وبكرة عند حماتك
يا منقشة بالحننا	لضي الحننا بقميصك
والليلة نامي عنا	وبكرة عند عريسك

صبي إبيريق البن
اصحاب الكرم والفضن
في الشرق بحكوعنا
واحط السعد فيها
والهوى يلعب فيها
ونقوطةك ملى الكيلة
واللي دشريكشيله

يامخضبة بالحننا
واهلك ويا فاطمة
لنفتحو اخرى ساحة
مدي ايديك لحنياها
والغرة ريشة نعام
حنالك شيلة بهيلة
واللي أخذك مسعد

وتقول النسوة أيضا:

سبل عيوننة ومد ايده يحنوننه
خصره رقيق وبزة العسل عرق
وخصره رقيق وبالكشمير امشدة
من جيبته علقوا في لولب احجولة
من جيبته علقوه في لولب الخلخال

ايش ها الغزال الي راحوا اجيبونة
ايش ها الغزال الي عن دارنا مرق
ايش ها الغزال الي عن دارنا عدا
ايش ها الغزال الي شعرة على طوله
ايش ها الغزال الي شعره احبال احبال

ويقول أحدهم على لسان المحروم من حبيبه وقد أعياه الوجد والبعد:

واعبروك في البيت وما عدنا نشوفك
واعزمك يا زين لوعمري دنا
واعبروك في البيت وما عدنا نراك
واعزمك يا زين لوعمري دنا
واعبروك في البيت وما عدنا اناغيك
ونيمك يا زين ابموق اعيوننا
واعبروك في البيت وما عدنا انداريك
ووسدك يا زين رموش عيوننا
يا اخدود البنات يا جين عصر
ومن دمع عيني لاجبل وطنا
والشعر الاشقر املظف في الاوراق
فرقت ما بيني وبين احبابنا
والدهر ميال لا سبت ايعود
فرقوا اولاد الاحرام ما بيننا
يا عديل الروح غيرت حالتني
علتي في القلب ما الها دوا

يا ظريف الطول وجبلوا نقوشك
في طريق العين لذبح خروفك
يا ظريف الطول وجبلوا حناك
في طريق العين لقعد واستناك
يا ظريف الطول ابدالك ما في
في طريق العين واقعد ولاقيك
يا ظريف الطول اتنهد ويقول
في طريق العين وافرش وناديك
يا ظريف الطول نازل عا مصر
في طريق العين لابني الك قصر
يا ظريف الطول امهودع العراق
الله لا ايجيبك يا شهر الضراق
يا ظريف الطول لا تظربني بعود
ما بعد من جنى رومانتي ع عود
يا ظريف الطول يا ابن خالتي
جابولي الطبيب يكشف علتي

ع سهل حوران شالوا وابعدوا
لا تنسى الاحباب وتنساني أنا
والشعر الاشقر امعقص بالعقوص
يا ريت حبسي يا وليف في دارنا
حطوا في جمال اهات وجرس
عجل بالقهوة ضافونا احبابنا
يا ترى اشو مالو هل الولهان
من فضة والماس وارسمو أنا
من عين كل الناس ياربي سلّمو
وزيدولي السلام على حبيبنا

يا ظريف الطول وين أهلك غدو
والله يا معشوق كنهم حيدوا
يا ظريف الطول وقاعد عا الناموس
مرت عن حبسي يا خويي وانا محبوس
يا ظريف الطول عا البيدر درس
تنده عا الخدم وتقول يا ترس
يا ظريف الطول قاعد وزعلان عليي
لروح للصايغ وصغلووا الخلخال
يا ظريف الطول وطالع سلّمو
يا رايعين ديرة حبيبي وسلّمو

ويقول أيضا:

لاني مجنونة ولا عقلي خرج
وسكرة ومفتاح والبواب انا
أكلت اليابس والأخضر خلتو
ويصير المجوز والعزابي سوا
يا أم اشعور امهدولة كما الخصل
يا حسرتي صار الورق مراسلتنا

طلعت نص الليل تنده يا فرج
بدي يا المحبوب أصعدل ابدرج
طلعت نص الليل الحمص بلتو
رييت المجوز يعدم مرتو
على راس العين لزرعلك بصل
كتبنا المكتوب يا ربي يصل

وتنهي كلامها بالمهااة:

يا اعيونويا فتح الضنجان
لو حطت صفتة شباري
يا أنورينعس وينام

يا لولويا فرط الرمان
لوقامت صفتة شباري
يا نسيمة اضوي العاللي

وتقول احداهن:

برجم الرقطي وغنى على عاللي دار اهلنا
كل البنات اتزوج يا نعمة قاعدة وتستنا
يا بيض يا بيض ماننتو خير منا
وحنا شقايق حرير وانتو بطاينا
وانتو اجرار الشنينة وعند العرب مرميات
وحنا اجرار العسل في الدور امخبيات
من فوق قبة موسى ومن فوق قبة موسى

وخديدن على ولضي يا جبنة مكبوسا
ولي ما ايضم الخصرويش تنفعو البوسة
والي ما يورد عا العين ماترشوالميا
غريي دار الاميريا مهرة غرة
ومشنشلة بالذهب ماتنطلع برا
يا نبي عفوك ينبي ما ابيضت احجارك
ولولا الصبايا السمر ما حدا زارك

وتقول:

واقعد على العين ونا لنظر المية
والعرس الك يا الغالي ياريتوهنية
واقعد على العين ونا لنظر الخيمة
والعرس الك يا هاشم ياريتوهنية
يا كريمة يارفيقتنا بالعزيزة لوندري ودعناك قبل الجيزة
يا كريمة يارفيقتنا بالعال العال لوندري ودعناك وانت بالدار

ولأن هذه الحفلة هي الحفلة الرسمية للحناء، فإنها تكون مليئة بالمفاهيم والمضامين الاجتماعية التي تركز على عدة أمور منها، ظفرها بعريسها لحسبه ونسبه وشرف عائلته، وأيضا التغني بها وبأهلها وبجمالها حتى تتباهى أمام الآخرين. وتعرض مثل هذه الأغاني الكثير من القيم والعادات الاجتماعية التي يحاول أفراد المجتمع إيصالها إلى الناس، وتردد هذه الأغاني من خلال عدة أسنة متعددة منها ١- لسان العروسين ٢- لسان أم العروس ٣- لسان صديقات العروس وجاراتها ٤- لسان جموع المهنتات والمشاركات في الحفل ٥- لسان أهل العريس، وكل هذه الأسن تصب في النهاية في بوتقة واحدة هي بوتقة المجتمع والصالح العام الذي يسعى كثيرون إلى تجسيده وإظهار محاسنه وقوامه.

الأغاني التي تقال على لسان العروس:

تلك الأغاني تفيض بالحزن على فراق الأهل، وتكون مليئة بالعتاب واللوم للأهل على تزويجهم إياها، وتؤكد مدى تشبثها ببيت أهلها وتحسرها على فراقهم؛ إذ تقول في هذه الليلة الأخيرة التي تقضيها العروس بكرا عند أهلها ما يجعل كثيرا من الناس يظهرون تفاعلا مع الحدث، خاصة عندما تبدأ النسوة بالإنشاد المتناغم مع الإيقاع النغمي.

يا رب أبوي يحلف علي الليلة
وأنا العزيزة وانام وسط العيلة
يارب أبوي يحلف علي ثاني
أنا العزيزة وانام وسط اخواني
قولوا لأبوي الله يخلي أولاده

استعجل علي واطلعني من بلاده
قولوا لأبوي الله ايكثرزيته
استعجل علي واطلعني من بيته
قولوا لأبوي الله يكثرماله
استعجل على واطلعني من داره^(٢٤)

ومن الأغاني التي تردد على لسان العروس أيضاً الطلب من أمها بأن تحضر لها أغراضها، التي من المعتاد إخراجها معها إلى بيتها الجديد كالفراش والأمتعة الأخرى التي توافق الذوق وامكانية أهلها.

يُمَا وَيُمَا شدي لي مخداتي
واطلعت من البيت ما ودعت رفيقاتي
يُمَا وَيُمَا جيبني لي مناديلي
واطلعت من البيت ما ودعت أنا جيلي^(٢٥)

وهذا يؤكد عمق الصلة بين الأتراب؛ فكل نص له ما يجعله قريباً إلى نفوس المتلقين، لأن ذكر الأقران والأتراب له مردود نفسي إيجابي في مثل هذه المواقف. نراه تعويضاً نفسياً عما يعترى المرء من هموم ومواقف لها وقعها النفسي لدى المجموعين، وهذا يدل على أن انتقال العروس إلى بيت الزوجية له معايير خاصة تترك أثرها دون منازع.

لسان أم العروس:

وهناك بعض الأغاني التي تُقال على لسان أم العروس، وكلها ترشح بافتخار ومدح، لابنتها وتركز على الوضع التربوي والأخلاقي لها، وهي بذلك تعمل على تجسيد بعض المواقف المقبولة اجتماعياً التي تنص وتوصي بضرورة الاهتمام بالفتاة وتربيتها أحسن تربية، لصون شرف العائلة، وبالتالي عدم الخروج على الدائرة المسموح بها اجتماعياً.

إذ تقول:

لا تطلعي من بويتي يا معدلتي
يا مركنة اذيال بيتي مع مصطبتي
لا تطلعي من بيوتي والهوا غربي
يا طلعتك من بيوتي حسرت قلبي

فهذه المقطوعة مليئة بمشاعر الحزن والتحسر على فراق البنت، ولكنها في الوقت نفسه تحتوي على المدح والفخر من قبل الأم لابنتها.؛ إذ قامت الأم باستخدام أسلوب التصغير للدلالة على صغر ابنتها في نظرها، وأنها تستطيع أن تعتمد عليها؛ لأنها ربته

وأحسنت تربيتها سواء أكانت صغيرة حقاً أم لا .

وتقوم الأم بحثها على تعريف زوجها المستقبلي بأنها كانت معززة مكرمة في بيت والدها، وتوصيها بأن لا ترضى بأن يتفاخر ويُظهر علو منزلته عليها أو أن يدلها:

قوليلي عlish ربيتي يا عوينات الحية وربيت في بيت ابوي على العز والغية
قوليلي عlish ربيتي يا عوينات الغزال وربيت في بيت ابوي على العز والدلال
قوليلي عlish ربيتي يا عوينات الصقر وربيت في بيت ابوي على الدلال والعقل

ومنها:

ميلي ميلي يا فاطمة على الجنبية
لن خرفك قوليله بنت الدلال والغية
ميلي ميلي يا فاطمة على الطراحة
لن خرفك قوليله بنت الدلال والراحة

ونرى الأم وقد غدت حريصة على إظهار مفاتن ابنتها، وتجسيد محاسنها وعضتها، ومدى رقتها ونعومتها، فنسمعها تنشد أنغاماً تتعالق في النفوس والذاكرة:

ميلي وميلي يا شجرة التفاح ميلي وميلي يا حامله تفاح
ميلي وميلي عا ام العطر الفواح
ميلي وميلي يا شتلة الريحان ميلي وميلي يا حاملي ريحان
ميلي وميلي عا ام النهدي الفتان
ميلي وميلي يا شجرة الرمان ميلي وميلي يا حامله رمان
ميلي وميلي عا ام القلب الولهان
ميلي وميلي يا شجرة الكينا ميلي وميلي يا حامله كينا
ميلي وميلي عا عيونها الوسيعة
ميلي وميلي يا شجرة الليمون ميلي وميلي يا حامله ليمون
ميلي وميلي عا ام العنق المزيون
ميلي وميلي يا شجرة العناب ميلي وميلي يا حامله عناب
ميلي وميلي عا جسمها الفتان
ميلي وميلي يا شجرة الزعرور ميلي وميلي يا حامله زعرور
ميلي وميلي عا ام العطر الملقوف
ميلي وميلي يا شجرة الخروب ميلي وميلي يا حامله خروب
ميلي وميلي عا ساريها المزيون
ميلي وميلي يا شجرة القنديل ميلي وميلي يا حامله قنديل
ميلي وميلي عا ابو العنق الطويل

ميلى وميلى يا شجرة السويد ميلى وميلى يا حاملى سويد
ميلى وميلى عا بو الراي السديد
ميلى وميلى يا شجرة البلوط ميلى وميلى يا حاملة بلوط
ميلى وميلى ع صانع الزعوط
ميلى وميلى يا شجرة الكينا ميلى وميلى يا حاملى كينا
ميلى وميلى عالبت المليحة
ميلى وميلى يا شجرة الصفاف ميلى وميلى يا حاملى الصفاف
ميلى وميلى عابو القلب الرفراف
ميلى وميلى يا شجرة البطم ميلى وميلى يا حاملى بطم
ميلى وميلى عا حبيب العمر

من خلال ذلك نرى الإيقاع النغمى متجانسا إلى حد بعيد، ونرى المنشدات وقد جعلن الطبيعة شريكا فاعلا في النص، أي أنهن يعمدن إلى عملية الأنسنة المقصودة لمقتنيات البيئة، وما يتشابه مع الموصوف من صفات هادفة.

لسان الصديقة:

ونلاحظ حضور الصديقة في أغاني الحناء، وكيف أنها تساعد صديقتها، وتعمل على إدخال السرور إلى قلبها، ومحاولة طمأننتها، ودفع الخوف عنها مع الدعاء لها ولعريسها بالهناء والسرور والحياة السعيدة. وهذه الأغاني تؤكد مقولة (الصديق وقت الضيق):

يا مآخذ رفيقتي الله يبارك لك
يطول عمرك وتظل رفيقتي عندك
والبارحة يا رفيقتي كنت أنا وأنت
وايش العمل يا رفيقتي تا تجوزتي^(٢٦)

إذا هذه دعابة واضحة تدخل السرور إلى قلب العروس وتفرحها وتجعلها من وراء الدموع الدفينة تضحك، ويتغزلن بها وبجمالها، ويقمن بالدعاء لها بدوام السعادة عليها وعلى زوجها وبالذرية الصالحة.

لسان العريس:

وهناك بعض الأغاني التي ترددها المغنيات على لسان العريس مثل:
بوصيكي يا منقشة خطيبتي
ما أخذتها الا تحطيت ذخيرتي
بوصيكي يا منقشة يا أم الحلق
ما أخذتها الا تجهدني العرق

نرى عند مقاربتنا لهذه المقطوعة كيف أن العريس يوصي بالاهتمام بعروسه في أثناء الحناء، ومع أنها عملية بسيطة فإنه يرى ضرورة الانتباه، خوفاً على عروسه من الشعور بالانزعاج، وقد ننحو مناحي شتى في تفسير ذلك.

وهناك كثير من الأمور التي لا يسع المقام لذكرها في هذا الباب، لكنها قد ترد في المضامين فيما يأتي.

المضامين الاجتماعية لأغاني الحناء:

من المؤكد أن الأغاني تتضح بعنديات أصحابها؛ إذ هناك كثير من المضامين الاجتماعية التي تؤديها الأغاني. وهي تظهر كافة الألسنة. وسوف نركز على بعضها لأهميتها وكثرة دوراتها وانتشارها في غالبية الأماكن، ومنها:

١. التغني بجمال العروس والعريس ومنها:

سبل عيونه ومد ايده يحنونه
 ايش هالغزال اللي راحوا يجيبونه
 سبل عيونه ومد ايده يحنونه
 ايش هالغزال اللي عن دارنا عدا
 خصره رقيق وبالكشمير مشتدا

× × × ×

يم شعر أشقريا بنية يم شعر أشقريا هيه
 قلب وأتفكريا الولد قلب وأتفكريا هيه^(٢٧)

وعند مقاربتنا لهذه الأغنية تاريخياً نجدها تحتوي على مقاييس حديثة للجمال عند الفتاة؛ إذ هي فتاة رقيقة الخصر، وشعرها أشقر، وشبيهة الغزال في الرقة والنعومة والرشاقة، وهذه المقاييس تعتبر مقاييس لها وقعها الخاص عند مريديها وهي من علامات الجمال والأنوثة. إذا كان من عادة العرب قديماً أنهم يحبذون الفتاة السمينة الممتلئة، وهناك الكثير من البلدان والقرى التي ما زالت على هذه الشاكلة وان تختلف المعايير من بيئة إلى أخرى أو من زمن إلى آخر.

إذاً هذا التغيير يؤكد أن الأغاني الشعبية تحاكي التطور الزمني- وهذا ما نلاحظه من خلال مشاهدتنا للدعائيات والإعلانات في مناحي الحياة المختلفة لأي منتج تسويقي. المهم في نهاية هذا الأمر أصبحت هذه الفتاة نموذجاً يحتذى لبنات جنسها، وقدوة يقتدى بها. ومن الأمور الحسنة التي توصف بها العروس أن تكون صغيرة السن؛ إذ إنها لصغر سنها تؤدي دوراً وظيفياً في الحياة إذ تُعدُّ المرأة « رمز الخصب والعطاء، وكانت آلهة الخصب منذ أجدادنا الكنعانيين العرب، فهي التي تهب الخصب للطبيعة عن طريق عنايتها ورعايتها» وعادة الحناء وجدت أصلاً من أجل التفاؤل بإنجاب المرأة؛ لأن اللون الأحمر يعزز مثل هذا

يا وردة من جوا جنيئة
يا وردة من جوا جنيئة
يا وردة من جوا جنيئة
يا وردة من جوا جنيئة
يا وردة من جوا جنيئة
يا وردة من جوا جنيئة
يا وردة من جوا جنيئة
يا وردة من جوا جنيئة
يا وردة من جوا جنيئة
يا وردة من جوا جنيئة

لذلك تُعدُّ هذه الميزة من حسن حظ العريس؛ لأنها سوف تقوم بدورها المنشود على أكمل وجه، وتنجب الأولاد بكثرة بسبب طول فترة الخصوبة عندها؛ ما يؤكد الثيمة السابقة لزيادة عدد أفراد العائلة والتباهي بهم، لأن العادات والتقاليد سابقا كانت تسمح بزواج الفتاة المبكر، وان لم يزل بعضهم يصر على ذلك، لأن الزواج المبكر له محاسنه ومساوئه على السواء، وان كان الناس لا ينظرون إلى المساوئ إلا وهم خارج نطاق الدائرة، لذا نجد الفنون القولية تمجد هذه المسألة تمجيذا مفعلا ومجسدا كي يصل إلى أكبر شريحة ممكنة من الناس، وقد يكون ذلك للمباهاه او غير ذلك، الا اننا نجد مشخفا في الفنون كلها.

الأخلاق الحميدة:

إن غالبية الأغاني تركز على حسن تربية العروس «الأخلاق الحميدة»، لأن قضية الشرف العائلي هي من أهم القضايا التي يحرص عليها أفراد المجتمع، حتى يبقوا مرفوعي الرأس بين الناس، لذلك فهي تُعدُّ فوزا للعريس دون غيره، والآخرين خسروا مثل هذه الفتاة وهذه التربية:

حناك هيلة بهيلة
ما أخذك الا محمد
حناك هيلة بهيلة
ما أخذك الا محمد
ونقوشك كله كيلة
والي فاتك يا ذلة
ونقوشك ملا الفنجان
والي فاتك راح زعلان

ومن هذه الأغاني:

واحنا بنات العلا والعلالي
واحنا بنات العلا والعلية
واحنا اللي رافعين رؤوس الاهالي
واحنا اللي رفعا رؤوس الاهلية
ميلي وميلي كريمة عا جنب الدار
ميلي وميلي كريمة يارمش العين
ميلي وميلي كريمة يا همس الروح
ميلي وميلي كريمة يا ام الدلال
ميلي وميلي كريمة يا ام الشال
وان حدثك قوليلو شوف المختار
وان حدثك قوليلو روح سد الدين
وان حدثك قوليلو قلبي مجروح
وان حدثك قوليلو ارحل في الحال
وان حدثك قوليلو شاورلي الخال

ميلى وميلى كريمة ام الزنار وان حدثك قوليلو رحلك مشوار
وتقول احداهن مركزة على العلاقة الاجتماعية من خلال المهر:

دلو وقع في البيروكلو سمة
حطينا مهرا سمهان ورقة عا ورقة
دلو وقع في البيروا متلا بالكاز
ومهرك هيه يا رندا من مال الحجاز
دلو وقع في البيروا متلا حير
حبك هيه يا رندا ها اسمونبيل

وتقول احداهن:

واحنا العقربة في البيروا لنا اهدير
واحنا يا بوساري قاهرين اثير
وحنا العقربة في الواد والنا اولاد
وحنا يا بوساري قاهرين ابلاد

وتقول أيضاً:

وسعوا المرجة والمرجة لنا
وعرسك امبارك يا نظام علينا
وسعوا المرجة والمرجة تفاح
عرسك امبارك يا هشام يا مرتاح
وسعوا المرجة والمرجة زيتون
عرسك امبارك يا هاشم يا مزيون
وسعوا المرجة والمرجة رمان
عرسك هيه يا هاشم قلبي ليش زعلان
وسعوا المرجة ترى المرجة انجاص
عرسك امبارك يا نظام يا رقص
وسعوا المرجة ترى المرجة حنة
عرسك امبارك عروسك من عنا
وسعوا المرجة والمرجة لولو
عرسك امبارك يا امين قلولوا

وتقول احداهن مظهره نوعا من المباهاة، واطهار الكرم:

وحنا ذبحنا عا الطريق اذبيحة
وحنا وصلنا لدار المليحة
وحنا ذبحنا عا الطريق الحايل

وحنا نسبنا من خاص الحمائل
وحنا ذبحنا عا الطريق كبشين
وحنا وصلنا دار ابوك يا زينة

وتقول أيضاً:

هزت دبكتنا من هيئة لحارس
والليلة سهرة في دار العرايس
هزت دبكتنا من هيئنا لرنطيس
والليلة سهرة عند ام العريس
وهزت دبكتنا من هيئة لعمان
والليلة السهرة عند امات الذهبان
هزت دبكتنا من هيئنا لريحا
والليلة السهرة في دارك يا امليحة
هزت دبكتنا من هيئنا للقدس
والليلة السهرة عند بنات القدس
هزت الدبكة من هيئنا لعابود
والليلة السهرة عند ام اعيون السود

وتقول اخرى:

وان كان يا هشام عازم على اولاد عمو
خلي العزايم تلفي ولا المال اهمو
وان كان يا ساري عازم على اولاد خالو
خلي العزايم تلفي على دارو
وان كان يا هاشم عازم على القرايب
خلي العزايم تلفي عا العزايم
وان كان يا هاشم عازم عا القرابة
خلي العزايم تمشي عا الرواقية
وان يا هاشم عازم عا الموسيقى
خلي العزايم تلفي عا الدقيقة

وتقول أيضاً مغيرة النغم:

شفت بوساري امهود طريق العين عصرية
خصر ورهيف وفي ايد وخاتم الغية
وقولي ياندوة وانا اتعنيت عشية
فرشلي على الارض ريحة عطاطرية
يا بي ساري يا ثوب الجلاجيلي
يلي كلامك امصابي عا المصاريني

وان طالك ظيم يا خيتي تعاليلي
وانا خيك كيااد الرجاجيلي

وتقول اخرى:

قاسي يارمان قاسي بوساري رافع لي راسي
لمواها الرمان لموا وبوساري سند لامو
تحتويارمان تحتويا هاشم سند لاختو
هاتوا يارمان هاتوا ويا هاشم سند خواتو
يا اخضيرة يا املوخية لوعت قلبي الغربية
يا اخضيرا ورق الحنة لوعت قلبي وانا استنا

ما تقدم من نصوص يركز على صون الفتاة لشرفها وشرف عائلتها، وتجسيد عفتها،
فهي مثال للشرف عند أهلها وغيرهم على حد سواء.

فهذه الأغنية تقرر قيمة اجتماعية ودينية، وتحت على التمسك بالعبادات والتقاليد،
وتعتبر الخروج عنها أو الإخلال بها مفسدة في المجتمع، وتؤدي إلى إلحاق العار بأهلها
وبنفسها. ولذلك ذهب عقل الإنسان إلى « صقل وضبط الطرف الأول لصالح الطرف
الثاني، لكي ينظم تجمعاته ويؤسس لها ارتباطات منمطة حسب العلاقات القرابية،
الدموية، ويعطي لها صفة تميزها عن التجمعات الحيوانية»⁽²⁹⁾ وهذا يكون نابعا من الدين
والعرف الاجتماعي الذي يغذيه ويقويه، وبالضرورة يجب التمسك به والحفاظ عليه.

وصية متبادلة...

وهناك توصيات توجه لأهل العروس و لأهل العريس، على أسنة المغنيات كافة. لأهل
العريس أن يهتموا بهذه العروس ولا يهينوها ويعتبرونها أمانة في أعناقهم، ويجب أن
يحافظوا عليها ويحوظوها بالرعاية والاهتمام مثل ابنتهم.

أما أهل العروس، فالتوصية تكون بأن يزورها بشكل دوري ولا ينسونها. وهذا فيه تأكيد
لصلة الرحم التي حث عليها الأديان والعبادات والتقاليد الاجتماعية المتوارثة كلها.

خيتي يا العروس ولي دمعة ولك دمعة
بيك حنين يزورك ليلة الجمعة
خيتي يا العروس ولي دمعة ولك ثنتين
بيك حنين يزورك ليلة الاثنتين

يا أهل الغربية طلوا على غريبتكم وان قصرت خيلكم شدوا مروتكم
يا أهل الغربية طلوا في السنة مرة وان قصرت خيلكم يعينكم الله

هنا تحاول النسوة التخفيف عنها ألم فراق أهلها، وإنهم سوف يقومون بزيارتها بشكل
دوري دون انقطاع كلما سنحت لهم الفرصة. وبعد ذلك تطلب النساء من العروس الرقص

وتجتمع النساء على ذلك. وبعد إصرار الحضور «قديما» تمشي العروس متبختره بين جمع المغنيات من أجل الرقص، ويرددن لها:

اتمخطري يا حلوة يا زينة يا وردة من جوا اجنينة
يا عود قرنفل يا عروسة والورد خيم علينا
خطرت علينا ببدلتها والورد الاحمر حرس وجنتها
ما أحلى ليلة حنتها صغيرة وكاملة المعنى

وبعد ذلك تقوم النساء، بتحنيتها وحثها على هذا العمل؛ إذ يقلن لها:

قومي تحني قومي تحني لحالك
واحنا حطينا شروط ابوك وخالك
قومي تحني قومي تحني يا زينة
واحنا حطينا شروط ابوك الفين
قومي تحني قومي تحني ما ايهمك
واحنا حطينا شروط ابوك وعمك
قومي تحني يا فاطمة لعمر المال
يكفيك يا تيسير يا غالي شمعة الدار
قومي تحني يا فاطمة لا عمر الزيت
يكفيك يا نادي يا غالي شمعة البيت

وهذه المقطوعة تركز على دور العم والخال في زواج ابنتهم، وأنه يحق لهم ذلك مع وجود الوالد دلالة على قوة الترابط العائلي وأهميته.

ومن الأغاني -أيضا- التي تغنى بإيقاع جميل وهادئ هذه الأغنية:

الليلة حنا العرايس يا سلام سلم
واستوى عنب الجنانين يا محمد قلم
الليلة حنة العرايس يا لطيف أطف
واستوى عنب الجنانين يا محمد اقطف

وفي نهاية السهرة تردد النساء بعض التراويذ لوداع العروس، وهذه التراويذ تفيض بالحزن على فراق العروس وعلى مدى حبهن وفقدانهن لها.:

يا رويدتنا يا رولا، يا رويدتنا يا هي
مثل خيتنا نحبك، مثل خيتنا يا هي
من حارتنا رحلت، من حارتنا يا هي
لحارتهم نزلت، لحارتهم نزلت يا هي
خيتي يا كريمة، شعرك عل المية حبال حبال

لانا بطولو، ولا المية تجيبو جاي

xxxxxxxx

يا بريق حليب يا سارة يا بريق حليب يا هي
أخذك غريب يا خسارة أخذك غريب يا هي
يا بريق الزيت يا ناهدة يا بريق الزيت يا هي
تطلعي من البيت يا خسارة تطلعي من البيت يا هي
يا بريق الشرب يا ناعسة يا بريق الشرب يا هي
أخذوك الغرب يا خسارة أخذوك الغرب يا هي
يا بريق الماي يا ماجدة يا بريق الماي يا هي
تطلعي من الدار يا خسارة تطلعي من الدار يا هي

وهكذا تنتهي ليلة الحناء بطقوسها وعاداتها وتقاليدها وأنماطها ومضامينها، بدموع فرحها وحزنها بانهاؤها لمرحلة جميلة من مراحل الحياة، ألا وهي مرحلة العزوبية، وابتداء مرحلة جديدة في الحياة وهي مرحلة الزواج وتبعاته وفرحه وحزنه. وبعد خروج العروس من منزلها الأول، نسمع المجتمعات ينشدن نغما تحفيزيا لها حتى تستطيع أن تتمالك نفسياً.

قومي اطلعي قومي اطلعي لحالك	وحنا وزنا بالذهب دلالك
قومي اطلعي قومي اطلعي يا لا لا	وحنا وزنا بالذهب حلالك
قومي اطلعي قومي اطلعي مين قدك	وحنا جبنالك الذهب لحداك
قومي اطلعي قومي اطلعي تنشوفك	كلك دلال من راسك لعيونك

وتقول احدهن:

وهيه ياريم الضلا وقف تشوف	اشوها الذنب الي اعملتو بعد المعروف
وقف لبنت عمك ماني يمك	لاخذ غيرك واهمك والعين اتشوف
وقف لبنت خالك ماني ابحالك	لاخذ غيرك بدالك والعين اتشوف
وقف في نص الحارة بنت الجارة	لاخذ غيرك جكارة والعين اتشوف
وقف للشلبية عا العلية	لاخذ بدالك مية والعين اتشوف
وقف لبنت سيدك ماني بريدك	واخذ غيرك واكيد والعين اتشوف
وقف في نص الحارة والنصارى	خليهم يشهدوا حالك والعين اتشوف

وعندما تصل العروس إلى بيت الزوجية نرى المهتمين من الجهات يستقبلونها، ويظهرون تعاطفهم معها، وتنشد النسوة متفاعلات مع الحدث أناشيد تنم عن حرصهن على إظهار المحبة للجميع والتفاعل الجماعي.

ياريتك امبيركة علينا علينا علينا علينا

واتبشري بالصبي يلعب حولينا
يلعب حولينا يلعب حولينا
ياريتك امبيركة عا هاشم لخالو عا هاشم لخالو
واتبشري بالصبي يلعب مع اقرانو يلعب مع اقرانو
ياريتك امبيركة مازيونة يا حلوة مازيونة يا حلوة
واتبشري بالصبي يلعب على صدره يلعب على صدره

ومن أجل الثراء المقصود للموضوع حاولنا جمع ما استطعنا جمعه من نصوص غنائية شعبية تتغنى بها النسوة في مناسبة الحناء، والتي لم تدرج في الصفحات السابقة، وهي لم تزل تعيش في ذاكرة بعض النساء اللواتي لهن تفاعل مع المناسبات الشعبية (وهذه تأتي حسب التسلسل الزمني لعملية التتابع في طقوس ليلة الحناء) .:

من وين جبت الحنا ساري يا عريس
من كل عطار شوية والعطر من باريس
من وين جبت الحنا هاشم يا فهمان
الحنا من عنا والعطر من عمان
من وين جبت الحنا شميم يا بطل
الحنا من عنا والعطر من قطر

xxxxxxxxxxxx

شفته بيجبل الحنا بالهيل يا يما
عسى الحنا يحنيني بالهيل يا يما
يا منكشة نكشيتها باليد لا توجعيها
يا ريت الوجع للاعادي والحب يا ريته سليمة

xxxxxxxx

جايب الحنا على التكسي
خضبن البيض بالنقشة
جايب الحنا على تكسياته
خضبن البيض على دياته
جايب الحنا اشوار اشوار
خضبن البيض على الذرعان
جايب الحنا في السيارة
خضبن البيض الأمانة

xxxxxxxx

حنانا يا محمد حنانا
يا عريس بيع أمك وكمل على حنانا

قومي تحني يا عروس لا عمر المال
يكفيك يا حبيبي شمعة الدار
قومي تحني يا عروس لا عمر الزيت
يكفيك يا نديمي شمعة البيت

xxxxxxxxxx

حناك هيلة بهيلة ونقوشك هذا كله
ما أخذك إلا محمد والي فاتك يا ذله
حناك هيلة بهيلة ونقوشك ملا الفنجان
ما أخذك إلا محمد والي فاتك راح زعلان
حناك هيلة بهيلة ونقوشك ملا الكاسة
ما أخذك إلا محمد على عنين كل الناس

xxxxxxxxxx

حنا يا حنا يا ورق الليمون
والحنا لايق على ايدين المزيون
حنا يا حنا يا ورق التفاح
والحنا لايق على ايدين الملاح
حنا يا حنا يا ورق السريس
والحنا لايق على ايدين العريس
حنا يا حنا يا ورق الخروب
والحنا لايق على ايدين المحبوب
حنا يا حنا يا ورق البصل
والحنا لايق على ايدين البطل
حنا يا حنا يا ورق الرمان
والحنا لايق على ايدين العرسان
حنا يا حنا يا ورق العناب
والحنا لايق على ايدين الشباب

xxxxxxx

حنيها واركنيها على خزانيتها
قال ابوها مباركة على عمته
حنيها واركنيها على المالية
قال ابوها مباركة هالغالية

xxxxxxx

مشطك وقع في التطلي يا أم الحلق
بيك رضي ولا نزيده ورق

مشطك وقع في التطلي يا فلاحه
بيك رضي ولا نزيده راحة
مشطك وقع في التطلي يا نشمية
بيك رضي والا نزيده مية
مشطك وقع في التطلي يا مزيونة
بيك رضي والا نزيده شلونه

xxxxxxx

قولي لابوي الله يخلي أولاده
واستعجل عليّ وطلعني من بلاده
قولي لأبوي الله يخلي ولده
استعجل عليّ وطلعني من بلده
قولي لأبوي الله يكثر زيتته
استعجل عليّ واطلعني من بيته
قولي لأبوي الله يكثر ماله
استعجل عليّ واطلعني من داره

xxxxxxxxx

يَمِّي يا يَمِّي حشيلي مخداتي
واطلعت من البيت ما ودعت أنا خواتي
يا الام يا الام لميلي مناديلي
واطلعت من البيت ما ودعت أنا جيلي
يا الام يا الام شكلي لي خرز فضة
الله يعطيك الصبر على طلعتنا بره
يا الام يا الام شكيلي لولو ومرجان
الله يعطيك الصبر على طلعتنا من الدار

xxxxxxxxxxx

يا شوفتها يا خواتي تمشي في ظل عراق
يا خصرها يا جماعة حير المراق
يا شوفتها يا خواتي تمشي في ظل التين
يا خصرها يا جماعة حير المسكين

xxxxxxxxxxx

ايش هالغزال اللي مشيته على مهلة
من غيته عقدوا شعره على ظهره
ايش هالغزال اللي دمعه على شفافه
من غيته عقدوا شعره على أكتافه

ايش هالغزال اللي عن دارنا مارق
كفه محنا وبوزه في العسل غارق
ايش هالغزال اللي عن دارنا عدا
خصره رقيق وبالكشمير مشتدا
ايش هالغزال اللي في الوكرة وكر
خصره رقيق ومعلق بالسكر

xxxxxxxxxxx

يا طالعين الجبل يا موقدين القوس
واحنا شويينا على ناركم جاموس
ما بدنا منكم لا قطعة ولا فلوس
الا الغزال اللي عندكم محبوس
يا طالعين الجبل يا موقدين النار
لا بدنا منكم لا قطعة ولا دينار
الا الغزال اللي عندكم جوا الدار

xxxxxxxxxxx

شوفتها يا اخواتي وابن اختها معها
واربع خواتم ذهب في رووس أصابعها
ما قلت لك يا قليل العقل طاوعها
والعروس مليحة ومفتاح السعد معها

xxxxxxxxxxx

الليلة حنا العرايس يا سلام سلم
واستوى عنب الجنابين يا محمد قلم
الليلة حنا العرايس يا لطيف أطف
واستوى عنب الجنابين يا محمد اقطف

xxxxxxxxxxx

يا حسيرتي من طمعهم فرطوا فيني
من قلة المال باعوا واشتروا فيني
يا حسيرتي من طمعهم راحوا باعوني
من قلة المال للأغراب أعطوني
يا بريق حليب يا فاطمة يا بريق حليب يا هي
أخذك غريب يا خسارة أخذك غريب يا هي
يا بريق الزيت يا فاطمة يا بريق الزيت يا هي
تطلعي من البيت يا خسارة تطلعي من البيت يا هي
يا بريق الشرب يا فاطمة يا بريق الشرب يا هي

أخذوك الغرب يا خسارة أخذوك الغرب يا هي
يا بريق المال يا فاطمة يا بريق المال يا هي
تطلعي من الدار يا خسارة تطلعي من الدار يا هي

xxxxxxxxxx

لا تطلعي من بيتي يا معدلتي
يا مركني اذيال بيتي مع مصطبتني
لا تطلعي من بيتي والهوا غربي
يا طلعتك من بيتي حسرت قلبي
لا تطلعي من بيتي والهوا شرقي
يا طلعتك من بيتي ضيقت خلقي

xxxxxxxxxxxx

يا رويدتنا يا فاطمة يا رويدتنا يا هي
مثل خيتنا نحبك مثل خيتنا يا هي
من حارتنا رحلت من حارتنا يا هي
لحارتهم نزلت لحارتهم يا هي
خيتني يا فاطمة شعرك على المية حبال حبال
لانا بطوله ولا المية تجيبه جاي
قعدنا تنودعها خيتني يا فاطمة قعدنا تنودعها
واحنا نودع وهي تسبل مدامعها
وامبارحة يا رويدة كنت أنا وانت
وشو السبب يا رويدة تا تجوزت يا هي
وامبارحة يا رويدة كنت عند امك
وشو السبب يا رويدة أخذت ابن عمك
يا رفيقتنا يا فاطمة يا رفيقتنا يا هي
مثل خيتنا نحبك مثل خيتنا يا هي
بنت قد ومد يا فاطمة بنت قد ومد يا هي
يا كبير الجد يا بيك يا كبير الجد يا هي

أغاني الزفاف

بعد إتمام ليلة الحناء، والمراسيم المتبعة في ذلك، نجد أهل العروسين يستعدون لإتمام الزواج متمثلاً في مراسيم الزفاف، فيكون هناك أغان خاصة للرجال، وأغان خاصة بالنساء، ومن عادات الناس أن يُدعى العريس للاستحمام في منزل أحد الأقرباء أو الأصحاب المقربين، وتبدأ المسيرة؛ حيث يخرج المحتفلون من مكان تجمع الرجال يغنون ويهزجون وصولاً إلى مكان استحمام العريس، ويحتفلون أمام المنزل أو في باحته إن كان كبيراً أو في الشارع حيثما تكون الظروف موافية، والأهازيج والمهااة تتلاقى وهي تمجد العريس وأهله والأصهار، ومن يحضر من الأهل والمعازيم والضيوف، وتكون النساء خلف جموع الرجال في جموع حاشدة، كل يغني بما يليق بمقامه، وقد تتداخل جموع الرجال بجموع النساء قليلاً، بعد أن يعتلي العريس صهوة فرسه المعدة للركوب أصلاً، ويتحلقون حول العريس رجالاً ونساءً ويغنون غناءً شفافاً مؤثراً، وتكون الأولوية لأغاني الرجال ولا بد من أحد القوالين يقود مجموع الرجال:

طلع الزين من الحمّام

الله واسم الله عليه

طلع الزين من الحمّام

ريحتو ورد وعناب

طلع الزين من الحمّام

وشكل ورد وريحان

اه يا زهر الرمان

حامل عا امو غير أوان

طلع الزين من الحمّام الله واسم الله عليه

طلع الزين من الحمّام الله واسم الله عليه

عريسننا زين الشباب

زين الشباب عريسننا

عريسننا عنتر عبس

عنتر عبس عريسننا

عريسننا امبارك حمّامك

عسكر والضابط امامك

محمد زين وذكره زين

أبو سرور كحيل العين

محمد زين وذكره زين
عريسنا يوخذ ثنتين

وبعد أن يشاهد المحتفلون عريسهم وقد اعتلى صهوة فرسه، تبدأ الأهازيج بحماس
ومحبة:

امبارك حمام العريس
ابها الساعة الرحمانية
امبارك حمام العريس
امبارح فصلنا القميص
يا عريس لا تهتم
وحنا شرايين الدم
انت الملك واحنا الشعب
ضيوف مع امحلية
امبارك عرسك يا عريس
ابها الساعة الرحمانية
ياها العرس المبارك ما فيه ولا خسارة
الله والحامي الله الله والحامي الله
نيخ يا جملنا نيخ
جملنا امحمل بطيخ
عن درب الحلوة ما بنزيح
نيخ يا جملنا نيخ
جملنا امحمل شمام
في حضن الحلوة تنام
نيخ يا جملنا نيخ
جملنا امحمل تفاح
اخدت قلبي والمفتاح

وعندما تتداخل جموع الرجال مع النساء، ويتحلقون حول العريس يهزجون ويرقصون،
تسمع الحادي يقول:

يا بيضة يلي في الشباك
طلي وشوفي افعالنا
وانتن غواكن شعركن
وحنا غوانا سيوفنا
يا بيضة يلي في الشباك

طلبي وشوفي افعالنا

وعندها ترى العريس يقف فاصلاً بين جموع الرجال والنساء، أي يتوسط جموع
الضريقين بفرسه، تبدأ عملية الحث على المسير من قبل الرجال:

سيروا كما سار الجمال
صيت العريس يرفع الراس
يا عين كوني صبارة
ع اللي اخذوه يا خسارة
بيني وبينك صار الحرب
يا ابتنفيني يا بنفيك
بيني وبينك صار الحرب
عشان قصاصة الشليش

وبعد المسير قليلاً تسمع أحدهم يقول:

الله يمسيكم بالخير
ضيوف ومع محلية
وأنا برجوكم يا قوم
تشدوا لي الكف اشوي^(٢٧)

لذا يستجيب الحاضرون، وهم يتمايلون على أنغام الأكف والهاجس المسيري في عملية
التواصل مع الفرح والشدة الغنائي الصادح من حناجر الناس الموجودين حتى تتداخل
عملية التواصل العام والخاص، فتسمع أحياناً متعددة، منها الوطني ومنها غير ذلك، أي
أن هموم الوطن تتجسد في تلك اللحظة، وتسمع أقوالاً حماسية فاعلة:

بارودنا موزرعتيق
واللي يصيبه ما بفيق
صهيوني زول من الطريق
هذه البلاد بلادنا
حطوا البيارق ع الجبال
وتبشري يا بلادنا
شبابك شيالة الجمال
يوم الشدة بتشوفينا
يا بنت يا اللي ع السطوح
طلي وشوفي حالنا
انتن غواكن شعركن

واحننا غوانا سلاحنا
لا بد من يومن صحيح
نفدي الوطن بارواحننا^(٢٨)

وبعد سماع هذه الألحان الوطنية ترى الشباب يتفاعلون ويهدسون الأرض بأرجلهم،
وتتميل أجسادهم والعرق يتصبب منها، ويرددون:

دير الميَّة ع الكينا	ويلك يلي اتعادينا
دير الميَّة على الليمون	ولي ايعادينا مجنون
دير الميَّة على الصفصاف	من الي ايعادينا ما انخاف
دير الميَّة كف ابكف	ولي ايعادينا ينشف
هر السمسع الصندوق	بالله إشويي تا اندوق
اطلع برى يلي فوق	سوق اجمالك خيي سوق
ودير الميَّة على الكينا	ويلك يلي اتعادينا
ودير الميَّة واسقي الغار	ودير بالك من الكفار
ودير الميَّة عا الطيون	ولي ايعادينا ممحون
ودير الميَّة عا العناب	ومن الي ايعادينا ما انهاب
ودير الميَّة عا الخروب	ولي ايعادينا مضروب

وعندما يحاول أحدهم تهدئة الخواطر كي يعيد النغم إلى الغناء العاطفي تسمع
أحدهم متحمساً ينشد:

وناي قاطع السدرة	عصاتي لا اتعريها
فيها الخوخ والرمان	امعلق في دواليها
فيها ايات العبد الله	ياقاري كلام الله
وناي قاطع السدرة	عصاتي لا اتعريها
وفيها الخوخ والرمان	امعلق في دواليه

عندها تسمع الصيحات المتجاوبة وهي تنشد فرحاً وحماساً تعبيراً عن رفض الخنوع
السائد في المجتمع، واستبشاراً بالقادم من خلال الأمل الذي يجلي النفوس عبر الأهازيج،
والمواويل العطرة التي ينشدها الجميع.

أما ما يخص النساء في حفلة الزفاف، فهو كثير قد يكون أكثر مما يقوله الرجال، فما
أن يخرج العريس من الحمام يعتلي سهوة الفرس، تبدأ النساء بالمهااة والأغاني ذات
المضامين المتعددة، والإيقاعات المختلفة:

طالع من الحمام عرقو ناشف

هاشم يا يمة نور هل الكاشف
عريسنا يا ناس مين قال عنو اسمر
أبيض من الجبنة وأحلى من السكر
جيبولنا ها العريس تنشوف حلاتو تنشوف حلاتو
ميتين ليرة ذهب انقوط لمراتو انقوط لمراتو
جيبولنا هل العريس ابكامل صفات ابكامل صفات
ميتين ليرة ذهب هندام خواتو هندام خواتو
جيبولنا هل العريس تنرقص امامو تنرقص امامو
ميتين ليرة ذهب لعمتو وخالاتو لعمتو وخالاتو
جيبولنا هل العريس حتى انزف للدار حتى انزف للدار
ميتين ليرة ذهب فرشها للثوار فرشها للثوار

ويردفن ايضا:

قلي وين ازفك يا بو اعيون اوساع
على بير زمزم والعطر فواح
قلي وين ازفك يا بو عيون السود
في الصخرة الشريفة والنبي داوود
قلي وين ازفك هبه يا اسمري زين
عا بلاط الصخرة وبين الحرمين

وتقول:

ديري ارجالك قدامك يا ام الدبوس
وانا ارجالي قدامي ابعز وناموس
ديري ارجالك قدامك يا ام الذهبان
وانا ارجالي قدامي ابعز وامان
ديري ارجالك قدامك يا ام اسوارة
ونا ارجالي قدامي عا المنارة
ديري ارجالك قدامك يا ام قلادة
وانا ارجالي قدامي ملا الوادي

وتقول اخرى:

ومدايدك عا خراخش حلقها
وهات المحرمة ومسح عرقها
ومدايدك عا خراخش ذنيها
هات المحرمة ومسح عنيتها

عندها تسمع احداهن وهي تهلهل كي تخرج المحتفلات من النعمة الحالية إلى نعمة

ايقاعية خاصة:

هي ائي يا وجهك قمر وشعرك مثل الليل
والوسط من رقتو بيهد القوي والحيل
يا صايمين الضحى ومفطرين الليل
ردوا لي غزالي لا اتصيبو العين

وتقول:

هي ائي يا حوطك بالله وحدي
هي ائي والثانية ثنتين
هي ائي يا والثالثة خرزة زرقا
هي ائي والرابعة اترد عنو العين

وتقول ايضا:

وارقصي ابثوب الملاس يا عطاف
عريسي على الكرسي يا جهاد
ورقصي تغنيك يارندة وارقصي تغنيك يا لالا
يسلموا قناديلك يارندة يسلموا قناديلك يا لالا
وان غاب القمر ايظويلك بو ساري
وان غاب القمر ايظويلك يا لالا
وارقصي نتفي نتفي كريمة وارقصي نتفي نتفي يا لالا
وارقصي نتفي نتفي يا لالا
والعبي يا لعبي واعتلي يا قمر
زفي حبك كريمة تحت الشجر
والعبي يا لعبي واعتلي يا نجوم
زفي حبك كريمة تحت الليمون

وتقول:

على رام الله شدوا الرحال اليوم على رام الله
على رام الله
حلوة وما شاء الله عروستك يا بوا هشوم
حيلوة وما شاء الله حيلوة وما شاء الله
على المستشفى حطوا الرحال اليوم
على المستشفى على المستشفى
ريتوما يشفى عدوك يا ساري
ريتوما يشفى ريتوما يشفى

وتقول المرودة:

أعطونا عروستنا وخلصنا انسير

بلدنا بعيدة انخاف الخنزير
بلدنا بعيدة انخاف الخنزير
أعطونا عروستنا وخلونا انروح
وبلدنا بعيدة انخاف الوحوش
وبلدنا بعيدة انخاف الوحوش

وبعد خروج العروس من المنزل تغني النسوة:

وادعس وادعس يا شوفير عا العقبة
يا ذهب عا الرقبة يا نادي يا ذهب عا الرقبة يا لالا
وادعس ولا ايهمك يا نادي وادعس ولا ايهمك يا لالا
الله اخليك لامك يا هاشم الله اخليك لامك يا لالا
دوس وانت دايس يا شوفير دوس وانت دايس يا لالا
واحمولك عرايس يا شوفير واحمولك عرايس يا لالا
دوس على الراحة يا شوفير دوس على الراحة يا لالا
واحمولك نصارى يا شوفير واحمولك نصارى يا لالا
دوس على المحرمة يا شوفير دوس على المحرمة يا لالا
يا قظامة اموشمة يا ختام يا اقظامة اموشمي يا لالا
دوس عا البلاطة يا شوفير دوس عا البلاطة يا لالا
والعروس خياطة يا شوفير والعروس خياطة يا لالا
دوس على الدعسة يا شوفير دوس على الدعسة يا لالا
عروستنا امنعسي يا شوفير عروستنا امنعسي يا لالا
دوس عا الرماني يا شوفير دوس عا الرماني يا لالا
والعروس زعلاني يا شوفير والعروس زعلاني يا لالا
دوس على الريحا يا شوفير دوس على الريحا يا لالا
والعروس مليحة يا شوفير والعروس مليحة يا لالا

وتقول ايضا:

شوفير الباص هيه يا بو محرمة هيه يا بو محرمة
لاحد المحكمة لاحد المحكمة بلاه اتوصلنا لاحد المحكمة لاحد المحكمة
شوفير الباص هيه يا بو شاشي هيه يا بو شاشي
ذهب رشادي لبسها يا نادي ذهب رشادي ذهب رشادي
شوفير الباص هيه يا بو اسورة هيه يا بو اسورة
لاحد المنذرة لاحد المنذرة بلاهي
اتوصلنا لاحد المنذرة لاحد المنذرة

يوم عرسك يا ساري ميت تكسي الي ادور، ميت تكسي الي ادور
عازم عا اولادة عمو والمزيكا للحضور والمزيكا للحضور
يوم عرسك يا ساري ميت تكسي الي تمشي ميت تكسي الي تمشي
عازم على اولاد عمو والشباب تلعب دبكة والشباب تلعب دبكة
يوم عرسك يا هاشم ميت تكسي باب الدار ميت تكسي باب الدار
يوم تمشي بالزفة اترش العطر عا العقال اترش العطر عا العقال
يوم عرسك يا شميم ميت تكسي عا الحشيش ميت تكسي عا الحشيش
يوم نطلع نرفو نرش العطر عا الشليش نرش العطر عا الشليش

وتقول احدهن تخاطب شفير التكسي:

يا راعي التكسي السوداء يا راعي التكسي السوداء
دريك وعرة وسنوده وعلا دريك وعره وسنوده وعلا
اسحب من دمي بنزين اسحب من دمي بنزين
وبراغيتها من ازنودة وبراغيتها من ازنودة وعلا وعلا
يا بو التكسي المزوق يا بو التكسي المزوق
سوق بينا لا تتعوق سوق بينا لا تتعوق
علا يا عيني علا علا يا عيني علا
نبه على حارسنا نبه على حارسنا
قبل البلد تطوق علا قبل البلد تطوق علا
علا يا عيني علا علا يا عيني علا
قبل البلد تطوق علا
روح تكسي بلدنا روح تكسي بلدنا
على ظهرو خاشوقة على ظهرو خاشوقة وعلا
حبيبي بطل عني حبيبي بطل عني مع ستعشر كوشوكة وعلا
روح تكسي بلدنا روح تكسي بلدنا
على ظهرو دماية على ظهرو دماية علا
ابن عمي بطل عني ابن عمي بطل عني
مع ستعشر صرماية مع ستعشر صرماية علا

وتقول احدهن:

غلبناكم غلبناكم ابعزم الله غلبناكم
لو حطت بالسهل دولة لو قامت بالسهل دولة
اجمال امحلة هولة ابعزم الله غلبناكم
غلبناكم غلبناكم بعزم الله غلبناكم

لو حطت بالسهل عسكر لو قامت بالسهل عسكر
اجمال امحمله سكر ابعزم الله غلبناكم ابعزم الله غلبناكم
غلبناكم غلبناكم ابعزم الله غلبناكم
لو حطت بالسهل عريان لو قامت بالسهل عريان
اجمال امحمله ذهبان ابعزم الله غلبناكم ابعزم الله غلبناكم

وتقول احداهن بايقاع مختلف:

عن فوق رمش العين الغرة ميالة
صلوا على النبي العروس غزالة
عن فوق رمش العين الغرة مكوية
صلوا على النبي العروس شلبية
عن فوق رمش العين الغرة محلاها
صلوا على النبي العروس يا مبهاتها
عن فوق رمش العين الغرة مقصوصة
صلوا على النبي العروس محروسة

وتقول احداهن:

ميعاد المسا الله ايمسيكم
نويتوا على الفرح جينا انهنكم
ميعاد الصباح الله يصبحكم
نويتوا على الفرح جينا انفرحكم

وتقول:

يا اخيار امقشريا ازنود اديها يا ازنود اديها
طلعت كريمة سموا عليها سموا عليها
مع الصباح طلعت كريمة مع الصباح مع الصباح
والعطرفاح والهوى نسم والعطرفاح والعطرفاح
وين ملاقيكن يا بنات عا دار ابو ساري يا لالا
وشوا فرشولكم يا بنات بساط الحرير يا لالا
وين ملافيكن يا بنات عا دار ابو ساري يا لالا
وشو فرشولكن يا بنات بساط الاكارم يا لالا
يا عود الكينا طولك كريمة يا عود الكينا يا عود الكينا
صبي واسقيننا من نبع خدك صبي واسقيننا صبي واسقيننا
يا عود التينة طولك كريمة يا عود التينة يا عود التينة
جيبني واعطينا من لون اخدودك جيبني واعطينا جيبني واعطينا
يا عود الرمان طولك كريمة يا عود الرمان يا عود الرمان

من خاص الذهبان طولي واعطينا من خاص الذهبان من خاص الذهبان
يا عود الليمون طولك كريمة يا عود الليمون يا عود الليمون
من لون العيون جيبي واعطينا من لون العيون من لون العيون
من حالك ساق السيارة من حال باركول بالعروس يا اولاد خالو
من يمو ساق السيارة من يمو باركول في العروس يا اولاد عمو

وتسمع احدهن تغير اللحن فتقول:

واحنا البنات وغيتنا جلالينا يصفر لونك ولا تقدر تحاكينا
يا ابن العم يا سل الكنايس بنات عمك خطبوهن فوارس
يا بنت العم لا تدعي علينا حكينا فيك ما طلع بدينا
يا ابن العم يا ضمة حرير لحطك بين جنحان واطير
يا قرع يا قرع يا امدحدل على السكة
ابيض من الجبنة واحلو من السكر
ولي امفارق وليف كيف يقدر يحكي
يا قرع يا قرع يا امدحدل على الحيطان
ولي امفارق وليف كيف يقدر ينام

وتدخل بعض المروودات عنصر التحدي والمفاخرة تجاه الفتاة التي اصبحت في عداد
الاسرة بعد زواجها من ولدهم فتقول مخاطبة الحاضرين والحاضرات بنوع من الثبات
وتجسيد محاسن العروس:

وشو اتقولوا في بنتنا يا امراء العرب
وانكان فيها حوفة علينا اللوم والعتب
وان كانت طويلة رمح خيالنا
وان كانت قصيرة بارود ارجالها
وان كانت طويلة يا رمح خيالها
وان كانت سمرا عسل في اجرارنا
وان كانت بخيلة بتربي اصغارها
وان كانت مستورة بتحافظ على اسرارها
وان كانت امعزة تبقى سياج دارها
وان كانت بيضة قمر بضوي دارها
وان كانت بخيلة بتحافظ على مالها
وان كانت كريمة بجيب الصيت لرجالها
وان كانت تحب العلم تسترنا من نارها

وتلهل احدهن وتقول:

والطول طول الرمح والشعر كنو ليل
وعنقها عنق الغزال هياتو يتمايل ميل
والخصر من رقتو هد القوى والحيل
يا نايمين الضحى واتنبهوا في الحال
هيو شميم صاد الغزال الي في البال

وتقول:

هي ائي يا ورفعي راسك يا مرفوعة الراس
هي ائي وما فيك حوفة ولا ما قالت الناس
هي ائي وروحي لا بوك ابوسط السوق وقويلو
هي ائي يا وحنا خواتم ذهب والناس لباسي

وتقول:

هي ائي وحنا بنات الشمس والشمس امنا
هي ائي والبدر ابونا والهلال ابن عمنا
هي ائي روحي لبوك ابوسط الناس وقويلو
لا حدا داسنا ولا ما قالت الناس
هي ائي قومي يا بنت الاجواد قومي
هي ائي يا عرضان فارسي يا زهر ليموني
هي ائي يا زي الامارة تلبس بنت الدلال كوني
هي ائي يا ياسمين امفتح في تشارين وكانون
هي ائي يا تفاح عسيلي والندى عليه بادي
هذي بنتك يا ساري وما يعلا عليك عالي
هي ائي يا بي ساري يا عصبه على راسي
هي ائي يا مركبك من دون المراكب راسي
واتمنيت مركبك يقلب من الذهب صافي
واظل في قلوب الاعادي على مدار الزمن راسي
هي ائي يا اهل الفرح ريت فرحك دايماً
صوت الغناني نبهني وانا نايم
هي ائي يا اهل الفرح ريت فرحك يدوم
صوت الفوارد صحاني من عز النوم
هي ائي يا مرحبا بالامارة ولي ظافونا
هي ائي واخضرت الجبال وكنهم نسيونا
هي ائي وان شاء الله نيجيكم في افراحكم
هي ائي وانضيفكم يا اكارم مثل ما صفتونا

وترددها الاخرى فتقول:

هي ائي يا مرحبا ابمين اجانا
هي ائي والضيف في دار نزل
اشو اتقول ابنتنا يا امير الحج حسين
والكحل في المكحلة والورد عا الخدين
لمين تصلح جوخة ام اكمام
عرفني بخالك ولا يا جيد الخالي
يا بي عبدالله يا الله والغربة ذلتنا
نذر علي يا خيي ون روحتوا عا ديرتنا
يا بي ساري اتمنيتلك في السما بستان
اتمنيتلك محرمة امشنشلة باغلى مرجان
يا بي ساري يا شعري على ظهري
يا ما قلتك يا خالتي وردن على النهر

وتقول احداهن تخاطب من تراه عشنا لها:

يا حبيبي يا شميم انت الشباب امحليها
يا هاشم يا بو حطة دير بالك من الي فوق
وازفك هيه يا ساري على الحلوة ام الذهبان
ونيمك عا صدري استراستريلي فوق
واتباها فيك يا نادي انت الذهب على الراس
واتباها فيك يا ساري انت الذهب المنقة
واتباها فيك يا شميم انت يا كحلي في العين
يوم عرسك يا ساري لتحنا وحنى الابواب

لاطلع ع الطيارة فوق وافكك براغيها
لاطلع على الطيارة وفك اعينون الماطور
لاطلع على الطيارة وغني اشكال والوان
لاطلع على الطيارة ورش العطر من فوق
لاروح ابوسط الاسواق وانقي الخاص الخاص
لاروح ابوسط الاسواق وانقي الحبة الحبة
لاروح ابوسط الاسواق وانقي الحلال الزين
لاروح ابوسط الاسواق وانقي اجمل اللثياب

وتقول احداهن قاصدة تغيير الايقاع النغمي، وخلق الدافعية من اجل التفاعل مع

الحدث:

يا زفتك يا ساري في العصر والله امليحة
يا زفتك يا هاشم بعد العصر الها هية
يا زفتك يا شميم بعد العصر اضوي ضو
يا زفتك يا نادي بعد العصر كلها نور

رشولي عا اكزاز الدار رشولي احلى ريحة
رشولي عا اكزاز الدار رشولي عليه مية
رشولي في اذيال الدار رشولي امعطر جو
رشولي في الجنان رشولي احلا العطور

وتقوا ايضا:

تلبس قلايد ذهب والفعل لخواها

يا شوفة شفرتها عا حيطان ابوها

ولي جوزها نذل ترخي السوالف ليش
اربع جدائل شقرا اصديرها ضمة
والحماسة في ايدها ومتحججة في الزيت
غابت عليها الشمس يا امهيرتي يلا
غابت عليّ الشمس يا مهترتي طيري
غابت عليّ الشمس يا امهيرتي شدي
غابت علينا الشمس يلا بدنا نرتاح
غابت علينا الشمس حظي صرت مجنون
من شدة حزني انا ذبلن ها الخدود
ومن لامس اصديرها تلسع احرور النار
وابتكتب على كفها دير بالك يا محرور
لبعث سلامي انا الك هيه يا مزيون

يا شوفة شفتها اتعبي القطن في الخيش
يا شوفة شفتها بتنقش وتلمي
يا شوفة شفتها من بيتها للبيت
يا شوفة شفتها بين اكروم رام الله
يا شوفة شفتها بين كروم التين
يا شوفة شفتها بين كروم اللد
يا شوفة شفتها بين اكروم التفاح
يا شوفة شفتها بين كروم الليمون
يا شوفة شفتها بدنن على العود
يا شوفة شفتها تحصد ابعالي النهار
يا شوفة شفتها بتغمرفي الغمور
يا شوفة شفتها بتعدد قطر الدموع

وتقول:

يا قدر على النار وبيدي رديتو
وافرح يا قلبي هذا الي تمنيتو
يا قدر على النار ويا لحم ضاني
وافرح يا قلبي جوزنا هل الغالي
يا قدر على النار ويا رز وحليب
وافرح يا قلب جوزنا هل الحبيب

وتقول:

ونا قاعد على الدرج ودموعنا مثل البرد
والحمد لله ياربي ما بعد الضيق الا الفرج
ليلة سعيده والقمر على داري
كلو على شانك ياساري يا غالي

عندها تتدخل احداهن وتغير مجرى الايقاع النغمي، بكلمات لها دلالات خاصة، وتحمل

رمزية شفافة، حيث تتفوه النسوة بمفردات ويراد بها امور اخرى، غير المصرح بها:

محلّي شميم العريس وامو اتغنيلو
محلّي شميم العريس تفرحلو خياتو
محلّي شميم الاميراسمرظريف الطول

محلّي حمام الدار محلّي زغاليلو
محلّي حمام الدار ومحلّي برمات
محلّي حمام الدار لما ابيرجم ويقول

وتقول ايضا:

جيت اغني لساري امو ماني شايفها
جيت اغني لهاشم اختو ماني ميريهها
وحنا جينا عزومة مش حيا الله
وحنا جينا عزومة من ام العروس
وحنا جينا عزومة من ارض الشام
وحنا جينا عزومة يا اجاويد
وحنا جينا عزومة يا اهل الدار
وحنا جينا عزومة يا اهل الاصول

ياريت عرسك امبارك انا جاي افرحها
ياريت فرح امبارك ونا جاي اهنيها
على صيترك بو ساري يا ما شاء الله
على صيترك يا هاشم تلمع سيوف
على صيترك بو ساري نلبس ذهبان
على صيترك يا هاشم نلبس جديد
على صيترك بو ساري نشتل الغار
على صيترك يا شميم نسكن قصور

وتقول احدهن مظهرةً حالة الخلاف التي قد تقع بين ام العريس والعروس، وكيفية حالات التمني التي نسمعها على لسان العروس، ومثل ذلك يأخذ منحى خاصا في رسم العلاقة بين الجميع:

امو يا أمو اخليلو امو سبع كناين تعبر عا امو
جايبلي شمام ما باكل شمام حتى عا الحمام لحقتني امو
جايبلي بطيخ ما باكل بطيخ حتى عا المريخ لحقتني امو
جايبلي ثومي ما بوكل ثومي عا غرفة نومي تلحقني امو
جايبلي فقوس ما بوكل فقوس حية ابسبع روس تقرصلي امو

امو يا ومو يحرق شيب امو
من ثقب الحمام اتراقبني امو
حياة ابسبع روس اتزغزغلي امو
حياة ابسبع روس اجنلي امو
حياة ابسبع روس تصرد راس امو
لي ولا امك تحرق شيب أمك
دولة علي بيك بطارد في أمك
أمي في الحارة وأمك في الحارة
دولة نصارى اطربق ورا أمك
أمي في فقوس وأمك في فقوس
حياة باربع روس تقرصلي أمك
يا اصحون امطبق بالسمن امغرق
لني بطلق ما بطعم أمك
يا سمك بوري بين القبور
يا حية طولي تقرصلي أمك
أمي صدر البيت وأمك قاع البيت

دولة علي بيك اطربق ورا أمك
وقف تقلك وقف تقلك
اللحمة الي والعظمة لامك

وتردف احداهن بنغم مغاير:

غنين تا تتعبن عدد صرار الوادي
كل يوم يدخل عريس وتظل ها العادة
غنين تا تتعبن في عرس هاشم يا بنات
كل يوم ندخل عريس ودوم ها العادات
وين ام العريس تا نيحي وانهيها
نرقص وانغني في جو علائها
وين ام العريس تا نيحي وانفرحها
تا نيحي نرقص وانغني في مطارحها
وين ام العريس تترقص وتقول
ساري يا المزيون يسلملي عمرك
وين ام العريس جيبوها قوام
تا ترقص وانغني ابغزود لال

وتقول احدي صديقات العروس بعد الحناء:

حنيتها واركيته عالمانية
قال ابوها مبروكة ها الغالية
حنيتها واركيته عا خزانته
قال ابوها مبروكة عا عيلته
حنيتها واركيته عا البلوطة
قال ابوها مبروكة ها المسخوطة

وتقول احداهن على لسان العريس:

سوسحتني يا لمى في لبسك وملبوسك
الله اخلي امحبيتك واظلي في ناموسك

وتتداخل ملامح العريس مع صفات العروس:

حنة يا حنة يا ورق السريس
والحنة لايق على ايدين العريس
حنة يا حنة يا ورق الزيتون

والحنة املايم عا ايدين الغندور
حنة يا حنة يا ورق الزعرور
والحنة املايم على ايدين المزيون
حنة يا حنة يا ورق التفاح
والحنة املايم على ايدين الملاح
يا راشارات العطريا غاويات
يا راشارات العطركفراويات
يا راشارات العطرعلى الجيبة
طايحات على الساحة ابعزة وهيبة

وتقول احداهن وتريد مكايده أم العريس:

يا اجرين الصوصة يا أم العريس يا اجرين الصوصة ياهيه
طول عمرك مغصوصة يا أم العريس طول عمرك مغصوصة ياهيه
يا اجرين الجاجة يا أم العريس يا اجرين الجاجة ياهيه
من يومك غناجة يم العريس من يومك غناجة ياهيه
يا اجرين القرقة يا أم العريس يا اجرين القرقة ياهيه
من يومك امقرقة يا أم العريس من يومك امقرقة ياهيه

وتقول احداهن من أجل مناكفة من يتزوج غريبة:

لزعق زعاق الطير عا حيطان أمي أقدم سبع اسنين واخذ ابن عمي
لزعق ازعاق الطير عا ظهر العريش لقدم سبع اسنين واخذ أبو الشليش

وتقول لإظهار حالة الصراع بين البيضة والسمرة:

ارحم يا ربي ارحم البيضة والسمرة ما ابتحب لها سنيورة
أنا السمرة السمورة بغرد مثل العصفورة
يا بيضة يا مصفورة مثل الليمونة مهربية

وتقول احداهن قاصدة تغيير مسار اللحن:

عندكم فرح جينا انهنيكم	الله ايمسيكم الله ايمسيكم
عندكم فرح اهل الدلال	الله ايمسيكم ومسي الغالي
عندكم فرح يا اهل الجهاد	الله ايمسيكم ويمسي البلاد
عندكم فرح اهل المنارات	الله ايمسيكم ويمسي الحارات
مريتوا عا الفرح تتشوفوا حسنو	الله ايمسيكم كل واحد باسمو

وتدخل احدهن بقول يثير خاصية معينة مقصودة، عند النساء والرجال على حد سواء:

ثلاثة واربعة سبعة واثنين تسعة يا حمام البر بيض وفقس تسعة
وقلي كيف الارملة بتنام بلا تسعة وكيف بطيق الغطا
عندها تسمع القهقهات والهمسات المقصودة، وترى الغمزات التي تنم عن استغراب
خاص، الا ان من تفوهت بالذي اثار الفضول لا تأبه لذلك، وتتواصل مع الجموع النسوية،
مستجيبة للحدث، وتسمع ايقاع الطبله بخاصية معينة:

عددوا المهرة عددوها قوام تيجي شميم ابو احسن قوام
عددوا المهرة وشدوا عليها تيجي شميم ويركب عليها
عددوا المهرة وقولوا يا ستار تيجي ساري ابو اخذ العطار
عددوا المهرة وقولوا يا لطيف تيجي هاشم أبو الحسن اللطيف
عددوا المهرة وشدواها اللجام تايجي شميم ويركبي قوام
عددوا المهرة واسرجوها بامان تايجي نادي ابو الحسن الفتان
عددوا المهرة شموها الورود تا ييجي ساري ابو العيون السود
عددوا المهرة ومشوها للامام تايجي العريس ابو الحسن الفهمان

وبعد هذا الحماس والتفاعل من مجموع النساء، وما تردده من همسات صادحة تسمع احدهن تقول وهي تعد لزغردة بعد الهالاهل:

هي يا راكب مهيرة الغرة
هي ما حملها ذهب صرة
هي يا ساري ان ذكرت الله
هي يا عروستك كاملة وحررة^(٢٩)

وتقول احدهن:

احلق يا حلاق وامسح بالشفرة واحلق يا حلاق وقصلو غرة
وامسح جبينه ابمحرمه خضرا ورشلي عليه جورية وعطرة

وتعود النسوة إلى مخاطبة العريس من جديد، بعد أن تهلّل مستجيبات مع الحدث:

قلي وين ازفك يا بو عيون السود
على بيرزمزم اتوضى الرسول
قلي وين ازفك يا بو عيون اوساع
قلي وين ازفك يا بو هدم انظيف
أزفك في الساحة والشعر طويل
قلي وين ازفك يا أسمر يا زين

ع الصخرة الشريفة وعما النبي روبين
قلي وين أرفك لبسني الخلخال
في الشارع المشجر وفي أرض الخلال
في الصخرة الشريفة وأبوابها الوساع

وتبدأ النسوة إلى تجسيد أوصاف العريس الخارجية، وتعداد ملامحه التي ترى فيها كل من الهاتفات والمنشدات الشيء الايجابي الذي لا بد من تخليده او اثاره مفاتنه حتى يكون قريبا من النفوس المتلقية لما تشدو به حناجرهن، لذا تحاول كل منهن ان تجسد ما تراه من ملامح قد تكون حقيقية وقد تكون تخيلية.

عريسنا يا بسو ساعة لماعة
مرق ظعننا من بين الجماعة
هيه يا ذيب الخلايا بوقميص
في بلدنا عجيبه زفة عريس
هيه ياريم الخلايا بوقمصان
في بلدنا عجيبه زفة عرسان
ريت العريس يعدم بنات اعمامو
طاح الزفة ما رقصن قدامو
ريت العريس يعدم بنات العيلة
طاح الزفة ما هلن هليلة
يا رايحة لام العريس قولي لها
عريسنا طاح الزفة جعان
كزبت له ميتين جاجة محمرة
يوكل ويظعم جملة العرسان^(٣٠)

وتقول اخرى:

مرق يا ساري من الحارة مرق
والعنق شبرين وهيك الله خلق
مرق يا ساري من الحارة عريس
والعنق شبرين ومن فوق القميص
مرق يا ساري من الحارة وسيم
والعنق شبرين وهيك التقاسيم
مرق يا هاشم من الحارة ابدلال
والعنق شبرين واخذتو بالحلال
مرق يا هاشم من الحارة عرقان
والعنق شبرين وفي حب غرقان
مرق يا هاشم من الحارة ابريحة

والعنق شبرين واخذ المايحة

ومع وصول موكب العريس إلى المحطة الأخيرة من مسيرة الزفاف، تنسحب النساء ويبقى العريس معتلياً فرسه في ساحة الرجال، وتبدأ عملية مناكفة العريس بمفردات تنم عن رمزية شفاقة، بعدها يجلس في مجلسه المخصص، أو يشترك في مسابقة الخيل، أو أية ألعاب أخرى يعتاد عليها الناس، لذا نسمع أحدهم يقول:

هينا واحبس لا تمشيش
ع شان امات الشليش
هينا واحبس في الشارع
بيضة والسدر دالع
يا ساري يا بو حطة
من وين صايد هل البطة
يا هاشم يا بو عقال
من وين صايد هل الغزال
يا ام ثوب امطرزتية
بالله من وين طرزتية
طرزتو في بيرزيت
كل غرزة برطل زيت
الموت ولا الذلية
انا ابن الرفتية
شامم ريحة حندقوق
دير بالك من الى فوق
من غمزات عيونك مجروح
يا روحي ويا عيني

وعندما يحتدم الصراع بين الصفيين من السحيجة، تسمع أحدهم يهتف بعلو صوته، يتحدى اقرانه فيقول:-

خلوا الزعامة للزعيم والناس تلزم حدها
ولي احاربنا انحاربه وبالسيف نقطع شاربه
ويا شيخ علمك ما وصلنا من قبل ما ايهب الفزيع
والله لو كنا علمنا ارواحنا عندك نبيع

وبعد ذلك الاحتدام ينبري أحدهم حتى يغير الايقاع المتدفق، الحامل في طياته الدافعية نحو تأصيل الحدث، بايقاعات خاصة فيقول:-

سيروا على ما قدر الله ولكاتبة ربك ايصير
ويارب أستر ما نويانا يا امهون الأمر العسير

كل ذلك يرينا مدى استجابة المحتفلين؛ ما يدفع بأحدهم أن يبادر إلى جمع (النقوطة) للعريس، لذا يبدأ المحبون، وأهل الرأي بتقديم المال للعريس وأحدهم يسجل أسماء المتبرعين كي يبقى ديناً في ذمة العريس وأهله حتى يساعدوا غيرهم في المستقبل، ومع حلول الظلام يأخذ كبير القوم بيد العريس، ويسيروا بعد تناول العشاء إلى بيت الزوجية، ويتبرع أحدهم بإظهار المشورة للعريس، ونسمع الهتاف الجماعي:

شطبنا اسم العريس من دفتر العزوبية
شطبنا اسم العريس من دفتر العزوبية
عبلة عا اللوج ابتستناك يا عنتر
عبلة عا اللوج ابتستناك يا عنتر
من حالو ساق السيارة من حالو
باركولوا في العروس يا اولاد خالو
من يمو ساق السيارة من يمو
باركولوا في العروس يا اولاد عمو

وتهزج احدى النساء السائرات مع الركب، بعد ان تغير اللحن بوساطة الطبلبة التي تتفنن بايقاعاتها بعض النساء فتقول:

يا شوفير ادعس بنزين عا المية وتسعة وتسعين
يا شوفير دوس دوس الله يبعثلك عروس
يا شوفير لا تهتم بكرا عرسك يا ابن العم
يا شوفير غض الطرف خاف لا يجيك الضرب
يا شوفير يا ابو سيجارة حرص من اهل الحارة
يا شوفير اطلع ها الطلعة الله ايكبرلك ها الصلعة
يا شوفير يا فهمان تغمزلك ام الذهبان
تغمزلك ام الذهبان تغمزلك ام الذهبان

وتقول ايضا تصف السيارة وصاحبها:

وعجاله زبيب تمبيلك يا هاشم وعجاله زبيب
تا ركب الحبيب سايق عليك الله تا ركب الحبيب
واعجاله تفاح تمبيلك يا محمود وعجاله تفاح
تا ركب الملاح سايق عليك الله تا ركب الملاح
واعجاله خروب تمبيلك يا محمود وعجاله خروب

تا ركب المحبوب سايق عليك الله تا ركب المحبوب
وعجالة رمان تمبيلك يا أحمد وعجالة رمان
بعطيك الذهبان تتركب المحبوب بعطيك الذهبان
وعجالة دراق تمبيلك يا محمود وعجالة دراق
تا ركب الملاح سايق عليك الله تا ركب الملاح

وتقول أخرى:

سوق وانت سايق يا لالا	سوق وانت سايق يا شوفير
واحمولك عرايس يالالا	واحمولك عرايس يا شوفير
سوق عا رام الله يا لالا	سوق عا رام الله يا شوفير
واحمولك ما شاء الله يا لالا	واحمولك ما شا الله يا شوفير
سوق على ريحا يالالا	سوق على ريحا يا شوفير
والعروس مليحة يالالا	والعروس مليحة يا شوفير
سوق وانت ماشي يالالا	سوق وانت ماشي يا شوفير
لا اتحمل بلاشي يالالا	لا اتحمل بلاشي يا شوفير
سوق وانت الاول يا لالا	سوق وانت الاول يا شوفير
والعريس امه جول يالالا	والعريس امه جول يا شوفير
سوق على عمان يالالا	سوق على عمان يا شوفير
حمل ام الذهبان يالالا	حمل ام الذهبان يا شوفير
سوق على اربد يالالا	سوق على اربد يا شوفير
والعروس ابتحرز يالالا	والعروس ابتحرز يا شوفير
سوق بلا محرمة يالالا	سوق بلا محرمة يا شوفير
والعروس اموجبة يالالا	والعروس اموجبة يا شوفير
سوق وانت شايف يالالا	سوق وانت شايف يا شوفير

وتقول احدهن:

ساري لافي على أمويا مرحبا	يا شوفير اضرب زاموروكهريا
شميم لافي على أمويا مرحبتين	يا شوفير أضرب زاموروكهريتين

ومع وصول المركب إلى دار العروس، تبدأ النسوة بالترويد لها، ومخاطبتها بلغة ايقاعية استقطابية خاصة:

بدي تكسي وأهلي معي تنتخي	بدك تكسي ولا فرس تركبي
بدي تكسي واتباري الحمولة	بدك تكسي ولا فرس مكحولة

بدك تكسي ولا فرس يا نشمية بددي تكسي واتباري الكلية

ويعد ركوب العروس في سيارة الفاردة، تخاطبها النساء بلهجة خاصة:
ادعس يا شوفير ادعس ولا ايهمك جنبنا لك عروس اتزول همك
يا هلا بيه يا هلابه يا هلا بالتكسي الي جابه
ان كان جايب أبو ساري في الحنة لحنني بابه

ويقلن ايضا:

ركبنا التكسي وامشينا وما شاورنا أهالينا
تسلم عينة ها الشوفير ما زيت الماكينة
اركبنا التكسي الاحمر وامشينا عا ضوالقمره
قتله قديش اتريد قلبي بوسة يا سمرة
واركبنا التكسي البيضة ووصلنا لصريدة
قتل قديش اتريد قلبي بوسة يا سعيدة
واركبنا التكسي الخضرا واسهرنا سهرة قمره
قتله قديش اتريد قلبي بوسة يا حسرة
قتل قديش اتريد قلبي بوسة يا حسرة
قلي بوسة يا حسرة وقلبي بوسة يا حسرة

وتقول احدهن:

ديروا المية الصافية عا الباذنجان
امبارك ما سويتوا يا أهل العرسان
ديروا المية الصافية على الحارة
امبارك ما سويتي يا هالجارا
ديروا المية الصافية عا البندورة
امبارك ما سويتي يا سنيورة

وتقول أيضا:

أول مانبدي عا النبي انصلي ونعلق ذنيها ذهب عسلي
جوز المليحة يعبر ويصلي وجوز الشنيعة عا الطوابينا
أول مانبدي عا النبي الهادي نعلق ذنيها حلق رشادي
جوز المليحة يعبر وينادي وجوز الشنيعة عا الطوابينا
أول مانبدي عا النبي الرسول نعلق ذنيها حلق العصفور

جوز المليحة يعبر بالدستور وجوز الشنيعة عا الطوابينا

إلى أن يصل موكب الرجال إلى بيت العريس، ويدلف العريس بصحبة والديه والمقربين، ويجلس إلى جانب عروسه بعد أن يلسعه أحدهم لسعة تنم عن خبث خاص، لأن تلك اللسعة لها دلالات معينة عند الشباب، أو يقدم أحدهم ويضربه بأحدى يديه، وتكون النساء قد وصلت إلى منزل العريس قبل وصول الرجال، ما يجعل عملية المباهاة والتشكرات متبادلة بين الطرفين:

يخلف على بو محمود	يخلف على بو محمود
طلبنا النسب منو	واعطانا بناتو الثنتين
يخلف على بو محمد	يخلف على بو محمد
طلبنا النسب منه	وعطانا غزال مصور

وتخرج النساء في موكب جلل، وتبدأ الحادية تردد كلمات لها معنى خاص، وبالذات عندما يسير الموكب ماراً في شوارع القرية، لأن القرى تتمتع بخصال اجتماعية خاصة، حيث الأسرية والحمائلية والعشائرية والقبلية وتوابعها، هي السائدة والسيطرة على قيم المجتمع القروي وثقافة أبنائه، لذا نجد النصوص القولية الشعبية حافلة بهذه المعطيات، إذ تعتمد بعض النساء إلى تفعيلها والتوكيد عليها حتى تستعذب ما تهدف إليه من أمور محسوسة، تعلمها كما يعلمها غيرها من الناس:

لورا يا خيل اعدانا لورا	واردين ع العين والحرس مرة
لجنب يا خيل اعدانا لجنب	واردين ع العين والحرس كلب
لقدام يا خيل اهلنا لقدام	واردين ع العين وحنافي امان
جوري يا خليلية	جوري واقطعي المية
هات يا خط القلم بالتلفون	والي بدو الحليوة يجي لهون
هات يا خط القلم بالورق هات	والي بدو الحليوة يجي ويبات ⁽³¹⁾
اتلوا يا شعر الحية على الدية	والشيخة الك ساري الها هية
اتلوا يا شعر الحية على الديات	والشيخة لابو ساري الها هيات
اتلوا يا شعر الحية على البنات	والشيخة الك هاشم لها الهيات
اتلوا يا شعر الحية على الجرّة	والشيخة الك شميم الها نظرة
اتلوا يا شعر الحية على الابريق	والشيخة لابو نادي والله بتليق
اتلوا يا شعر الحية على الذهبان	والشيخة معك نادي عزوأمان
اتلوا يا شعر الحية على الصلبنان	والشيخة الك ساري هيه يا فهمان
اتلوا يا شعر الحية على النهود	والشيخة الك ساري عن الجدود
اتلوا يا شعر الحية على الانهار	والشيخة الك ساري عز وفخار

والشيخة الك هاشم تحيي الغريق
والشيخة الك شميم عز الرجال
والشيخة الك ساري هي من زمان
على حدك خديجة طلق الريحان
على حدك يا مريم خفيضة دم
وارقص وغني قدام
نخطبل غزال امصور

اتلوي اشعر الحية على المحيط
اتلوي اشعر الحية على الجبال
والشيخة الك هاشم هية يا فهمان
كيف كيف يا ساري مالك زعلان
كيف كيف يا هاشم ولا تهتم
عقبال يا شميم عقبالو
عقبال يا شميم لالول

ومع خروج العروس من بيتها الأول تسمع اقوالا ملحنة مؤثرة:

تعي يا عروس تانتودعي
من جوا الشباك طلي وارجمي
انا الغربية وديرو بالكو عليي
طية عربية وطية افرنجية
وشوها الذنب الي عملتو بعد المعروف
لاخذ غيرك واهمك والعين اتشوف
لاخذ غيرك بدالك والعين اتشوف
لاخذ غيرك حقارة والعين اتشوف
لاخذ بدالك مية والعين اتشوف
واخذ غيرك واكيدك والعين اتشوف

عا المودعي عا المودعي
عا المودعي عا المودعي
طلت من الشباك وقالت هيه يا بيبي
لبسك الابيض طية على طية
وهيه ياريم الضلا وقف تشوف
وقف لبنت عمك ماني يمك
وقف لبنت خالك ماني مالك
وقف في نص الحارة لبنت الجارة
وقف للشلبية عا العلية
وقف لبنت سيد اما باريدك

وتقول احدهن تحت العروس على النهوض للخروج من بيت اهلها:

قومي اطلعي قومي اطلعي مش همك
وحنا دفعنا حقوق ابوك وعمك
قومي اطلعي قومي اطلعي لخالك
وحنا دفعنا حقوق اهلك وخوالك
قومي اطلعي قومي اطلعي يا زينك
وحنا دفعنا راس والمال والدين

وتسمع احدهن ترود بلحن عتيق يشترك في ترديده اهل الشام كلهم:

عا الصالحية عا الصالحة يا وردة جورية وامفرحة
جابلي وجابلي عقد اللوريتو يلبق لي
حاكيتوشي؟ لا والله، نغشتوشي؟ لا والله
ونا لعندورايحا عا الصالحية عا الصالحة

وتغني أخرى:

عا الروزنا عا الروزنا كل الهنا فيها
شو عملت الروزنا الله ايجازيها
يا رايعين عا حلب حبي معاكو راح
يا امحملين العنب تحت العنب تضاح
كل مين حبيبو عندو وانا حبيبي راح
ياربي نسمة هوا اترد الولف ليا

وبعدها يسمع المرء إحداهن وهي تردد:

يخلف على ابو ساري يخلف عليه مرتين
طلبنا النسب منه واعطانا بناتو الثنتين
يخلف على ابو محمد يخلف عليه للاول
طلبنا النسب منه وعطانا غزال مصور
طلعت المزيونة زينة هل بنات
امنقشة بالحنة وتلبس السوارات
طلعت المزيونة تتجمل الدار
يا خدودها الحلوة اضوي المدارات
أعطونا عروستنا يا اهل الدار
أعطونا عروستنا ضو النهار
أعطونا عروستنا يا أهل الخير
أعطونا عروستنا تلبس حرير

عندها تسمع احداهن وقد غيرت اللحن وبدات بالمهااة التي تجسد تفاعلها مع الحدث:

يا بي ساري يا ثوب الجنازيري
يلي كلامك بصابي عا المصاريني
وان طالك الظيم يا اختي تعاليلي
وانا طول عمري كيااد الرجاجيلي

وتقول:

هوا يا هوا لا اطيير منديلو
وانت يا هاشم عزيز على جيلو
هوا يا هوا لا اطيير عباتو
وانت يا نادي عزيز عا حلواتو
رنت الصينية على عمان
والحلوة زعلانة بدها ذهبان

بالالف رظيها واعطيها
يا شميم يا غالي هيه يا فهمان
الوادي الوادي مشيها ياساري
الوادي الوادي الله معو الله
ذهب رشادي لبسها يا هاشم
ذهب رشادي الله معو الله
الوادي الوادي مشيها ياساري
الوادي الوادي الله معو الله
خاتم واقلادة لبسها يا شميم
خاتم واقلادة الله معو الله
الهيشي الهيشي مشيها ياساري
الهيشي الهيشي الله معو الله
قص الشليشي علمها يا شميم
قص الشليشي الله معو الله
بين الدوالي مشيها ياساري
بين الدوالي الله معو الله
ذهب عسلي لبسها يا هاشم
ذهب عسلي الله معو الله

ولما تصل العروس مع موكبها وتدخل إلى بيتها الثاني (الزوجية) يبدأ الحاضرون

بالإنشاد:

ميلي ياريحانة والعروس زعانة
حلفت ما بتحنا تايجي العراني
حلفت ساجدة ما بركب عا الفرس
الا في زفة وحواليها حرس
حلفت يا مريم ما تمشي على الارض
الا في زفة وحواليها مية
حلفت يا نهاد ما تمشي في الساحات
الا في زفة وحواليها جاهات
حلفت خديجة ما تلبس على الموظات
الا لساري لبسها إسوارات

وبعد جلوس العروس إلى جانب عريسها، تسمع الترحيب والاهتمام من الجميع، ومن ثم يطلبون منها مشاركتهم بالرقص ان كانت بمفردها، او مع زوجها، عندها تسمع الغناء

التحفيزي لها كي تتشجع وتبدا عملية الرقص، لذا تقول النسوة:
 طيحي ارقصي يا كريمة بالمحارم
 بيك هلي انتخالك ريتو يجعلو دايم
 طيحي ارقصي يا هالة ببريق الزيت
 الله ايخليك ساري قنديل البيت
 طيحي ارقصي خديجة بالمناديل
 ربي ايخليك ساري عمرو طويل
 طيحي ارقصي خديجة في اذيال الدار
 الله ايخليك ساري شههم ومغوار
 طيحي ارقصي خديجة في قاع البيت
 الله يحميك ساري شمعة البيت
 طيحي ارقصي خديجة بنت الدلال
 الله يحمي عريسك ابن الحلال
 طيحي ارقصي خديجة وما حد قدك
 يا ساري يا حبيبك قدو ابقدك
 طيحي ارقصي خديجة ام الذهبان
 على حدك يا ساري طلق الريحان
 طيحي ارقصي خديجة بالجدائل
 حتى ايشوفك حبيبك والحمائل
 طيحي ارقصي ساجدة ابوسط الدار
 تيجي حبيبك يا طلق الغار

ومع انتهاء السهرة في بيت العريس، وقد اجتمع شمل العريسين تحت سقف واحد،
 تجتمع مجموعة من النسوة يعرفن بحبهن للمرح ويدعون إلى لعبة الشيلة او الطيارة
 او الدبكة النسائية، ويتحلقن وتبدأ احدهن بالأنشاد ويرددن من ورائها وهن يهدسن الارض
 بارجلهن، ويتميلن استجابة للحدث، عندها يتدخل أحد الصبية بايعاز من احدهن،
 ويبدا بايصال اطراف اغطية رؤوس المتحلقات مع بعضها، ومع الحركة الاولى وديمومتها،
 تتساقط اغطية رؤوسهن وتظهر شعورهن، ما يثير الحرج او السخط عند بعضهن فتحدث
 الجلبة فيما بينهن، وتتهم احدهن الاخرى فيما حدث، عندها تسمع القهقهات والهمس
 المتبادل، وبعدها نسمع الإيقاع المتجدد:

شالت شالت شالت	وحق النبي شالت
شالت شيلوها	وعلى جمال ابوها
ويوم خطبوها	ادموع عيني شالت

وحق النبي شالت
وحطت عا بلدنا
وها العشرة ما طالت
وحق النبي شالت
وحطت عا رام الله
ردي العصبه مالت
وحق النبي شالت
وحطت على ريحا
وردي العصبه مالت
وحق النبي شالت
وحطت عا المدينه
شاحت مناديلها
وحق النبي شالت
وحطت على العين
ذبلت لها عيني
وحق النبي شالت
حطت على الخواص
عانقتني في الباص
وحق النبي شالت
وحطت عا العاللي
تهنى بالدلاللي
وحق النبي شالت
وحطت على بيروت
ردي الكحلة سالت
وحق النبي شالت
وحطت عا الفواره
موعدنا في المغارة
وحق النبي شالت
وحطت على جنين
احضن ها الزغاليل
وحق النبي شالت
وحطت على ريحا
بتبرجملك عا الدوم

شالت شالت شالت
شالت عا بلدنا
وسوسحت ولدنا
شالت شالت شالت
شالت عا رام الله
حليوة ما شالله
شالت شالت شالت
شالت على ريحا
يابنت يا مليحة
شالت شالت شالت
شالت عا المدينه
والبنت المليحة
شالت شالت شالت
شالت على العين
والسمرة المليحة
شالت شالت شالت
شالت على الخواص
والبنت المليحة
شالت شالت شالت
شالت عا العاللي
يا ساري يا غالي
شالت شالت شالت
شالت على بيروت
يا حلوة يا ام كبوت
شالت شالت شالت
شالت عا الفواره
حبيبي يا غالي
شالت شالت شالت
شالت على جنين
يا حلوي يا نادي
شالت شالت شالت
شالت على ريحا
هالةها المليحة

شالت شالت شالت وحق النبي شالت
شالت على الاغوار وحطت على الاغوار
ابووجه امـدور بغنيك دلـعونا
ابووجه امـدور بغنيك دلـعونا

وتقول النساء مظهرة اخلاق وكرم اهل العروس:

يخلف على بوساري يخلف عليه لـلاول
طلبنا النسب منو واعطانا غزال امـصور
يخلف على بو تيسير يخلف عليه بالثاني
طلبنا النسب منو واعطانا جوز الغزلان
يخلف على بو ساري يخلف عليه خلفين
طلبنا النسب منو واعطانا بنات الثنتين

واذا كانت احدى النساء ليست راضية على العروس شكلا او سلوكا، تحفز الاخرين على رفضها والمشاركة بتانيها نفسيا وتعنيفها اذا اقتضى الامر ذلك، او تسمعهن ينشدن المواويل لتبيان قبـحها، والتشهير بقـبـحها ان امـكن ذلك، كما فعلت احدهن عندما قالت تعير العروس بقـبـحها، فهي ليست وسيمة كما ترتئي:

يا رايح على الدير ملي عبك اخيار لا صالحة املـيـحة ولا ابتـحـرز المشوار
يارايح على الدير ملي عبك فقوس لا صالحة املـيـحة ولا ابتـحـرز الفلوس
يا رايح على الدير ملي عبك ملفوف لا صالحة املـيـحة ولا ابتـحـرز الدفوف
يا رايح على الدير ملي عبك بطيخ لا صالحة املـيـحة ولا ابتـحـرز الطـيـخ
يا رايح ع الدير ملي عبك شمام لا صالحة املـيـحة ولا ابتـحـرز (الشـمـال)
يا رايح ع الدير ملي عبك حنون لا صالحة املـيـحة ولا ابتـحـرز المنون
يا رايح ع الدير ملي عبك زعرور لا صالحة املـيـحة ولا ابتـحـرز الشـحـرور
يا رايح ع الدير ملي عبك ليمون لا صالحة املـيـحة والي اجوزها مجنون

وتعيرها النساء بملامحها الخارجية فتقول:

يا شـرمة ردي المـقـلا
حلف جوزك ما بقرا
حلفتوا عا الطـشـطية
اجت عينو مـفـقية

وتقول:

انزلت عا البحر عطشان
اشربت وارجعت عطشان

يحرّم عليّ النسوان
ان ما اخذت لطفية

وتقول:

يا ربي تطلع يا ربي تطلع
والخشة ازغيرة والباب امخلع

وتقول:

يا صالحه قومي افرشي
حاجي ابكفاك تتهرشي
من اول يوم لا اتعشري
بنتك مثلك امبوزا
بنتك مثلك امبوزا

وتفيد بعض المنشدات من الأغاني المذاعة عبر الأثير وإيقاعاتها حيث تدخل عليها بعض التعديلات أو المفردات تتلاءم مع الموقف في حينه، كما تقول إحداهن:

عَا النَّدَا النَّدَا النَّدَا	وَالوَرْدِ امْفَتَحْ عَا خَدَهْ
وَإِذَا مَا أُعْطَوْنِي إِيَّاكَ	الْجِبَالِ الْعَالِي لَهْدَهْ
وَالنَّدَا نَزَلَتْ عِ السُّوقِ	لِقِيهَا أَحْمَدُ بِرُوقِ
وَأَعْطَاهَا سَلَّةَ بَرْقُوقِ	وَأَخَذَ بَوْسَةَ مِنْ خَدَا
عَا النَّدَا النَّدَا النَّدَا	وَالوَرْدِ امْفَتَحْ عَا خَدَهْ
وَإِذَا مَا أُعْطَوْنِي إِيَّاكَ	الْجِبَالِ الْعَالِي لَهْدَهْ
وَالنَّدَا نَزَلَتْ عَمَانَ	لِقِيهَا أَحْمَدُ شَدَهَانَ
وَأَعْطَاهَا سَلَّةَ رَمَانَ	وَأَخَذَ بَوْسَةَ مِنْ خَدَا
عَا النَّدَا النَّدَا النَّدَا	وَالوَرْدِ امْفَتَحْ عَا خَدَهْ
وَإِذَا مَا أُعْطَوْنِي إِيَّاكَ	الْجِبَالِ الْعَالِي لَهْدَهْ
وَالنَّدَا نَزَلَتْ بِغَدَادِ	لِقِيهَا أَحْمَدُ مَقْدَادِ
وَأَعْطَاهَا أَرْضَ الْقَبْقَابِ	وَأَخَذَ بَوْسَةَ مِنْ خَدَا
عَا النَّدَا النَّدَا النَّدَا	وَالوَرْدِ امْفَتَحْ عَا خَدَهْ
وَالنَّدَا نَزَلَتْ أَسِيوُطِ	لِقِيهَا أَحْمَدُ عَطْعُوطِ
وَأَعْطَاهَا حَبَّةَ بَلُوطِ	وَأَخَذَ بَوْسَةَ مِنْ خَدَا
عَا النَّدَا النَّدَا النَّدَا	وَالوَرْدِ امْفَتَحْ عَا خَدَهْ
وَالنَّدَا نَزَلَتْ رِيحَا	لِقِيهَا أَحْمَدُ شِيحَا
وَأَعْطَاهَا سَلَّةَ رِيحَا	وَأَخَذَ بَوْسَةَ مِنْ خَدَا
عَا النَّدَا النَّدَا النَّدَا	وَالوَرْدِ امْفَتَحْ عَا خَدَهْ

والندأ نزلت بيروت لقيها شحتة الستوت
وأعطاها شال المدقوق وأخذ بوسة من خدأ

نرى ان هذه الأقوال الغنائية الشعبية هي بمثابة سلم اجتماعي يستطيع أي إنسان أن يرتقيه، أو يحوره بالكيفية التي تلائم بيئته وهيئته؛ فالموروث القولي هو بمثابة تثبيت المزايا في هذا البلد، وإن بدا الحال يتغير والصورة تتلاشى، لأننا نستطيع أن نرى المستقبل من خلال هذه الأنماط، كما استطعنا رؤية الماضي والحاضر، وهذه الأقوال قد ترينا سمات المجتمع وتطلعاته، اذا ما استطعنا الغوص في عمقها، والتألف مع معانيها والقيم التي تستحوذها، أو تفوح من عندياتها ومقوماتها؛ فهي مساندة فاعلة في صيرورة المجتمع وتحولاته، وإن ضعفت عملية التواصل معها.

أغاني الطهور (الختان)

الطفل أفضل من يجعل الاتصال قائماً بالحياة والمحيط معاً؛ فهو يرينا كيف تكشف عن مكنوناتنا، ونظهر ما نحمله من أشياء متعددة، فهو (أي الطفل) يؤثر على أفكار الناس ويتأثر بها، فهو صادق في التعبير عن همومه والأخزين، حيث يرينا كثيراً من المظاهر والوقائع، ما يهيء الفرصة لإظهار الممارسات الشعائرية والفلكلورية التي يُعبر بها الناس عن علاقتهم بالأطفال وتشعباتها، فمنذ أن يبدأ الإنسان بالتعارف على الحياة، نجده ميالاً كي يستكمل مشوار عمره في أن يصبح أباً يحنو على من حوله، أو أمّاً تفيض عطفاً وإنسانية على من حولها، فيكون الزواج حتى تكتمل كينونة الدافعية تجاه الاستمرارية في الحياة، وبعدها يتجسد البحث عن الديمومة في بعث نفس في الحياة عن طريق الإنجاب، وعندما يتحقق، تبدأ العملية التربوية للنهوض بهذا المولود، فإن كانت أنثى فلها استعدادات خاصة، وأما إن كان المولود ذكراً، فهذا يعني أن الإعدادات تختلف بعض الشيء، لذا نرى ظاهرة (الختان) أو (الطهور) من المظاهر المتجددة عند كثير من الشعوب، وبالذات الشعوب السامية أو القبائل العربية القديمة، أي أن الختان عادة يرى أهلها أنها إيجابية؛ لأنها وجدت قبل الإسلام بقرون عديدة، ولما تحقق الإسلام في النفوس والعقول، نجد الرسول عليه الصلاة والسلام قد أقرها وغدا الختان سنة متبعة عند المسلمين جميعهم، وكذلك عند غير المسلمين، فعندما يرزق الإنسان بالمولود الذكر، تبدأ عملية الاستعداد للختان، لذا نجد أكثر الناس في البلدان العربية يستخدمون مفردة (الطهور) أكثر من الختان، فالناس ينظرون إلى ذلك على أنها مسألة دينية لا بد من اتباع تعاليمها. بهذا يفعل المهتمون ظاهرة (الطهور) إذ أصبحت أكبر من معتقد شعبي؛ حيث اختلط المعتقد الشعبي بالمعتقد الديني، فأخذ الناس ينظرون إليها بالبهجة؛ لأن العادات والتقاليد تحدد السلوك المتبع في تحقيقها، وهذه الأمور ((لها ثقافتها الخاصة التي نطلق عليها الثقافة الشعبية))⁽³²⁾ التي يلتزم الناس بها وقد لا يستطيعون الخروج عليها، بل ويصرون على تفعيلها.

فمنذ أن يتأكد أهل المولود من نية الطهور تبدأ حالات الاستعداد، لذا يُعطى الطفل حرية الحركة والمرح والسرور، وهذا له مردود نفسي إيجابي عليه؛ إذ يتقبل حالة الختان (الطهور) براحة واستبشار وعندما يحضر (المطهر) قد لا يكون الطفل المعني حاضراً، فيبدأ المطهر بإحضار العدة، وتمضية الموس، ويُجلب الطفل ويُجلس على الكرسي وتثنى ساقاه، وتوضع يده بين الساق والخذ، ويطلب منه المطهر أن ينظر إلى الحمامة التي في سقف البيت، عندها يقوم بقطع الجزء اللحمي، وتبدأ النساء بالهلاهل والزغاريد ونعف الحلوى والمكسرات (الكرزات) على رؤوس الحاضرين، وتردد النسوة أهازيح البحث عن

المولود الذي غاب عن البيت هرباً من (المطهر) إلا أنه عاد إلى الهدف المحقق، لذا نسمع النسوة تردد ما نصّه:

يا عافية الله هي يا دؤارة
فرّي ع محمد من حارة لجارة
غسلي له وجهه وكحلي له عينه
يا مريم اخته هي مثل النؤارة

ويرددن أيضاً:

عبر الختّان يا ميمتي وخبيني
افتحي الصندوق يا ميمتي لبسيني
عبر الختّان بعدّته ومواسه
حلف الختّان ما يطلع إلا بشاشة
عبر الختّان بعدّته الشلبيّة
حلف الختّان ما يطلع إلا بمية
عبر الختّان بعدّته والشمعة
حلف الختّان ما يطلع إلا بخلعه
عبر الختّان بعدّته وبجوخه
حلف الختّان ما يطلع إلا بجوخه (٣٣)

من خلال النصوص نتيقن أنها (الأغاني الشعبية) تقف على حقائق هامة عن وظيفتها؛ أي لها دور فعال في إظهار حقيقة المجتمع، لأنها تجسد المناسبة التي تأخذ حيزاً معيناً في حياة الفرد أو الجماعة أو كليهما معاً، لذا نجدها وغيرها مرتبطة برؤية فلسفية واضحة، ألا وهي الإفاضة في خلق العلاقة وتجسيدها بين المرسل والمستقبل على حد سواء، فهي تخلق (نوعاً من التخفيف النفسي عما يحسونه من متاعب وآلام) (٣٤) أي الناس الذين يتناقلونها ويرددونها، لأنها نابعة من قناعتهم وبنات أفكارهم، ويعيشون معها في الفكر والذاكرة.

وبعد أن تتم عملية (الظهور) وتبدأ النسوة بالمهااة فرادى وجماعات نسمع صوت الأم، أو من يستطيع الإنابة عنها مرددة ما ينم عن السعادة والفرح بأن يصبح لها سندٌ يعرفه الناس، بعد ما ظنّت أو ظنّ الآخرون أنها حرمت من الأمومة، أو أن نسلها إناث على سبيل المثال، لأن في مثل تلك الحالات تسمع حالات يريحتها أو يسرّ خاطرها فتقول:

هي والحمد لله صبر قبلي وما قصر
هي وانحل حبل الرجا من بعد ما تعرّس
هي وحياة من له نجوم الليل تتفسّر

هي وأنا قلبي ع هذا اليوم يتحسّر
هي ائي يا شكحنا بطيخة هي ائي يا طلعت حمرة ومليحة
هي ائي ولي عايرنا بالبئات ما فادوا الا الفضيحة
هي ائي يا بي موسى يا طويل يا امشدد بالخرطبيل
والنسوان منك حبالى والزلام امطحلين
هذا بي ميلاد وشو اتقولوا فيه
ذهب يوسفي دق الغزل ما فيه
يا ريت من راحوا على رافات ووشوا فيه
ارمل حريمو وكل الناس توشي فيه

مثل ذلك يدل على التماسك الاجتماعي وبنية الأصرة بين الناس؛ ما يعني نبد
الخلافات أو تعريتها، لأن مثل هذه الأشعار توضح أن بعض القيم لا بد وأن تتلاشى، فما
نراه يغذي الرافد الثقافي الشعبي كي تكتسب عمقاً أكبر في الشمولية والأداة، وهذا يغير
أنماط التفكير إلى حد ما، فمهما اختلفت المجتمعات في أنماط تفكيرها، إلا أننا نجد
بعض الوشائج من خلال البناء الفني القولي الشعبي أو غيره من الفنون القولية.
وبعد إظهار حالة الفرح المتداخل من قبل الأهل والأُم حصراً، وتظهر ما تظهره من
حالات من التماوج في الهاجس النفسي تجاه ما يحدث، وبعد أن تسمعها المجتمعات،
تنهال الهالهل والزغاريد، وتبدأ حالات التجاوب النغمي من خلال الصوت الجمعي للنساء
الحاضرات دون استثناء، إن كان ذلك حباً أو مجاملة لأهل المختون:

طهرو يا امطهر عا بيدر عدس
ولبسو يا امطهر اكليل الملس
طهرو يا مطهر عا بيدر شعير
ولبسو يا امطهر اثواب الحرير
طهرو يا مطهر عا بيدر قمح
ولبسو يا امطهر اثواب الفرح
طهرو يا مطهر عا بيدر زبيب
طهرو يا امطهر ابني ها الربيب
ولبسو يا امطهر جفون العيون
طهرو يا امطهر تحت ظل الليمون
لبسو يا امطهر الثوب للحنون
طهرو يا امطهر تحت ظلال الخوخ
لبسو يا امطهر عباية الجوخ
طهرو يا امطهر تحت الدوالي
جيبولي حبيبي شميم الغالي

طهرويا امطهرتحت سحف النخيل
جيبولي حبيبي حتى اناغيه
طهرويا امطهر والتين على امو
جيبولي حبيبي من شان اضمو
طهرويا امطهرتحت زهرالمرمان
ولبس يا امطهر احجول الذهبان
طهرويا امطهرتحت اعراق افريج
باركل يا امطهر صار ضابط في الجيش
ولبسويا مطهر عمامة الخليل
طهرويا مطهر وناوله لامه
والبسمة العزيزة بانث عا فمه
طهرويا مطهر في باب الحرم
ولبسويا مطهر اثواب الظفر
طهرويا مطهر في ارض الديار
ولبسويا مطهر اثواب الاحرام
طهرويا مطهر وناولو لامه
والدمعة الحزينة تسقط عاكمه
طهرويا امطهر وناولو لأمو يا عشا المطهر على دارعمو
طهرويا امطهر وناولو لأبوه ويا عشا المطهر على الي ربوه
طهرويا امطهر وسموا عليه هاتوناها الورد ورشوا عليه

فعلى الرغم من تداخل نظم الحياة وأنماطها، فإننا نرى العناصر الثقافية تتداخل هي الأخرى؛ فالشعبي يتداخل مع الوافد وما ينظم بأفكار مدروسة، فالأقوال التقليدية ذات الطابع الشعبي تجسد الإرث الاجتماعي للوعي الجمعي المتنقل من جيل إلى جيل، فالعناصر الثقافية الشعبية لها ما يمايزها عن غيرها من الثقافات؛ لأنها تحاول الدفاع عن ذاتها أو صيرورة المجتمع الذي أوجدها ونشأت في كنفه. وهذا يرينا التاريخ الطويل لها، المتمثل في أنماطها السلوكية وأساليب ترادها، المشتركة أو المتباينة، في مجتمع معين، إن كان منغلقاً أو محافظاً إلى حد ما، أو مفتوحاً يتقبل الوافد ويتعامل معه بالإيجابية، أو حتى عندما يكون المحيط منكسراً تجدد ما يمايزها عن غيرها في الخصوصية. فالثقافة الشعبية أو ما تتناقله الشعوب من أقوال شعبية بسيطة كانت أو معقدة، تدلل على التنوع في بنية المجتمع؛ ما يثري -إلى حد بعيد- العناصر الثقافية المتداخلة والداخلية على المجتمع، ومثلها ما يميز المجتمعات عن غيرها؛ ما يدفع إلى الممارسة الثقافية الخاصة، التي تجسد الوضع الطبقي للفاعلين، وحملة الفكرة والمواقع التي في دائرة التواصل مع الثقافات الأخرى.

فالنصوص تشي عن طبقة المتحدثين بها أو المتعاونين معها، حيث يستطيع كل إنسان أن يبتكر ما يراه مساعداً له أو مسانداً للوعي والتجديد والمتغيرات المتعددة؛ ما يؤثر - إلى حد بعيد - في البنية العامة، التي تحاول الثقافات العالمية الوافدة تفكيكها، وطمس الخصوصية التي تحدثها روحيتها والقلق المتجدد من ذلك الامر، لذا نجد كثيراً من النصوص الشعبية رافضة للتسلط الفكري والاجتماعي والثقافي والقيمي، لأن مثل هذه الأشياء تضي على الثقافة (الشعبية هيبتها الروحية، وتمدها بالقوة والرسوخ في نفوس الممارسين) (٣٥).

فهذه النصوص تشكل صورة صادقة عن الحراك الشعبي، أو المسيرة الشعبية لحياة الناس الذين يتناقلون هذه النصوص التي ترينا عادات تهمس في خواطرنا أو تجول في أفكارنا، لترينا الأنماط المعيشية والنظم التفكيرية السائدة آنذاك في المجتمع، لذا نقول: إن من يتعمق في هذه المقولات الموسقة يتأكد أن الثقافة الشعبية أشركت كل شيء بنياتها بدءاً من هموم الناس والبيئة والطبيعة إلى متتاليات التفكير التي تجسد قيم الحياة ونظمها المختلفة.

لذا نجد مزيداً من النصوص ترينا أنماط التعايش والتفاعل مع البيئة والمحيط، إذ تفسر كثيراً من الظواهر المبحوث عنها، حيث كل إنسان بمسماه وقيمه يذكر في هذه النصوص، فبعد أن نسمع الهلاهل والزغاريد والنشوة التي تعتمر الأم تبدأ الحاضرات بالحالة التفصيلية التي تجسد أن الفرد ليس وحيداً، وإنما يجد من يأخذ بيديه ويخفف عنه مهما قست الحياة وتباعدت الفلسفات:

ظهوروا لي ساري وسموا عليه
يا دموعك يا ساري هي نزلت عليه
ظهوروا يا مطهروناوله لآبوه
يا دموعك يا ساري نزلت كالبذور
ظهوروا يا مطهروناوله لآخوه
يا دموعك يا ساري نزلت كالمنثور
ظهوروا يا مطهروناوله للخال
يا دموعك يا ساري اتبللني في الحال
ظهوروا يا مطهرتحت قوس الدار
ولبسوا يا مطهراثواب الفخار
ظهوروا يا مطهرتحت في الرمان
ولبسوا يا مطهراثواب العرسان
ظهوروا يا مطهرتحت في التين
ولبسوا يا مطهراثواب الحنين
ظهوروا يا مطهرتحت في العناب
ولبسوا يا مطهراثواب الحلال

إن هذه النصوص ترينا مفاهيم يبحث عنها الناس؛ فالعلاقة بين الأهل لا بد أن تكون قوية وفيها وشائج المحبة والاحترام، وكذلك إظهار المظهر الحسن للمعني بظهوره، لذا نجد المرددات للأهازيج يحملن الإصرار على إظهار الطفل بمظهر حسن يليق به كإنسان ومظهره الخارجي أيضاً، لذا تردد إحداهن:

زينو يا امزين وناوله لسيده
يا دموعك يا محمد نزلت ع ايده
زينو يا امزين وناوله لسته
يا دموعك يا محمد نزلت على بد لته^(٣٦)
زينو يا امزين وناوله لاخته
يا دموعك يا محمد نزلت على صدره
زينو يا امزين إزيان الدلال
يا دموعك يا محمد سالت كاشلال
زينو يا امزين إزيان الامير
يا دموعك يا محمد أغلا من العين

هذه النصوص ترينا الإحساس الواعي من أن الشخصية المحاوره هنا تشكل معبراً أو هاجساً للحفاظ على الثقافة الجامعة المبحوث عنها، لأنها تمثل أحد المعايير للحفاظ على الهوية الوطنية التي تشكل أحد روافد التغذية العائدة لما يريده الناس من الناس. فالنصوص القولية تظهر العادات الاجتماعية التي يعيشها الناس أو يتماهون بها، فهي تشكل قوة مجتمعية أو (قوة على مستوى المجتمع كله) .^(٣٧)

لذا نجد النصوص القولية تعبر عن مظاهر السلوك الجمعي المتكرر في إظهار ثقافة الناس وأساليب حياتهم العادية، لأنها تقوم على أساس التفكير الجماعي، وتصبح متداولة فيما بعد كي تعبر عن تقاليد متبّعة وأنماط أفكار ممارسة:

هي يا ناس صلوا ع محمد
هي لما يلين الحديد
هي وهذا ظهور مبارك
هي يا عقبال كل حبيب

بعدها تنطلق الزغاريد وتسمع إحداهن تردّ على صاحبة المهابة الأولى:

هي يا ناس صلوا ع محمد
هي وعلى فاطمة بنته
هي وهذا ظهور مبارك

هي واللي طلبته نلتته (٣٨)

بعدها تسمع زغاريد جماعية وهلاهل متجددة، وترتفع الأصوات بالغناء:

يوم طهورك يا شميم

لعلق في الدار انجوم

حتى افرح واتهنى

واشكر الحبايب دوم

يوم طهورك يا هاشم

لعلق في الدار اقمار

لازم افرح واتهننا

يا روجي انكمل المشوار

يوم طهورك يا ساري

لشعل الدار ثريات

واقعد عا عتبة الدار

أقبل كل الجايات

يوم اطهورك يا هاشم اتزينو كل البنات

لقعد عا عتبة الدار وودع كل الخارجات

نلاحظ أن هذه المآثورات القولية همُّ تراثي لлагلبية من الناس الذين لم يفلسفوا أفكارهم ومقولاتهم، وإنما جاءت بطواعيتها وسجيتها المعهودتين، ونرى أسلوباً مشتركاً لتوصيل البساطة إلى الآخرين، وترينا السمات الجماعية للناس في مجتمعات لها خصائصها وميزاتها، وإن لم تغفل الجانب المعنوي المتدفق من خلال ذكر بعض الرموز الدينية التي تتمتع بمكانة مرموقة لا تمنحي من نفوس الناس الموحدين بالله، وهي -على سبيل الحصر والمثال- (محمد عليه السلام) وفاطمة ابنته أم السبطين عليهم السلام.

أغاني الأطفال والشباب

الغناء ظاهرة إنسانية تنمو مع الحياة وتزدهر بازدهار الحضارة، وتهوي عندما تتفكك أو اصغر اللقيا مع الحياة أو تضعف، وهي ظاهرة تعبيرية مقصودة تخرج من قيم الناس وأفكارها وأحاسيسها بكلمات موزونة لها مداليل ومعان بناءة؛ لأن الغناء أحد المعايير الصادقة لإظهار الجانب الحضاري عند الأمم والشعوب؛ فإذا أردت أن تعرف حضارة أمة أو بيئة أو جماعة، فعليك التمعن في الأدب بشكل عام والغناء بشكل خاص، لأن الغناء يجري على ألسنة الناس؛ فإن كان ذا قيم وتفاعل قيمى ينمى أذواق الناس، ويهذب سلوكاتهم، ويجعل الحياة طيبة سلسلة إلى حد بعيد، وإن كانت القيم التي يحملها الغناء سلبية تظهر الإسفاف والميوعة فيؤدي ذلك إلى الميوعة في السلوك، وانحطاط الأخلاق وتحللها، لذا تسعى الشعوب التي تريد الحفاظ على مقوماتها جاهدة أن يكون الأدب والغناء من السمات الإيجابية والفاعلة والمفعلة في الحياة. وتؤكد أهمية المفردة المنتقاة التي هي جوهر الحياة الإنسانية بشكل عام، والأدب والفن والغناء بخاصة، لأن دوافع الغناء متعددة لا تقف عند ركيزة واحدة أو دافعية معينة، فميل الإنسان الفطري للترويح عن الذات، وتجسيد نواحي الحياة المختلفة عبر الكلمات المنغمة، يرينا أن ظاهرة الغناء ظاهرة كونية قديمة تقدم ما يعتري الخلق من أشياء متعددة، فهاجس الترويح عن الذات الإنسانية ينمو بالفطرة ومعها، فأينما حل الإنسان نجده يخرج أصواتاً مموسقة، أو تحمل إرثاً خاصاً تعبيراً عن همومه ومناجاته للمحيط أو للنفوس التي يعتقد قربها منه أو تماثله في الهموم وصعاب الحياة، حتى يميظ الأذى عن نفسه، ويفعل الخصوصية التي تربطه في الحياة، فتكون الحركة والإيماءات من مكملات الحس الغنائي لدى كثير من الناس، لذا لم يفرق الإنسان بين الكبير والصغير في الحاجة الماسة للترويح وخطاب الود النفسى والقيمي، إلا أن أصحاب النغم المموسق يفرقون في خاصية المتلقي؛ فالموسيقا الموجهة للكبار قد لا تلائم معطيات الحس والفكر عند الصغار؛ ما جعل المفردة هي الحكم الفيصل في خلق وشائج التلاقي مع الآخرين؛ لأن النفس البشرية بحاجة إلى الموسيقا منذ اللحظة الأولى عند وضع النطفة في الرحم إلى أن ينمو ويولد طفلاً ثم يمر بالمراحل العمرية المختلفة، وهو بحاجة إلى الموسيقا والعمق الموسيقي التعبيري والترفيهي معاً؛ لأنها تهذب النفوس وترتقي بالذوق الإنساني السليم.

لذا، نجد الأمم كلها مهتمة بالموسيقا كل حسب ثقافته ووعيه ومقدرته، إلا أننا نجد الغناء المعد للأطفال يتميز عن غيره من أنواع الغناء الأخرى؛ فما تعدد الشعوب لأطفالها ينم عن حصيلة تلك الشعوب من وعي وتمدن وقيم فاعلة، ومن يتتبع يجد أن حصة الأطفال من الغناء الشعبى واسعة إلى حد ما في المجتمع العربي الفلسطينى، فهناك أغان يرددها الكبار من أجل الصغار، وهناك أغان يرددها الصغار أنفسهم بعد أن أخرجها الكبار

للحياة وصارت من مكونات المجتمع الثقافي. فما يردده الأطفال أو يردده الكبار للأطفال نجده متشابهاً إلى حد كبير، وتكون عملية الخلاف في بعض المفردات؛ أي تستخدم مفردة أو تتم عملية التأخير والتقديم لمفردات بعينها، من هنا، نجد ما يردد للأطفال عند النوم يتشابه في المدن الفلسطينية المختلفة والبلدان العربية المجاورة، فكما في سوريا نرى ما تردده الأم يشابه -إلى حد بعيد- ما تردده الأمهات في الأردن وفلسطين:

نام يا ابني نام

لاذبح لك طير الحمام

يا حمام لا تصدق

عم كذب على ابني حتى ايتام (٣٩)

أما في الاردن فتكون على هذه الصيغة:

نام يا ابني نام

لاذبحلك طير الحمام

يا حمامي لا تخافي

بضحك على ابني تاينام (٤٠)

أما في فلسطين تقال على هذه الشاكلة:

يلا اتنام يلا اتنام

واذبحلك جوز الحمام

نام يا حبيبي الاسمر

طول عمرك في القلب اتنام

وهناك من ينشد:

روحي يا صوصة تعالي يا صوصة
تايكبر شميم وناولنا الخوصة
روحي يا بيضة تعالي يا بيضة
تايكبر شميم ويبني الحويطة
روحي يا جاجة تعالي يا جاجة
تايكبر شميم وناولنا الحاجة
روحي يا طيرة تعالي يا طيرة
تايكبر شميم ويجبلك حصيرة
روحي يا بطة تعالي يا بطة
تايكبر شميم وناولنا الحطة
روحي يا وزة تعالي يا وزة
تايكبر شميم وذوقنا العجة
روحي زرعية تعالي زرعية
تايكبر شميم نبنيه العلية

روحي شَنارة تعالي شَنارة
تايكبر شميم وينور الحارة
روحي عصفورة تعالي عصفورة
تايكبر شميم يرسمنا الصورة

إن المتتبع لهذه النصوص يرى علاقة المغني وشيخة ومدينة مع الطيور والحيوانات التي تشكل رافداً هاماً من روافد الصداقة الفاعلة مع الطفولة، لذا نجد الحالة الشعورية عميقة تجاه الهدف؛ ما يجعل العالم الشعري بسيطاً في تناول الجميع، فاستغراق المغني الشعبي في ذكر الطيور بمسمياتها للطفل الذي يداعب الكرى يعتمد- في الأساس- على منحى هادف، وهو تقريب صورة الطيور وتحبيبها إلى نفوس الأطفال، الذين يحاولون غرس محبة الله والإيمان المطلق به في نفوسهم:

عينك ونامت وعين الرب ما نامت
وعمر شدة على مخلوق ما دامت
عينك وقرت وعين الرب ما قرت
وعمر شدة على مخلوق ما ظلت
الله معك يا محمد الله مع اجيالك
الله مع الصبيان يا يمة كرمالك
الله معك يا قمر الله معك يا عين
الله معك يا محمد يا كحيل العين (٤١)

ومنهن من تنشد لولدها بدلال:

ومثلو ما شفت حدا حتى الورد عا النداء
اتميتو حتى اجا يا شميم كحيل العين
والله مثلو ما بشوف حتى النعجة والخروف
لما تلعب بالسيوف يا شميم انت الأول
ابنا اجمل الاولاد اشلب منو مرناش
ابنا بنغنيو القمر والشمس ليل
يا حسنو ويا زينو هو اجمل الاولاد
ويا حسنو ويا زينو هو اجمل الاولاد

وتنشد احدهن:

يا حبيب الحبايب سكر في السمن ذائب
ولي جوزها غايب اجيب الرشد اسليها
يا حبيب الحببتين ريت لأمو ابنتين
وحدة تعجن وتخبز ووحدة اتملي الجرتين

صانع هذه المفردات الإيقاعية، يرينا أن مجمل ما يريده من مفاهيم هو ربط روحية الطفل ونفسيته بالله الواحد، وهذا يحبب الحياة إلى الأطفال، ويجعلها سهلة، لذا نرى الانطباعية والذائقة الفردية يسيطران على ما يقدم للأطفال من أشياء تحبب لهم النوم والحياة بشكل عام، ويجعلهم يتفاعلون مع محيطهم، ويتعلقون بمن يلقنهم هذه الأصوات الإيقاعية حتى يعيدها لهم مرات ومرات، لأن المتعة تبادلية من الطرفين، المرسل والمستقبل على حد سواء، الأطفال المتلقين والكبار المنشدین.

وهذه الأغاني ترينا العمق الإنساني والإيماني النابعين من وجدانيات الشعب وثقافته الشعبية، وتخلق دافعية لدى الأطفال بأن يتمسكوا في عملية الحفاظ على التواصل مع المحيط والناس بشكل موسّع وأعمق، لأن الطفل كائن لم يزل يتشكل في بناء النفسية والفكرية والجسدية والعقلية والروحية، فالحياة لم تتركه بعد؛ ما يجعل عملية البناء هادفة وبناءة إلى حد بعيد، ويجعلهم يستثمرون طاقاتهم الإبداعية والخلاقة، وتتم عملية الاستقبال للأشياء وتخزينها وتفعيلها في الذاكرة والممارسة تسير بيسر.

ومع تقدم الأيام أو امتداد عمر المولود، ويغادر المهد ويصبح يسير على قدميه، ويخرج إلى الشارع، ويشكل الصداقات مع الأقران، نجدهم يتفاعلون مع الأقران أفراداً وجماعات، ويبحثون عن الذات كي تكون متميزة، وتبدأ الفردية بالظهور من خلال الجماعة والانخراط مع الجماعة لتشكيل الفردية والتمايز المؤكد في كلا الأمرين، حتى أن الأطفال يقسمون أنفسهم جماعات وثلاثا حتى تظهر كل جماعة محاسن الذات وتمايزها عن الآخرين، لذا يبدأ الأطفال بالبحث عن أشياء ترفه عن أنفسهم فتكون الألعاب الجماعية وأهازيجها هي العامل المشترك، ولم يكن الأهالي يفضلون بين الذكور والإناث عندما ينخرطون في أسرابهم ويلعبون بلعبهم المشتركة، قد يصلون إلى سن البلوغ دون أن يوجهوا أو يؤمروا للفصل بين الجنسين، وهناك ألعاب مشتركة بين الجنسين وألعاب خاصة لكلا الجنسين، وهناك أناشيد وأغانٍ شعبية يرددتها الأطفال وهم يمارسون اللعب الجماعي، كما هي لعبة القفز مع الحبال، (أي لعبة الحبل) حيث يمسك طفلان كل بطرف، ويحركان الحبل وينزل الآخر أو الآخرون، وتبدأ عملية القفز الموضعي، أو التحرك مع الحبل والآخراين يحركان الحبل من الأسفل إلى الأعلى، ومن الأعلى إلى الأسفل وهكذا، والمتقافزان يستمران في القفز حتى تتم عملية التبديل إلى أن ينهك الجميع ويعودوا لمنازلهم فرحين بعد أن ينشدوا نشيدا متداولاً لا تفهم المعاني التي تحمله بعض كلماته، الأنا نسمعهم ينشدونها دون تردد، ولهذه اللحظة لم أستطع فهمها لغرابية بعض المفردات أو عجمتها (صندلينا) ومنضلينا وغيرهما من المفردات الموغلة في الأبهام والعجمة:-

سلا بلا أخت المنى، علمتها في المدرسة

إئي صندلينا إئي منضلينا أئي توني وايدس

اكرس واسيديس، نيسيو مضى عقل مفيش

أنا بي بي بو ما قل أدبو أنا بي شيخة

مصاري مفيش رحت عند النش

قلتلو أصرفلي القرش قلّي مفيش
قلتلو الله يلعللك هل الوش
الوش الوش الوش

وبعد اللعب المشترك لكلا الجنسين بالحبل وتموجاته، تذهب البنات إلى ممارسة الألعاب الخاصة بهن، فتسمع أصداء الكلمات وهي تخرج من حناجرهن، مستجيبات مع الحدث:
اسكوت اسكوت الماما نايمية بلاهي اتشوفوا الساعة كم
الساعة وحدة الا وحدة يا بنات اسكوت اسكوت
اسكوت اسكوت الماما نايمية بلاهي اتشوفوا الساعة كم
الساعة ثنتين الا ثنتين يا بنات اسكوت اسكوت

وتستمر البنات مع هذه الانشودة حتى تكتمل الدورة لعقارب الساعة، ومن ثم تنتقل البنات إلى انشودة اخرى:

يختي يختي نعم يختي اشو طبختي كوسا محشي
ضويتى الشمعة ائي ضويت، تفضلوا عنا
جيتك جيتك هاها صحن كنافا هاها
جيتك جيتك هاها صحن كنافة هاها

وتتبادل البنات الأماكن بعد الركض وتستمر اللعبة من جديد، وبعد إتمام لعبة الحبل وتبادل الزيارات، تبدأ عملية اختيار عروس معينة عبر طقوس محددة، ونصوص واضحة يتعامل معها الأطفال فيقول أحدهم ذكرا كان أو أنثى:

هيا هيا يا أولاد انغني ونختار العرسان؛
يبدأ أحدهم: مسيكم بالخير يا العمارة العمارة
صبحكم بالخير يا العمارة العمارة
ويردد الحاضرون: يا العمارة العمارة
وينشد الاولاد: بالله اعطونا بنتكم هل الحلوة هل الحلوة هل الحلوة ها الظريفة
ويردد الآخرون: ما ابنعطيكم هي إلا بالف ومية وتتملوا الصنية
يردون: ابننزل على داركم وبنكسر ابوابكم والشمع بوابكم
ونطلع اجراركم يا هذي يا عروستنا
يا هذي عروستنا، يا هذي عروستنا
مسيكم بالخير يا العمارة العمارة
صبحكم بالخير يا العمارة العمارة

بعد ذلك يبدأ الأطفال بحمل بعضهم بعضاً، أي يجعل كل اثنين ظهريهما إلى بعض، ويرفع الانسان الآخر ويقول:

شفت القمر شفتُ
اشو تحتو حمص مقلي
طيح عني يا عقلي

وينشدون بعدها:

الناس إملبس عاحصمة دير بالك من السمرة

بعدها يجلس الأطفال جانباً، ويتبادلون الهمسات والضحكات، ويعيدون الكرة من جديد، أي تكون الألعاب والأدوار تبادلية، وبعد إتمام اللعبة أكثر من مرة وغيرها، ينزوي الأطفال تحت ظلال الأشجار، أو أروقة البيوت، ويبدأ أحدهم ينشد ويردد معه الآخرون بمرح وسرور:

يا بوحلاوة من فوشة	هي لله يا بوشوشة
لقيو حصيرة مفروشة	عبروا الفقرا عا الجامع
قالوا البنات المقصوفة	قالوا انو الى فارشها
قالوا ابورقة اللوفة	قالوا بيش انغطيها
والراعي بدو البيضة	واللوفة مع الراعي
والجاجة بدها علفة	والبيضة مع الجاجة
والعالية امسكرة	والعلفة في العالية
راح اجيبلنا تفاح	والمفتاح مع بوصولاح
سرورات وهشومات وشمومات	لهل البنات الملاح
مع ورودتهم كرومات	

بعدها يقهقهون ويمرحون ويأتي آخر وينشد:

حدرا بدرا قلي سيدي عد للعشرا
من ثلاث لثلاث طوق امطوق في البستان
نط الدم اطلع يا افلان

بعد سماع هذه الأنشودة، من يشار عليه بالبنان يخرج من الحلقة، ويستمر الآخرون باللعب، ويتقدم طفل آخر ويبدأ بعملية انشاد جديد مع نص جديد:

حدرجي بدرجي نصب الدرجة

طلعت أزور عا الزرزور

لقفت الكف طلع يلتف

حيا الله بنات الشام

فيها الخوخ والرمان

فيها زاعقة العصفور

طلع الباشا بلا طنطور

طنطورو حايل مايل
حايل عا بنت الكردي
بنت الكردي اطلع وانزل
حاملة ابريق الفضة
يا فضة يا فضتنا
جيبى ابريق وجرتنا
وفرشي حصيرتنا
ونامي على درجتنا
يا حلوة يا بنت الناس
يا ام الذوق والاحساس
يا ام الذوق والاحساس

وبعد إتمام النشيد يهتف أحدهم ويقول:

عندي لعبة بتغني
وانكسرت غصبن عني
زعلت عليها كثير كثير
مين يعرف بالتجبير
يجي يجبرني اياها
يوخذ ليرة عسلي

ويقول أحد الآباء في محبة ابنتيه، تجسيدا لفكرته من أن الابنتين يشبهانه، ولا يشبهان امهما:

يا يعرب وعروبة والامثال فيكم مظروبة
ونا بدى احكي اصحيح بدون تزويق الشرميح
والغنم عالخروبة وانتو طالعين للبابا
موش عا الماما الطبطوبة
موش عالماما الطبطوبة

ويقول احدهم حاثا الاطفال على الجلد والقوة، بنوع من الفكاهة الايجابية:

قطة جاعت قالت مو واحنا من دير السودان
يوم الحرب لما انهيج نظرب بالسيف الرنان

عندها يتجاوب الأطفال الحاضرون وينشدون بمرح وسرور، وكأنهم يكتشفون ذواتهم، وينمون أحاسيسهم، ويطورون مهاراتهم الإنشادية من حيث يعلمون أو لا يعلمون. ومع اقتراب شهر رمضان المبارك تبدأ الأسر بالاستعداد لاستقبال شهر الصوم والبركات،

وكثير من الأسر تهيء أطفالها للصوم، أو الامتناع عن تناول الطعام في الشوارع والحارات، ومع ظهور هلال شهر رمضان ترى الأسر تتبادل التهاني وتردد العبارات الإيمانية التي يفوح منها البر والإحسان والسلوك القويم؛ ما يجعل الأطفال يقلدون الكبار، إلا أنهم يتمتعون بخصوصية من حيث اللعب في الحارات، واستقبال ساعة الإفطار حتى ينشدوا في الشوارع، معبرين عن فرحهم المتجدد بالمناسبة الإيمانية:

افطروا يا صائمين ع الرغضان الناعمين
واتعشوا يا مفطرين ع الرغضان المقرقين

ومع اقتراب موعد الأذان؛ أي أذان المغرب، تجد الأطفال يذرعون شوارع القرية، وهم يرددون أناشيد تظهر أهمية الصوم ومكانة الصائم، ورفض الإفطار والمفطرين في رمضان:

يا مفطر رمضان يا قليل دينك كلبتنا السمرا اتحبش مصرينك
يا مفطر رمضان يا قليل دينك بستنا السمرا توكل مصرينك

ومع انتهاء أذان المغرب وإعلان موعد الإفطار، يغيب الأطفال من الشوارع، ويختفي ضجيجهم مهما كانت أعدادهم كثيرة، ويغط الناس في سلوكاتهم المحببة التي تقربهم إلى الله.

وفي اليوم الذي يليه وتمتد أيام رمضان تسمع بعض الذين يتأفنون من الصوم وبالذات في أيام الصيف الحارة، ينشدون بنوع من الدعابة العكسية، وكأنهم يستحثون المؤذن حتى يعلن ساعة الإفطار قبل موعدها.

أذن أذن يا خطيب هيا قبل الشمس اتغيب
اذن اذن يا خطيب هيا قبل الشمس اتغيب

وبعضهم ينشد:

اذن يا بو عطية حشيشة قلبي مطفية
اذن يا بو عطية حشيشة قلبي مطفية
اذن اذن عطية وقعنا الشمس في المية
اذن اذن يا غريب اطعمنا الشمس للذيب
اذن اذن بو امحمد افطرننا من عامنول
اذن اذن بو امحمد افطرننا من عامنول
اذن يا بو صافية للصاحية والنايمة
اذن يا بو صافية حشيشة قلبي طافية
اذن اذن يا فواز اطعمنا الشمس للباز
اذن اذن يا فواز طول عمرك ما ابتناز

أذن يا حجاج إبراهيم	طربوشك من جماعين
طربوش احمد للفلم	وطربوش ابراهيم للعلم
طربوشك مايل مايل	احمد يابو الجدايل
طربوشك كلو لمعات	احمد يا ابو صفعات
أذن يا ابو الامين	مين سمعك بيظل اينين
لما اياذن بو الوليد	عن الزاد ما بنحيد
اذن عثمان الياسين	عنا ضيف يا صايمين

وعندما يرى الاطفال أسراب الطيور تعبر أجواء البلاد مهاجرة في مواسم الهجرة
ينشدون بحماس:

يا حودي يا ام الصيصان	قتلك عمك حمدان
ابو عصب دق النصب	ابو اثقيب امدودي

ويغني الاطفال وبالذات البنات عند العودة من المدارس:

بلبل بالابل عا روس الشجر	غمزت ابعيني صفق وطار
يا اهل المدارس اسمعوا الاخبار	حبي ودلاي يبقى مهما صار

وينشد الاولا الذكور مع خروجهم من المدارس:

حلينا وملينا ونط الفار علينا واتكرسحوا اجرينا
من المدارس ردينا من المدارس ردينا

مثل هذه الأهازيج لا تجد لها مروجين أو مؤيدين كثير، لأنها تحمل دعابات سلبية، إلا أنها تعبر عن حقيقة يعيشها بعض الناس، وكان الأطفال يتجمعون بعد صلاة العشاء في أيام رمضان الأخيرة، وبالذات العشرة الأواخر، ويعمدون إلى طرق الأبواب حتى يعطوا من خيرات رمضان.

يا أهل الخير جيبوا أعطونا صرتكم
يا أهل الدار الله ايديم محبتكم
يا أهل الخير جيبوا أعطونا صرتكم
يا أهل الخير الله ايديم محبتكم

ويرددون أيضاً:

يا أهل السطوح تعطونا ولا انروح
قاعد على ظهر الحيط يا سرطاوي يا فصيح
وجهننا الرادو امليح تا نسمع الاذاعة

إذا لم تتم عطية الأطفال فيهزجون: كبروا علينا الماء بيت أهل الفقر ويعودون إلى بيوتهم، وإذا تمت العطية فيقولون: يخلف عليكم كثر الله خيركم. ومرة أخرى يتحلق الأطفال، ويطرقون الأبواب وهم ينشدون:

ماجيناً يا ماجيناً
حلوا الكيس وأعطونا
تعطونا لو نعطيكم
بيت مكة اوديكم

ومع تباشير انتهاء شهر الصوم، ويرى الهلال وهو يتناقص، يتهافت الأطفال إلى الشوارع منشدين مردين بعضهم مع بعض::

لا أوحش الله منك يا رمضان
يا صاحب الخيرات والاحسانا

وهذا التوحيش يسمع من الكبار والصغار على حد سواء، لأن الصغار أخذوه من أفواه الكبار، الذين يحنون إلى شهر الصوم وبركات الله فيه. فمع إعلان المؤذن عن انتهاء شهر الصوم، وأن اليوم الذي يليه هو أول أيام العيد، تخرج جموع الأطفال زرافات وركباناً يتراكمون في الشوارع، ويهتفون بمرح وسرور وتناغم ما تناقلته لهم الأيام:

بكرة العيد وبنعيد
وابندبح بقرة اسعيد
واسعيد مالو بقرة
ابندبح بنتوها الشقرا
والشقرا ما فيها دم
ابندبح بنتو وبننت العم

ومنهم من ينشد للمداعبة على لسان احد الشيوخ الذين يقرأون القرآن على المقابر في المواسم الدينية والاعياد، فقد كان رحمه الله يقرأ الآيات وينتقيها حسب المبلغ المدفوع، فاذا دفعت احداهن قرشين تسمعه يقرأ، «خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه» واما اذا كان المبلغ خمسة قروش تسمعه يقرأ «ان الله يغفر الذنوب جميعا» اما اذا دفعت احداهن مبلغ مئة فلس اي عشرة قروش، تسمعه يقرأ «يا أيتها النفس المطمئنة، ارجعي إلى ربك راضية مرضية، فادخلي في عبادي وادخلي جنتي» عندها ترى البشارة وقد ارتسمت على محياهن مستبشرات، بعد ان فزعن من الآية الاولى «خذوه فغلوه» وبعد أن يراجعنه لماذا قرأ ذلك، فيجيب كل شيء بثمن، ويبدأ بالقول المأثور بالنسبة له، اذ يعطي الناس بعضا من عطاياه، لأنه اطلع على خصوصياتهم ويبدأ بوضع لكزات تليق بهمومهم:

إنا اعطيناك الكوثر شخاطة وواحد دفتر

خالق الدنيا لخالق
تعبها راح في ادقيقة
لمت كل الحطبات
وشكلها والله نقش
بولولن على التينة
بدو مصاري نقدي
والمسبح والخواص
جمعتهم ما فيها خواص
من الصبح للعصرية
والحج ابراهيم بيهدي
ايعلمها للرايح والجاى
بقيم الحجة على الناس
وبحكي اخبار الساعة
بضوي كل الحارات
ارض المعارك والكاس
دير الرادولهناس
يسمعوها ابهنية

الله جل جلاله
فقيرة يا صديقة
من الوعر والقعادات
والهرش لحموا بقرش
والحجات في القصيلة
وجبر قاعد في العقدة
وسرك يا ابو عطف
وتحت زيتونة الحج عرمان
بلعبوا السيجة ياناس
بوزهدى يلعب شدة
والمنسى في ايدو عدة
وفواز لما ايأذن
وحافظ بخطب في الساحة
لابس ساعة ساعة
حجر جوالق ياناس
احمد يا ابو الاحساس
تايسمعوا نشرة الأخبار

وينشد أحدهم من باب الدعابة والمرح:

زيكازيكا زيكا
بالله يا بو الصادق
زيكازيكا زيكا
بالله يا أبو الصادق
زيكازيكا زيكا
بين الحرب والسلام
واضرب عالمزيكا
تعطينا شفيقة
واضرب عالمزيكا
اطفيلنا الحريقة
واضرب عالمزيكا
ذبحتنا أمريكا

ومع هذا النشيد المتجدد نجد الأطفال يمرحون، ويستعدون لنهار العيد بالملابس والأحذية الجديدة كل حسب مقدرة أهله وثقافتهم. وعندما يتجول الأطفال في شوارع القرية وأزقتها، يرون الزواحف والحشرات والطيور والحيوانات تتدافع وتتقافز، فينبعث الأمل في نفوسهم، وينشدون:

عمرك حسيت الجمل بصلي
والجاجة تذبح والديك إقلي
نطت البسة وراحت إتملي
والكلب يضرب ع التلفونا

إن التعامل مع الحيوانات ومسمياتها لم يزل يتغلغل في نفوس الأطفال، وكأن ظاهرة السخرية تنبع من النفس البشرية منذ نعومة الأظفار للإنسان، لذا نجد صانع هذه الأناشيد يلتقط أدق التفاصيل في الحياة العامة، والبيئة الشعبية خاصة، ويدونها بأسلوب بسيط شفاف جذاب، ويدون بعض مسميات الحيوانات التي لها مساس بحياة الناس، وتكون قريبة من الأطفال، وهي ملموسة ومجسدة كذلك، فعندما يرى الأطفال (الحرذون) وهو من الزواحف التي تشبه التمساح إلى حد بعيد، لكن جسده صغير وشكله لا يريح النفس، يهتفون منشدتين:

صلّ صلاتك يا حرذون
وارم عباتك عا الطابون

ويقول آخر:

فسا فسندي،
عقرب افندي،
طاها باها،
من الذين حرزها رخاها طشاها.

ويقول أيضا:

عدي ارجالك عدي،
من القرع للمصدي،
وشي من خلقة ربي،
هيو قاعد عا الدرجة
يهبش البيضة هبشة،
واييدو تسلقها سلقي،
واطعميها للنعجة،
واتصفق لما تمشي،
واتقول دبي يانملة،
دبي يا نملي دبي،
وايدي والله بتملي،
جرار الزيت للجددة
واتصفطها في العقدي
والعقدة ملياني ارفوف
لها الولد المزبون

عندها ترى الجرذون يحرك رأسه وكأنه يستجيب لعواطف الأطفال، إلا أن الحقيقة غير ذلك، فهو يرتجف خوفاً خشية من هجوم أحدهم عليه، كما يخشاه الأطفال من مظهره الخارجي ولونه الداكن المخيف إلى حد ما، أو يثير الاشمئزاز في نفوس الاطفال،

والكبار على حد سواء.

وعندما يرى أحد الأطفال (الحرباء) وهي -أيضاً- من الزواحف وتستطيع أن تغير لونها حسب محيطها، وتخرج لساناً طويلاً جداً يخيف من يراها، ويقززه أيضاً، عندها يهتف منشداً:

يا حرباء يا بنت اختي
وريني حظي بختي
هو أحمر ولا أصفر
ولا امعثر في الميزان

وينشدون أيضاً عندما يعطون شيئاً ولا يعلمون ما طعمه أو خصوصيته:

حرباية ولا درباية
درباها البين وراحت

وكذلك التكة (أبو بريص) لها نصيب من أناشيد الأطفال، وقد جاءت على نسق فكاهي، له دافعية خاصة، يتناقلها بعض الاطفال بدافعية يتفاعل معها المنشد والمتلقي على السواء، لأنها تحمل في مضامينها قيما وتفاعلات خاصة:

جماعة نزلوا البرية
في فصل الشتوية
تكة واتعشر حرذون
معاهم ست اعصية
لاقاهم تكة وصرصور
في ايام القمحنطور
والشخدم لابس طنطور
والبدلة عسكرية
زعلوا كل الحرادين
على لبس الجرابين
والتكة بدها فساتين
عا النمرة الف ومية
طنطور ابيع فرافير
عاقرة ازغيرة مكوية
وقتي شأحها الكلسون
وراحوا عا الفرشية
إج الشخدم محامي
على التكة مترامي

اج الصرصور محامي
بتنعشر ليرة وهدية

وينشد الأطفال أيضا:

قشقوشة حطب ما عندي	حوحو حوحو يا بردي
تلعب لي عا الطنبورة	عندي ابنية فرفورة
يا مدروشة ما احسناك	طنبر، طنبر، بالتركي
جاعل بقجة حمامك	محمد باشا قدامك
فتحنا باب غلقنا باب	حمامك تحت القلعة
جيب النا اسرير امزوق	يا علي لا تتعوق
وسعيدو مانو بعيدو	شرابي مع سعيدو
وسعيد بباب الهوى	وسعيد بباب الهوى
فيك نصارى فيك اسلام	الله ينصرك يا الشام
تكرج عا حرف الضنجان	فيك ابنية فرفورة

وتنشد بعض الصبايا، اللواتي دخلن في مرحلة المراهقة فيقلن بنوع من المداعبة والمماطلة:

ميين يطعمني ويسقيني	أحييتي يمّة أحييتي
وعلى الفرشة يرميني	وشغل ما ايوريني
وبالبسمة يلاقيني	وبالغزل إغطيني
وبهمسات اهنييني	وهموم ما ايوريني
وأحييني يمّة أحييتي	ومن الآهات يحميني

وكذلك الدجاج له نصيب في أناشيد الأطفال الشعبية:

جاجاتنا وجاجتكم برعين سوا
الله يحمي ادياركم يا اهل الهوا
الله ايكون في العون يا اهل الهوى
جاجتنا وجاجتكم برعين سوا

وعندما يتفق الأطفال على لعب الألعاب الشعبية، نجدهم يخرجون صيحات لها دلالتها الخاصة:

اتخبي املح اجاك الريح يا وطاوط ابحش وعاوط
لزو لزوا وعا اتهزو دير بالك تانحرق جدو

وعندما لا يتفق الأطفال بعضهم مع بعض، وينسحب أحدهم من حلقات اللعب تسمعهم يعيرونه بمفردات مؤلمة تصل إلى حد البكاء، عند بعض الأطفال، لأن النصوص المعنية تحمل في مضامينها الألم النفسي للمتلقي الذي انفصل عن الجماعة، وكأن الانفصال عن الجماعة يعد مشبوها ومرفوضا حتى عند الأطفال، لذا نجد هذه العقوبة المشددة تجاه الطفل المنزوي على نفسه، أو المنسحب من الجماعة:

باتت على اموباتت	جابت قرين وماتت
باتت على اموباتت	جابت قرين وماتت
شفت امو في القصيلة	مع ذنبتها الطويلة
بتشعل في الفتيلة	حتى اضوي جوا الدار
شفت اموعا المقابر	بتحرك في المزابل
ابتوكل قريص وحامض	هذي المونة يا اهل الدار

وقد يتحلق الأطفال في حلقات ويتبادلون بالرقص والتمايل، وعندما يريد أحدهم أن يکید من يقوم بالرقص من الأطفال ينشد مع المجموعة:

طاح الدب تا يرقص
ليقبلو حبة ترمس
دير بالك يا دغبس
الصيدا إج لهون
طاح الدب تا يرقص
ليقبلو حبة ترمس

وفي المدرسة يخرج الأطفال إلى ساحة المدرسة إبان الفرصة (التنفس) ويتحلقون ويلعبون لعبة المحرمة، أي يمسك أحدهم بالمنديل ويدور حول الحلقة منشداً، ويضع المنديل خلف أحدهم، فإذا لم ينتبه المعني الذي خلفه المنديل، يعود المنشد ويأخذ المنديل ويضربه به وهكذا:

طاق طاق طاقيه
رن رن يا جرس
حول واركب على الفرس
شباكين ابعليّة
طاق طاق طاقيه عسكري وحرامية
بعدها يهزج الأطفال ويتبادلون الضحكات والكركات وينشدون:
يا حج اسكندريويا
أعطيني احصانك يويا
لركب وسافريويا

عا ابلاد اسكندريويا
اسكندرمات يويا
خلف بنات يويا
بنات بيض يويا
مثل العضريت يويا
بنات سود يويا
مثل القروود يويا
يا حج اسكندريويا
اعطيني حصانك يويا

وكذلك نسمعهم يهزجون بعد خروجهم من المدارس ويلتقون في الأزقة، وبالذات البنات
اذ لهن اناشيد تدلل على توجهاتهن:

عندي ديك اسم مرسي
نط وقعد ع الكرسي
جبت الموس وذبحت
ميه سخنة نظفت
جوز ولوز حشيت
فالفل اسمررشيت
جو الفرن شويت
قدام ستي مديت
قالت لي شكراً شكراً
قلتلها عفاً عفاً

وينشد الأطفال ايضا نصوصاً يعدها الكبار لهم، حيث تظهر الحرص على تأصيل
بعض القيم في نفوس المتلقين:

زوزو عندو سيارة ونا عندي حصان
بيقلي تع نتبادل لأنو غيران
هو ابعمل زيق زيق وابيوقف على الطريق
حصاني ابعمل دي دي وما ابىوقف ابدأ في الطريق
لما بركب عا ظهرو مثل الملك عا مهرو
وزوزو ما بقدر اميل مثل قاعد في البرميل

وينشد الأطفال أيضا:

بساط الريح يحملني إلى الأعلى .. إلى الأعلى
ويرحل بي وينقلني لأرض اه ما أحلى

أشم ترابها الغالي أقبل رأسها العالي
بساط الريح يحملني وينقلني إلى غيمة
الى واد إلى قمة
بساط الريح يسمعني أغني دائما فرحان
بقلبي أنت يا وطني بقلبي أنت يا انسان

وينشدون أيضا:

هات الطابة ولا تتأخر
واقفز فوق العشب الأخضر
وارم بعيدا لكن احذر
ان تفلتها او تتعثر
بيدي أقذفها وبرجلي

ويهتف الأولاد:

يا ستي العرجا العرجا يا مفتاح الطبنجا
خبيتو ورا الصندوق اجا خالي سرقة
ولبسني من حلقو وحلقو شقلة بقللة
وحلقو طير عقلي يا بنت الملوكي
جايين يخطبوكي من أمك وابوكي
وخالي في البرية عم بوكل ظلمية
قلتلو طعميني قلي عا السكيني
وسكينو حمرا حمرا وابتلمع زي الجمر

ويهتفون ايضا:

يا شيخ طنطورك مايل مايل عا بنت التركي
بنت التركي ابتتوضا ابريق انحاس ابريق فضة
وما احلى البوسة والعضا ونخطف طواقبيهم
مع دبابيس الفضة

ويتبعون ذلك بإيقاع خاص:

إن تعامل المنشدين مع مسميات الطيور والحيوانات يشكّل منحى جديداً وفاعلاً في الحياة، وهذا يدل على الأثر النفسي تجاه الموضوع المعني، لأن الطيور والحيوانات لها وقعها الخاص في نفوس الناس وعند الاطفال خاصة، لأن الاطفال يشكلون الصداقات مع الطيور والحيوانات، بمصداقية عالية وعفوية نقية، وهذا يشكل جسرا في التعامل البناء

والتصاق النص الذي يحاكي الحيوانات ويفعل دورها عند الاطفال، و يجد الاستحسان والقبول لديهم، على امتداد شرائحهم العمرية المختلفة.

إن التعامل مع الطبيعة في التراث القولي الشعبي لا يقف عند حد معين، لأن الصور تتعدد من خلال المشاهد التي تثير اليقظة في فكر الطفل وتمده بالمرح والطمأنينة إلى حد بعيد، وهذا يؤكد أن الطبيعة بمقتنياتهما تشكل محورا من المحاور الفاعلة التي يستطرقها صانعو الأدب الشعبي، ويتمثل ذلك في العلاقة مع البيئة ومقتنياتهما بمسمياتها المختلفة، ويؤكد أهميتها في حياة الناس، ومدى قربها من الأطفال، وغير الاطفال على حد سواء، فالمسألة الجمالية لا يختلف عليها اثنان، وان كانت الامور نسبية.

وبعد أن يشب الطفل ويصبح صبياً يطرق أبواب الشباب حتى يبدأ في التعامل مع الحياة عبر نصوص مغناة، يعبر بها عن مشاعره والقيم التي يؤمن بها ويدافع عنها، فما أن تدب ملامح الرجولة في جسده تراه يتتبع نصوصا إبداعية قولية شعبية توصله إلى مبتغاه، حيث يبدأ في تشكيل علائق مع المحيط ومع أبناء جنسه والجنس الآخر المماثل له، والمكمل له لتحقيق نظم الحياة فنراه يتأمل، ويهوى، ويعبر عن مكنوناته، ويهمس للذات أو لذات الآخرين، أو يقولها صراحة بلا رياء أو ظنون، « نحن نللمم ذاتنا حتى نصل إلى مبتغانا!؟ فعندما يرى أحدهم صببية أو يرى من يهواه قلبه، أو تتم عملية التذكر وعصر الذاكرة ينشد:

مرّت ما مرّت مرّت ما مرّت
مثل الشنارة يا عالم فرّت
وخبطت عا العشبة والعشبة اخضرت
ومطرح خببطتها نبت حنونا

ويقول أيضاً:

هالة وقفتلي تحت الزعرورة
الله ما خلق مثل ها الصورة
قلت لها روجي الك مصرورة
وائيدي بأيديك نلعب دلعونا

ويردف:

مرّين ثلاثة عا تل أبيب
وقلت يا شمس يا شمس غيب
حتى أدور على حبيبي
حبيبي وين حبيبي وين
حبيبي نايم وامشقشق عينو
لشقى البحر وأنام ابحضين
وخلي الارض تلعب دلعونا
على دلعونا على دلعونا

على دلعونة على دلعونة نسم يا الهوى الغربي الجحونا
على دلعونة على دلعونة فلسطين بلادي وامي الجحونا
على دلعونة على دلعونة راحوا الحبايب ما ودعونا
راحوا الحبايب ما ودعونا
على دلعونا يا امد لعانية
وصار يطلبوا في البنت مية
ولك يا عزب ومنلك مية
دور عا الارمل وارحل من هونا
على دلعونة وعلى دلعونة راحوا الحبايب ما ودعونا

ويردف آخر يسمعه من مكان آخر:

يا طير طائريا طير طائير
البيضة والسمر صارن ضراير
قولوا للسمر اتقص الجدائل
وقولوا للبيضة اتكل العيون
على دلعونا وعلى دلعونا
راحوا الحبايب ما ودعونا
يا طير طائريا ابو الجنحين سلم عا البيضة وبوس الخدين
سلم عا السمر يا حاجب عيني وبوسهن سوا يا أسمر اللونا

ثم يردف آخر:

يا قاعد عا الرجم لا تامن من الحية
ومن يهوى قليبو يسلا شربة المية
يا قاعد على الرجم لا تامن من العقرب
ومن يهوى قليبو لا يوكل ولا يشرب

ويقول اخر:

حملن الجرة ونزلن عا العين
واخذن بزرمعهن يتسلين
حملت الجرة وكيس الحشيشي
والعرق يزرب تحت الشليشي
ندهت عا المحبوب ولك متيجي
انشكل سوا ونلعب دلعونا

ويقول اخر:

حملت الجرة وجعتها اوجاعي

وحطت في قلبي كل الاوجاع
من يوم حبيتك وانا موش واعى
يا اللي الخلايق فيك لاموني

ويتنهد ويقول:
جولي زيتونك حبة عا حبة
تا يصبح بيدر عا شكل كبة
طلت عالي من العاللي
وام سن الذهب شغلتي بالي
وفقرو وغناه غيرلي حالي
وخالني داير زي المجنونا

ويقول:

يا طولك طول عود الحور والميس
ورابي عا هوا الرمان والميس
ومدايدك على الخدين والميس
حري من العجم دوبرو لفا

ويقول:

يا ماخذ البيض خشخش بالذهب خشخش
واصبر على البيض تنوين نور المشمش
ظليت اقاتل على الدار كرمال بوخذ نادي
خوفي عابو حجل وسوار يصبح غريب بلادي

وتسمعهم يهزجون بايقاع خاص:

ثلاث بنيات عا البيدر بكربلن
يا هل ترا اتزوجن ولا كماهن
يلعن ابو الي ضرب حمده وباكاهها
يا احباب يا احباب كيف الرجال وكيف إنتو
واحنا على حالنا ما اتغير الا انت
وياك وياك يلي اربيت انا وياك
وان عشنا عشنا سوى وان مت انا وياك
من مصر يا زين مكتوبك لفي عينا
كل ما قربنا كن هالت مدامعنا
يا خاتمي الي وقع في البير الورنة

ولي سمع رنتو موصولو للجنة

وعندما يجتمع الصبية والشباب على نبع الماء، كل يبدأ بسرد همومه، ويتطلعون إلى نسج علاقة مع سعيدة الحظ، فيبدأ أحدهم بالقول:

طلت من باب الشرق تلمع بديها
سجارة يا خلق تلمع بديها
عليم الله لو مسّت الميت بديها
لتحييه لو كان ثلثين تراب

أما من يحاوره ويناجيه في المجلس فيقول:

طلت من باب الشرق زرعية
والله ما خلق مثل عزيزة
طلت من باب الشرق شنارة
والله ما خلق مثلك سمارة

ويتدخل آخر فيهزج:

شقرق ليش منقارك محنا
نصاري ما يسمو غير حنا
صدق من قال صدر البيض جنة
واما اصدور السمرنار املهلبا

ويصرخ أحد المحبين المحرومين، الذي تربطني به علاقة خاصة غير علاقة الأبوة، وقد بدا القلق عليه ونفسه ملتاعة إلى حد بعيد، ويعتصرها الالام اعتصارا لا تشوبه شائبة، فيقول وهو يحوقل في نفسه:

كحيل العين قاعد فاي عرقان
وخذو من لهيب الشوب عرقان
تعجب يا قليبى نهود كيف خلقان
شبهه بيض مدحرج عالوطا

ويقول:

نزلت عا البحر تغسل عفاها
مريض البحر من موجو عفاها
ولن موجتو دخلت عفاها
تفت في البحر أصبح شراب

من كرم المشمش لكرم اللوز صدق بحبك احسن من جوزي
من كرم التفاح لكرم الليمون صدق بحبك واتقلي مجنون
ياحياتي عليه يا مهاتي عليه اوجعتني اجرياتي ونا داير عليه

ويقول متفاعلاً وقلبه يقطر أما من شدة الوجد والتعلق بمن يحب، لأن الواشين الذين
إنتمنهم عقروه وخذلوه:

الأكحل امهود عا العين

تا يلقط باذنجان

شفت يمه ابنص الليل

ضو القمر ناداني

الأكحل امهود عا العين

تا ايلقط حب الرمان

شفت يما ابنص الليل

عيون عيون الغزلان

الأكحل امهود عا العين

تا ايلقط حب الليمون

شفت يما ابنص الليل

عيون كنها فانوس

الأكحل امهود عا العين

تا ايلقط ابو صرة

شفت يما ابنص الليل بملسلي بالغرّة

الأكحل امهود عا العين تا ايلقط تين اغزالي

لما شفت بالطريق اسمعت قلبي ناداني

الأكحل امهود عا العين تا ايلقط رظف الطابون

لما شفت بالطريق سابتني اعيون المزيون

الأكحل امهود عا العين تا ايلقط شومر وغار

لما شفت ابنص الليل شبت من اعيوني النار

الأكحل امهود عا العين تا ايلقط تين اخضاري

لما شفت بالطريق هيجلي كل اعصابي

الأكحل امهود عا العين تيلقط أو صرة

شفتو يمه ابنص الليل وجنات كنها جمرة

الأكحل امهود عا العين تا يسقي ارض الميشة

لما شفت إبعيني حرقلي قلبي وئيلي

الأكحل هو حبيبي ريتو حظي ونصبي

ولّي احرموني منو يوقعوا في ألف امصيبة

ولّي احرموني منو يوقعوا في ألف امصيبة

ويقول احدهم منفسا عن همومه:

طلعت تتخطم من ورا الموزي
وها القد الجفا والله ما ايجوزي
عذبتني قلبي بالوصل جودي
يا ام الجديلة كالحلزونة

ويردف ايضا:

نزلت اتملي من عين المية
ايدها على الجرة وعينها علي
وما احيد عنك يا ها الصبية
ولو اهلك عسكرا ما يهمونا

ويردف ايضا:

عا اليوم لو الوطن بنشال على الجمال
لشيل وارحل عندكم يا هاديين البال
عا اليوم لو الوطن بنشال على الراس
لاشيل واجي لكم يا قوين الباس
يا داريلي تجمع شملنا فيك
من دمعي لشيدك حنا لحنك

وتقول احدها والدمع مدرار على وجنتيها:

لاصبر صبور الخشب تحت المناشيري
ويش صبرك يا خشب غير التقاديري

وتردف والألم يعصرها:

ونا داري عاليش سيدي باعني
هو كرهني ولا احتاج المصاري

عندها يقهقه الجميع ويتنهد الصادح، وفي كثير من المرات يتأوه، ويمسح دمهعه ويعود إلى عمله، وهو يحمل في ثناياه الألم المتجدد؛ ألم الحب والحرمان وألم الغدر الأخوي، لأن شقيقه حرمه ممن يحب، فيكون الألم مضاعفاً، ويتمثل بالقرآن: ألم يقل الله لموسى «سنشد عضدك بأخيك» أما أنا فقد طعنني أخي أكثر من مرة، إلا أن هذه الطعنة النجلاء التي حالت بيني ومن يهوى قلبي، وتسمع أحدهم يناجي من يحب بقوله:

أمانى أمانى أمر الأمانى
خذني معاك يا حبيبي بس انا حيراني
وان كان خايف عا الاجرة امر الامانى
بشلحك يا حبيبي وهديك فستاني

عندها تسمع الصدى من بطون الأودية يتردد:

سكابا يا دموع العين سكابا
تعي وحدك لا اجيبي حدايا
وان جييتي وجبت حدا معاك
تهد الدار واجعلها خرابا

وأما العاشق الآخر فيتمثل صوت حبيبته فيقول:

هزة يا جميزة هزة
تفاح الشام حلو ولولذة
قلتلك يا ود يا مصري
قيم ايدك عن طية خصري
واخوتي العشرة بالقصر
بقتلوك ما ايهنش علي
هزة يا جميزة هزة
تفاح الشام حلوة وله لذة
قلتلك يا ود يا سوري
قيم ايدك عن ضي خدودي
واخوتي العشر بارودي
بقتلوك ما بهونش علي
هزة يا جميزة هزة
تفاح الشام حلو ولولذة
قلتلك يا ود يا شامي
قيم ايدك عن طي حزامي
واخوتي العشر قدامي
يقتلوك ما ايهنش علي
هزه يا جميزة هزة
تفاح الشام حلو وله لذة

عندها يقهقه الصبية والصبايا الموجودون على نبع الماء، أو المتحلقون في الأماكن

العامة، وينشد أحدهم:

يابوردين يا بوردانا
ويش قنالك يادادا زعلانة
ضربني ابخنجر الشامي
وبصوابو دقدق العظاما

يا ويلى من جرحى وآلامى
طال الليل وعيونى سهرانا
يا شفتو فى مراتبى
ومحنى روس اصابعى
وحبيبى والله ما بيعوا
لو اعطونى فلوسك يا سليمانا
يابورداين يابوردانا
ويش قنالك يا دادا زعلانة

عندها يتدخل أحدهم حتى يدخل البهجة والفرح إلى نفوس المستمعين فيقول:
وان كان بدك غاوية خذ من بنات الزاوية
تسمع همس ضلوعها مثل الطبول الحامية
وان كان بدك غاوية خذ من بنات الزاوية
اتشوف بريق اعيونها مثل الكهربا العالية

وتردف آخر:

اكل اليخنة دوخنى وطلع من راسى دخنة
بو معروف انت الرجنة ما دمت امشاشى عليا

ويردف آخر فيقول:

يا جوز الثنتين يا بوقليطة قرقين ازغير امعصب بشريطة
هذي غنم زريعة صاحبها خالد قريعة
قال اجبارة يا خيي اثنين هجموا علي
عودة بالدحماسة والجرى بالشبرية
بدخن ويشم ازعوط ابن المشفوط
عا الدكانة لما ايفوت بتنطنط كا الزرافة
عندها يتمايل الجميع فرحاً وضحكاً وهمساً ويقول آخر:
ون كان بدك بنات البدو يهوينك
مثل البدر طلنتك يا حسنك يا زينك

ويقول:

الرز واللبن يبرد عا البدن وان لم تصدقنى اطبخ وذوقنى
لحم العجول عا المفتول كل ولا تعزم حدا
الخيار ما بخلي عا القلب نار والفقوس بخلي المصارين اتحوس

وعندما تمر إحدى الصبايا من أمام جمع شباب وصبية يتنهد أحدهم فينشد:

يا اغزِيل شرق شرقا
يا اغزِيل من مت أنا
يا اغزِيل على التينة
يا أشكال المرتينة
يا اغزِيل لا تغزلها
والسمر ظل اقتلها
يا اغزِيل طالع طالع
الله ايهد المدارس
يا اغزِيل يا ابن عمي
خذ امك وابعد عني
يا اغزِيل يا ابن عمي
دشرت ابوي وامي
يا اغزِيل يا ابن خالي
خذ امك يا دلالِي
يا اغزِيل يا غزالي
يا حبي يا دلالِي
يا اغزِيل على النهر
امتى بهل الشهر
يا اغزِيل قدي قده
لافرش وانام ابحده
يا اغزِيل على العرقان
يمة مصعب الفرقة
يا اغزِيل على النهر
قوموا تنصلي العصر
يا اغزِيل سيد البلد
لكتب عا حالي سند
يا اغزِيل مشى مشية
يا ابنية جيبِي الدرجة
يا اغزِيل شفت شفت
والله الزرع لاقص

راكب عا مهرة
مين أقلك مرحبا
بوكل ما بطعميني
قوصلي ها الأرنا
والبيضة لا تزعلها
من الصبح للمغربا
يمشي والصدر دالع
نستنا الاحبايبا
يلي همك من همي
طيحتني اجهنما
قميصك من الجنة
وصرت الك صاحبا
يلي حالك من حالي
نزلتني اجهنما
ابحسنك ما بلاقي
غيرك ما ني امصاحبا
يقطف ويعطيني زهر
تنسافريا احبيبا
صفحة القمر خده
ابواعيون امذبالا
قاعد وكل بسمات
علي موش امجربا
طق ومات من القهر
قبل ييجي المغربا
حبيتك وانت ولد
غيرك ما ني امصاحبا
من التينة للمشمشة
تانتستا ساوية
عا البيادر ما شفت
ان طال الزمن فيا

ويقول آخر:

يا ميجانا لك ميجانا لك ميجانا
زهر البنفسج يا ربيع بلادنا
الله معاهم وين مراحو احبابنا
زحلق حبيبي عا البلاط اوقعت انا
ومن يكيده أهل حبيبه وهو يشعر بالغبن يقول:
يما امويل الهوى يما امويلي
ضرب الخناجر ولا حكم النذل لي

وعندما تتحقق ساعة الفراق بين المحبين ينشد أحدهم:

ونالكتب سلامي بشطر مكتوب
ع الي اصديرها نيشان مكتوب
ونالدري نصيبي وين مكتوب
قبل ممشيت ودعت الاحباب

ويرد آخر:

ونالكتب سلامي وبعثلهم
حبر من دم قلبي لبعثلهم
لوانني طيروافهم للغوهم
سريع الطير لرد الجواب

ومع مرور فتاة لها سمات معينة يقول أحدهم:

يا ظريف الطول يا بوميجانا
يا بوميون السود شو ابحك انا
وقعد على الحدود وعدك أنا
مهما طالت الغربية مستنياك

ويقول:

مرق عني ولا قلبي العوافي
ضحك بالسن واعطاني القضا
ونالدري وين نازل نزلكم
لمشي على الاقدام مسافة سنة
يا طير خذني عا جناحك علني
واجعلني خيمة ندا فوق احبابنا
وعلى افراق الحبايب والله يا عالم

يا شعر راسي انا من الهم شايب
يا ابا على افراق الاحباب احنا عمينا
واغيا بهم يوم نبعده عامينا
يا ابا مالك صافنة يابنت مالك
يا حبك في صميم القلب مالك

ويرد ف اءهم:

بعايرني البخيل ابكثر مالو
بخيل وراح للظلام مالو
يا ويل الي انتخا ورجال مالو
بيموت وبخاطر كيد العدا
بنت البخيل لا تؤخذها ابمالك
لوانها شبه الشمس في ضحاها
بنت البخيل لا تؤخذها ابمالك
بيجي ابنا صقيع الذقن مخول
بنت الكريم خذها ابكل مالك
بيع الرزق واضعن في هواها

وعندما يشعر اءهم بمن يحب بالموءة والتمني في الارتباط يقول مخاطبا اياها:

يطولك طول عود الزان لومال
وشعرك حير الجءال لومال
طلبنا النسب من ابوك مارضي لا بفضه ولا بمال
كيف الراي عندك والءواب

ترء عليه واحمرار الخجل في وءنتيها، والأمل ينبعث في نفسيءتها:

يطولك طول عود الزواني
قمح شامي خالي من الزواني
تعال حظ اختك لءويي بدالي
وهذا الراي عنءي والءواب

لءا يرء عليه آءر، وقء حرقتة نار البءاء:

ونا لصيح صوت يسمعونى
وبلك احباب قلبي يسمعونى
ساءت الءار وبن امي وابوي
قلءلى سافروا ومءءاء عاء

وإذا أراد أحد الناس عتاب من يحب، أو للتخلص من تبعات معينة يقول:
ونالجاور البربين عا المي عمدن دوبو منبوتو على المي
صديق ما يوافيني وناحي اشبدي منو عند هيلات التراب

ويقول آخر:

ونا ابناحة وحببي ابغيرناحي وعلى الفرقة حمام الدارناحي
وهلي ما ابينفعني وانا حي شو بدي فيه ونا تحت التراب

ويقول آخر معاتباً شقيقه لما بدر منه من جفا معتمداً على الوشيات الكاذبة:

سهولك سههولك ضيعوا عقلك والايمان
ودعوني أدق اليسرى على الايمان
أبو عايد ما يعجبك كثر كذبهم والايمان
كذابين لو حلفوا لك على الكتاب

ومن أجل أن يخرج الناس من هذه الآلام النفسية يغني أحدهم:
ع العشب الياابس رمى جكيت ع العشب الياابس ع العشب الياابس
ما حدا لابس مثلك يا ساري ما حدا لابس ما حدا لابس
على السريس رمى جكيت على السريس على السريس
قص الشليشي علمها يا هاشم قص الشليش
على السياج رمى جكيت على السياج
حبك سباني خيي باشميم حسنك سباني
حسنك سباني حسنك سباني
بأرض المحطة لقيت حبيبي بأرض المحطة
نورك ما شاء الله نور لي قلبي نورك ما شاء الله
على الجسرين رمى جكيت على الجسرين
جيش الحسين يا ربي تنصر جيش الحسين
في النهر الجاري لقعد واستنى في النهر الجاري
ابحب ودلا لي عيشني حبيبي بحب ودلال
على الفوارة شفت يستنى على الفوارة
لبس الامارة لبستك يا شميم لبس الامارة
من المزاب لقطلي العناب من المزاب
ابرمش رماني لما نظر لي ابرمش رماني
ابعين ابو ناظم قلبي بستناك بعين ابو ناظم
طولك يحلا لي حبي يا ساري طولك يحلال

ابعين الجديدة اتسبح حبيبي ابعين الجديدة
لبس الجديد علمني يا هاشم لبس الجديد
بأرض الزرقا زرعلي النعناع بأرض الزرقا
ختملي الورقا وقلّي استنيني ختملي الورقا
بين الليمون ضمضمت حبيبي بين الليمون
عيونك سبوني خييّ باشميم عيونك سبوني
تحت الزيتون سبلي عيون تحت الزيتون
محدّا اينوشو جبين حبيبي محدّا اينوشو
ابهمس الرمان راسلني حبيبي ابهمس الرمان
ابحسن ودلال عانقني حبيبي بحس ودلال
بين الجفون نيمني حبيبي بين الجفون بين الجفون
مثل الدفوف دقاتك يا قلبي مثل الدفوف

وعندما يريد أحدهم أن يغير النمط الإيقاعي، ويرى راعياً للغنم قادماً فيقول:

وان كنت راعي غنم شَبَبَ تغنيك
وان كنت راعي حمير يا علة تجيالك
يا نعجة الزين عا الجاعد حلبناها
وان سلمت من الذيب الخاين تعداها
لا تطلعوا عا الساللم والهوى غربي
لكتب سلامي للي اخذ انا قلبي
لا تطلعوا عا الساللم والهوى اجنوبي
لبعث سلامي لابو الحسن والجود
لا تطلعوا عا الساللم والهوى شرقي
لحفظ ودادك ما دمت تسكن قلبي
لا تطلعوا عا الساللم والهوى شمالي
لحظي ابحبيبي انا وانيمو ابدال

ونجد الموروث القولي الشعبي يرصد بعض الملامح والعادات والتقاليد والقيم التي يعيشها الناس ويتفاعلون معها، ويرصدها حتى تبقى حية مع الناس الذين يتداولونها، كما فعل الشاعر الشعبي، عندما أصَلَ للعلاقة بين شخصين من أبناء بلدته (دير غسانة)، وهي قرية من اعمال رام الله، ابتناها الغسانة ابان مجدهم، ولم تزل المباني التي شيّدت في تلك الحقبة عامرة ببعض من تورثها، واما الشخصان هما (أبو صافي وأبو لطفي) وكلاهما يمثل نمطاً خاصاً في الحياة؛ فأبو صافي يميل للحياة الصوفية والوداعة والهدوء والطيبة المفترطة، أما أبو لطفي فهو النقيض الحقيقي؛ حيث عاش الحياة بمقوماتها

المختلفة، وكان جريئاً شجاعاً ميالاً لأخذ الحق بالقوة، فجاء الشعبي وسجل ذلك عبر قصيدة شعبية بسيطة، يداعب من خلال مفرداتها محيطه الاجتماعي، ويجسد الملامح العامة لكل من الطرفين بأسلوب يجمع بين الفكاهة والتندر الشعبي الذي بقي حيا في نفوس الذين يتناقلونه حتى مشيئة الله، وقد نجح في ذلك نجاحا مفعلا، لأن النص الذي احياه، يمثل ظاهرة تستحق ان يتوقف عندها الأنسان، ويتمعن فيها تمعنا خاصا، لأن بصيرة الشاعر تنفذ في العمق نفوذا له خصوصية خاصة .

اسمعوا يا امارة

قصيدة كلها اخبارة

عن بوصافي والحمارة

ابوصافي قد سهر

حتى يصرح ع الظهر

واحمارة ابتقهرقهر

ما اشقى منها حمارة

والصبح شد عليها واتبرم حوالها

معرفش يركب عليها ضاع العمريا اخسارة

الله يستر الله ايعين قد ضاعن مني الستين

انا من التعب صرت اذنين وناذي يا اهل الحارة

أبو صافي نزل على الخلة

ولحقوا يا أبو اقدلة

وأنا عزمي منحلي

خربتني السيجارة

أشقى منها مرناش

ابنها أورش الجحاش

ونزلت عليها ادور

لقيت الربيع امنور

وحمارتي لما اثور

ابتسرع سرع الطيارة

والخرج والميات

عن ظهرها واقعات

والخرج مني انغدا

وانحرمت من الغذا

قصدي ما يدري حدا

ولا ابوح باسرار

أبو لطفى لقاهن

قالوا الناس خباهن
لو بدوا خبيهن
لكان في الارض يخفيهن
بوصافي لا تحتارا
بو لظفي جمل هدارا
بوصافي الله ايخليك
بولظفي احسن صديق
ابينفعك في ايام الضيق
لو خصمك عليك ثارا
اسمعوا يا امارة
قصيدة كلها اخيارا

وهناك من يؤرخ للعادات والتقاليد في قرى معينة، كما فعل الشاعر (أبو الدُّح) العابدودي الذي قال قصيدته، يؤرخ للعادات والتقاليد فيما يعرف ببني زيد الغربي، وبعض القرى المجاورة في الارض والحجر، او كما يقال (الجيران في الشجر والحجر) ، ويتناقلها كثير من الناس، كل حسب تطلعاته وقيمه، فمنهم من ينقلها على استحياء، ومنهم من يتناقلها بنوع من الفخار والعزة، حيث يرينا الشاعر مناقب كل قرية على حده، وطباع أهل القرى التي ذكرها، دون مجاملة تذكر، وانما التلقائية هي المسيطرة، والعفوية التي تاخذ بيدك وتقول لك هذا فن قولي شعبي عاش لسنوات طوال، ويجب ان يعيش إلى ما شاء الله له في الحياة، لانه صادق النوايا، عزيز المنال، او ما يسمى السهل الممتنع، اي يظنه الناس سهلا، وهو ليس كذلك:

فقيرة يا كضر عين إما قراوة ع سفر
والبخل في دير بلوط وأما الكرم في الكفر
كضر عين اظرت البلاد وقراوة ما ابتعبر
ودير غسانة بطرايبش في روسهن مثل الإبر
لا تتوهم يا غشيم سافر من قبل العصر
قبل الشمس عليك اتغيب وتقع في ارض الخطر
وصالح العلي اسم كبير ولكن في الكرم فشر
بيت ريمما حرامية وسريرية من صغر
أولهم طه الاسمر وأخرهم الاعمى بندر
النبي صالح كريمين لكن قاتل الله الطفر
والقدحي دايمما قاعد والكذب عندو مطر
وأنا أصلي من عبود وبشرب من عين الحجر
وأهل اللبن هل الاسود شطرين بضرب الحجر

لما ربي قسم العقول ما حدا منهم حضر
ورنتيس ها الامارة بشربوا مع البقر
عطارة عطر البلاد والضيف فيها معتبر
فقيرة يا كضر عين أما قراوة ع سفر
والبخل في دير بلوط وأما الكرم في الكفر

وهناك من يدخل مسميات المنتجات الزراعية في صلب أقواله، حتى تشيع بين الناس،
وتصبح كالعلامة التجارية، لان الناس يتناقلونها، والاطفال يرددونها على اللسان في
الحارات والاسواق والازقة، فتكون ظاهرة اعلامية تسويقية دون تدخل الوسائل الاعلامية
العصرية، لانها تصبح من الثقافة القولية لدى الناس يتناقلونها ويحافظون عليها،
فاللوزيات بانواعها المختلفة تجد مكانتها في اهازيجهم، فالشمش على سبيل المثال نوعان،
بلدي وحموي، اما البلدي فشكله الخارجي يشبه خد الفتاة الندي، اي ابيض تشوبه
الحمرة، حلو المذاق، وبذرتة حلوة ايضا، اما الحموي فيختلف في اللون والمذاق، وبذرتة
مرة المذاق، اما اللوز فمنه البلدي الصلب، والحامي حالمو، اي ثمرته تحمل طعم المرار قبل
النضوج، وبعد النضوج تتبدل الثمرة إلى حلوة المذاق، وهناك الفرق ونصف الفرق، وكل له
مذاقه الخاص، لذا نجد الناس يتغنون بهذه الثمار كل حسب قناعاته وذوقه:

من صحن المشمش لا تكبش دور على اللوزية
حموي يا مشمش بلدي يا مشمش

ويقول اخر متغنيا بالموز الذي يزرع في مدينة اريحا، ويمتاز بطعمه الخاص، ولونه
الخارجي، وحجمه الصغير او الوسطي احيانا، ويقرنون ذلك بالعنب البلدي الذي تشتهر
به مدينة الخليل وضواحيها من المدن والبلدات الاخرى، وهو من الثمار التي تشتهر بها
فلسطين على مدار الايام، ولم تزل تقع في دائرة الاعتناء والعناية المستدامة، وهناك أنواع
متعددة يفرسها الناس إلى يومنا هذا:

ريحاوي يا موز خليلي يا عنب

ويقول اخر:

الجزر بقوي النظر والقطين بعمي العينين
وسوسك حلو يا سواس ولوب عا قرن الخروب
ولوب عا قرن الخروب يا محروم من المنزيون

ويردد آخر:

يا ناس الله اكبر كل يوم صورة ابنتصور
أصلها مدنية ورايحة ادور وزعتر

بتلقط ميرمية وريحتها مسك وعنبر
يا ناس الله اكبر ضحك عليهم كيسانجر
كسينجر ضحك عليهم يا ناس الله اكبر
اصلها مدنية ورايحة اتلقط زعتر

وتغني النسوان متهكمات على بعض المظاهر الاجتماعية، كالذي يتزوج من أكثر من امرأة، وكذلك الرجال لهم ما يشغلهم في هذا الموضوع، حيث تصبح المادة قابلة للتندر والتهكم والتسلية والتحريض على حد سواء، لأن المرسل يقصد ما يقصده والمتلقي كذلك، فمثل هذا الأمر يلقي رواجاً في نفوس الرجال أكثر من النساء، علماً أنه يحرق اكباد النساء، ويديم الحسرة في نفوسهن، أي يترك نفوس النساء مكلومة ملتاعة حزينة حزناً ظاهراً دفيناً، حيث يتضح ذلك من خلال النص الشعري الشعبي:

يا يما وين بدك اتروحي فيي
عندي ثنتين فلاحه ومدنية
امشحريا جوز الثنتين
امسخم يا جوز الثنتين
مكوي على الصفحتين
من الزقروقرق النسوان
قال جيت بدى افتح الشباك
قلبي ابعمل تكتك تاك
يا الاسمريلي في الشباك
اطلعي عا البلكونة

يا جوز الثنتين يا بوقليطة قرقين ازغير امعصب بشريطة

بعد هذا الانسجام مع الإيقاعات النغمية، ومن خلق حالة من الهرج والتمايل، تسمع أحدهم ينشد بصوت جهوري استفزازي، يراد منه تنبيه الآخرين إلى مضامين اجتماعية مقصودة من خلال هذا القول، لذا ترى من يسمع القول المعني يتمايل أما خجلاً، أو نشوة أو غير ذلك:

صاح ديك اشعيب قوموا اطفوا السراج واعملوا الهكشة

النواح وما تردده القلوب في الملمات

الموت ظاهرة كونية انسانية عرفها الناس منذ معرفته للحياة، لأنها أي ظاهرة الموت تحققت مع وجود أول خلية بشرية عرفت الحياة على الأرض، ولم يستطع أحد من البشر منعها في تلك اللحظة أو في سياقات الأزمنة القادمة، لأنها تعبير لا ارادي تبهر الانسان وتعجزه عن أداء اي عمل يحول دون الموت أو تأخيره إلى أجل مسمى، لأن ذلك من عوالم المجهول والمغيبات لا يعلم الانسان متى تقع، وان وقعت يبقى حائراً تجاهها، إلى ان تمت معرفة الأمور عن طريق السلوك التعليمي، في حين بقيت حالات الفزع والألم تنتاب الناس إلى ان يشاء الله في قدره، ما يعني أن ظاهرة الموت خلفت انطباعاً خاصاً في نفوس الناس، كل يعبر عن همومه على طريقته الخاصة، إلا أن المحصلة واحدة وهي الجزع والحزن ومدى التعبير عنهما، لذا جاءت الفنون القولية التعبيرية حالة مساندة للانسان لاخرجه من محنته أو التلطيف عنه ولو زمانياً أو شكلياً، فكان الحداء والمراثي وتعداد المناقب من مكملات العلاقة مع ظاهرة الموت لأسباب متعددة، ففراق الموت هو الفراق السرمدى الذي يلازم الحدث، ولا يستطيع أحد الفكك منه، ومثل ذلك له خصوصية في الحدث والقول، فتكون نغمات القول عندها لها ما يمايزها عن غيرها من النغمات ان كانت حزينة، أو غير ذلك، وأما إذا ما حدث الفراق لأسباب معينة، للغربة أو الخصومة، فتكون النغمات بوقعها متباينة عما سواها، ولها صداها ووقعها النفسى الخاصان:

يا عين هري ونزي من الدمع مية
على الي راح وما شفنوش عنية

ويقول آخر:

الله اهدك يا شهر الفراق
فرقت ما بيني وبين الحبيبا

وعند وفاة أحد الأبناء يقول الوالد متحسراً:

يا غراب البين وش ذلك علينا
طفيت سراجنا المضيوي علينا
وأخذت حسين المخيم علينا
وخليت العدا إدوسوا دارنا

وعندما تشعر المرأة بالغربة الزمانية أو المكانية أو الاغتراب النفسى تسمعها تردد أقوالاً

مؤثرة في النفس والفكر معا، ما يعينها على الأستمرارية في الحياة وتبعاتها، وتحافظ على كينونتها المضطهدة او المهشمة في كثير من الاحيان، فيكون النص القولي النغمي معيناً لها للأنفكاك ولو زمنياً من هاجس الأعتراب النفسي والجسدي على حد سواء:

يا طيور طائيرة
يا وحوش سايرة
سلموا على أمي وأبوي
وقلهم اجبينة راعية
ترعى غنم ترعى سخول
إتقيل جنب الزاوية

وتقول المرأة نفسها توكيدا للفكرة التي جاءت بها في الأسطر السابقة التي جسدت من خلالها معاناتها المتجددة، وكأن المعاناة جبلت مع روح تلك المرأة، واصبح من المسلمات عندها أن تتعايش مع الألم النفسي والجسدي على حد سواء، ولا تجد من يخفف عنها بعد الله الأايقاع النغمي الشجي، وذكر المماثلة في الواقع والمعاناة، لأن المماثلة تخفف عن الأنسان ولو شكليا، او مرحليا، فالإنسان بحاجة ابدأ ان يروح عن نفسه وان بالبكاء احيانا، لأن البكاء يصنع ما تصنعه الضحكات او اكثر قليلا، لأن البكاء والضحك عند العرب في ماضيهم وحاضرهم من توابع التطريب، فالترب ضحك وبكاء على حد سواء:

يا حمام البر البر ما شفتش امي
امك عا البحرين بتلط عا الإخدين
على اخوتها السبعة وابنها العزيز الغالي
اه يا ابني يا دلالي
ضوا عيوني انت الغالي
ضعت مني يا حلالتي
لاكتب اسمك في العاللي
روحي هايمة في البراري

وعندما يموت أحد المحبوبين عند الناس، تسمع الحداء المؤلم من النساء، ومثل هذا القول قيل في حق الرئيس جمال عبدالناصر، الذي وافته المنية في يوم الثلاثاء الموافق ١٩٧٠/٩/٢٨ م، حيث اعلن الناس الحداد اربعين يوما، وعطلت الحياة، واغلقت المدارس، وعمت المظاهرات الاراضي الفلسطينية المحتلة، كما حدث في معظم الدول العربية، وقد اظهرت قطاعات الشعب كلها مظاهر الحزن والاسى على شخصه، وكنت ترى الناس جميعا يبكونه بحرقه والتم الحسرة يغلف قلوبهم، الا نضر قليل لم يكثرثوا للحدث الجلل، واخذت النسوة تقيم مواسم العزاء لمدة اربعين يوما، تتحلق في ساحة القرية وتبدأ بالعويل، وذكر المناقب بصوت جنائزي، وايقاع شجي يثلم قلوب السامعين، والشباب يسرون زرافات

وركبانا، يهتفون باعالي اصواتهم عبر مكبرات الصوت: (جمال مات جمال لا يموت، بالروح بالدم نضديك يا جمال). وترى الاعلام السوداء تعلو اسطح المنازل وكثير من النساء ترتدي الملابس السوداء، او تلبس اثوابها على وجهها الداخلي، (البطانة) وترى بعض الرجال وقد صبغوا كوفياتهم البيضاء باللون الاسود، او اللون الازرق الداكن تعبيرا عن الحزن وعظم المصاب وجلله، وقد افردت النساء بعضا من الماثور القولي خدمة للفكرة وتعبيرا عن الحدث بفاعلية تامة وايقاع جنازي يثير ثائرة النفوس المتلوعة، ويزيد من حزنها، تفاعلا مع الواقعة العظيمة.

قوموا اسمعوا البومة ويش برجمت في الليل
قالت يا بو خالد ليالي الهنا زلين
قوموا اسمعوا البومة ويش برجمت في الليل
قالت هية يا جمال ليالي الهنا زلين
قوموا اسمعوا البومة ويش برجمت قالت
قالت هية يا جمال ليالي الهنا زالت
قوموا اسمعوا البومة ويش حدثت الغراب
قالت هيه يا جمال بعونا ابرخص التراب
قوموا اسمعوا البومة ويش حدثت في الليل
موتك هيه يا جمال هدلي الدار واعمى العين
قوموا اسمعوا البومة ويش حدثت للناس
قالت هيه يا جمال احكام بعدك بلا احساس
قوموا اسمعوا البومة ويش قالت لاهل الدار
ابموتك هيه يا جمال ما عاد للناس اكبار

وكانت أنيسة تردف القوالات، بمعانٍ متعددة، لأنها اکتوت بنيرا أخيها الشهيد، فتمثل عندها الحزنان، شهادة شقيقتها ووفاة عبدالناصر، فتردف قائلة:

أردي يا خيل أهلنا عا الميدان طايحة الميدان ابتصهن لجمال
أردي يا خيل أهلنا عا الابريق طايحة الميدان ابتصهن للعزيز
أریدن يا خيل أهلنا عا الساحات طايحة الميدان وابتصهن قامات
اشربي يا خيل أهلنا اشربي تا ييجي جمال من أرض النبي
إشربي يا خيل أهلنا إشربي تا ييجي أحمد من أرض النبي

وتقول:

قيموا ها البلاطة دمها مرجان تا ييجي جمال من بين العرقان
قيموا ها البلاطة ارموشها حنون تا ييجي جمال حبيب الزيتون
قيموا ها البلاطة صوتها عربيد تا يرجع جمال من حرب اليهود

وتقول احداهن وقد فقدت أباها شابا لم يتجاوز واحدا وعشرين ربيعا، غريبا في أرض جزيرة العرب، اثر حادث سير مؤلم:

طيري غربي البلاد هـ
طيري غربي البلاد راحل
غاب القمر ورجالنا غياب
غاب القمر ورجالنا مجوشي
برودة حجر امعلقة في التين
يا شاعر ميل عندناها الليلة
يا شاعر ميل عندنا وارتاحي
هرول يا رمل من روس الجبال
هيه يا قمر الساحة وليش تتغيبي
هيه يا سدرة الساحة هزي وهزي
هيه يا سدرة الساحة يارنانة
هيه يا شباب يلي ابتلعوا السيجة
هيه يا شباب يلي تلعبوا الشدة
هيه يا ميت غريب وليش أهلك مجوشي
هيه يا ميت غريب وليش أهلك مجوش
هيه يا دم الغريب في السهل يجري
هيه يا دم الغريب في السهل بيعوم
واحننا الحزانى جينا
وخواتنا وبالشاطر
يا احوالنا واحوالهم

والنذل عن صيدتو عدا
والنذل عن صيدتو جاهل
بدري بيحوا ولا نسد الباب
بدري بيحوا ولا انسد الحوشي
لا يا حسرتي شكالها قتيل
وظلع كيد عا شباب العيلة
وظلع كيد في الشباب لملاحي
واركد يا نعش يا زامم الغالي
مكتوب عا العبد ايموت غربي
ياما اطلعوا تحتك مناسف رزي
ياما اطلعوا تحتك لحم خرفاني
استنوا للعبد تمنوا يسرح وييجي
استنوا العبد طيروا تا ايهدى
بلدي ابعيدي وكون أهلي ميدروشي
هانا بلدي بعيد وبدها ارجال وخيالة
لو خبروني حضرت للقتيل حجري
عوم لو اني حاضر للقتيتو مع النوم
يا اسخامنا في ايدينا
يا اسخامهن قناطر
كلها والاله تتغير

هيلوا اصحون البيض وصحون اللبن
هيلوا اصحون البيض قبل ما أصل
تيجوا على العيد ولا اطلق ضحاياكم
هذي صبايا العزتستنى هداياكم
ولك هيه يا عيد وعيد في الزقاق
وحنا الحزاننا وقتلنا الضراق
ولك هيه يا عيد وعيد في الزقاق
ومشي ورح واحنا الحزاننا ما ندراش

شاب عا المقبرة بنادي يا مين اروحني عا ابلادي
 شاب عا المقبرة بينوحي يا مين اروحني تروحي
 شاب على روس الجزائر وأنده عابو الشليش مايل
 جمل برخ بين القبور ولكشت برجلي
 وما قام ويكشيل الي جملها ما يمشي
 يخويي خذوني اسياج المقبرتكم تلقى المطر والسيل عنكم
 خذوني بين القبور وكيل يا مقعدي مقعد ذليل
 قولوا لأمو ما اتقولوا غيرها
 والكحل الاسود ما اتخطوا ابعينها
 قولوا لأمو ما اتقولوا لحدنا والشمندر الأحمر لا اتخطوا بالندا

وتقول الأخت أيضا:

هيه يا شباب يلي تلعبوا الشدة ما شفتوا لي العبد طايح الهدى
 هيه يا شباب يلي تلعبوا في الدار ما شفتوا العبد طايح الهدار
 هيه يا عبد يلي قطعت المية ما أدري عزب ولا وراك ابنية
 هيه يا عبد يلي قطعت الوادي ما أدري عزب ولا وراك أولادي

وقال صاحب الاسطر عندما فجع بأخيه الشاب، اثر حادث سير مؤسف، بين بغداد وعمان، وقد ألد غريبا، وبكته القلوب مع العيون صراحة:

سلام إلى تيسر بأرض اربد	وشوق من الأعماق يحيي النساءما
يا قوالة الشباب ظلي قولي	قولي على تيسير يا ظريف الطولي
يا قوالة الشباب ظلي قولي	قولي على تيسير هبوب الريح
يا قوالة الشباب لا تنسينا	قولي على تيسير تا يجينا
يا قوالة الشباب ظلي ابمطرحك	قولي على تيسير يجي ابمطرحك
يا قوالة الشباب قولي للزمان	ومن بعد تيسير ما ظل الأمان
يا قوالة الشباب زوريلي بغداد	واتفقدني تيسير قرب الأوان
يا قوالة الشباب اتمشي في الدروب	وجيبي من تيسير شارات المكتوب
يا قوالة الشباب زوريلي عمان	من بعدك يا تيسير تحرم الذهبان
يا قوالة الشباب زوريلي اربد	وقولي لتيسير البعد بحرق
يا رايعين على بغداد قولوا لها	تيسير ما هجرها اج ازورنا
يا رايعين على أرض الحدودي	تيسير واريتوفي اللحودي
يا رايعين أرض العراق وخبروا	تيسير والله ما بضارق جنتو
يا رايعين أرض المقابر في الظلام	من بعد تيسير ما انعيش ابسلام

من بعد قلبي أنا اخسرت الجنون
تيسير نايم عندكم حسو مظلوم
تيسير ما نام الليلة هذي ابمطرحو

يا رايعين عا الدواوين في الغروب
يا رايعين أرض المفرق وقت الغروب
يا رايعين أرض المفرق مع الضحى

ويقال أيضا:

راحت على تيسير سياج البيض الملاح
من المقت والله ما تعرفونا
تلاقوا علينا الدهر ميال

لا يا احسيرتي راحت على اللي راح
اه يا احبابنا طلوا علينا وابصرونا
طلوا علينا وابصروا الحال

وقلن أيضا:

حسن الدلال بيدل على اهدومه
حسن الدلال بيدل على لبسه

اقعدي خيك يا نجوى من نومة
اقعدي خيك يا نجوى من فرشه

وقلن أيضا:

يا شاربو خط القلم عا الورقة
يا شاربو خط القلم بالمنجلي
يا شاربو خط القلم عا اللوح

هيه يا نادية قولتي عليه في الحلقة
هيه يا نادية قولتي عليه واتقولتي
هيه يا نادية قولتي عليه بالنوح

وقالت النسوة متحسرات على عظم المصاب، ووقعه على النفوس، وقد تلقين الخبر عبر
المخبرين، ووسائل الأعلام:

مين جاب الخبر واعلن عن اصحابو
يوم اسمعت تيسير قمت مرعوبة
يومن قالوا تيسير قمت أنا محتارة

مين جاب الخبر يا ناس مين جابو
يا خبر أجانا من قضا البحوري
يا خبر أجانا مع صوت الأمطار

وقالت إحدهن وقد فقدت ولدها بعد اتمام حياته الجامعية:

يا رايع على الشام جبلي من البري سلام
لكتب بدمع العين عا نعشو أحلى كلام

وأما إذا كان الميت محارباً أو شهيداً أو ابدى شجاعة معينة تجاه ارضه ووطنه وابناء
شعبه وامته، يأتي القول متساوياً مع الحدث، او مجسدا للحدث، او مضيئاً للحدث حتى
يحببه إلى نفوس المتلقين، فيشكل النص جسراً وشائجياً بين المرسل والمستقبل على حد
سواء، ومثل ذلك يجعل النص صاحب سيادة فاعلة، او يجعل جمرة النص يصطلي بها كل

من يتقرب منها، او يحاول التعامل معه من قريب أو بعيد، لأن فاعلية النص تتوهج كلما تقترب منه انماط التفكير وان تباينت في التعامل مع النص:

طلت البارودة والسبع ما طل
يا بوز البارودة من الندى مبتل
طلت البارودة والسبع ما جاش
يا بوز البارودة من الندى رشراش

وتقول احداهن:

يا اقشيل راسي ليش ما شريتها	بارودتو توبيد الدلال اريتها
يا اقشيل راسي ليش ما شلفتها	بارودتو بايد الدلال شفتها
يا اقشيل راسي ليش ما حموها	بارودتو اباب الديوان حطوها
يا اقشيل راسي ليش ما ضميتها	بارودتو من بابي مروا ابها
يا اقشيل راسي ليش ما عانقتها	بارودتو من بين السلاح اعرفتها
يا اقشيل راسي مين راح اردها	بارودتو مع الاعادي شفتها
يا اقشيل راسي كثروا الحرامية	بارودتو على الرجوم مرمية
يا اقشيل راسي قتلوا ابوها	بارودتو من الحدود جابوها
يا اقشيل راسي ارضي ضيعوها	بارودتو على العيون حطوها
يا اقشيل راسي مين راح يحمي العرض	بارودتو زي الندا على الارض
يا اقشيل راسي مين راح يحمي ازغاري	بارودتو زي الندا في الدار
يا اقشيل راسي وين راحواهل المعروف	بارودتو زي الندا عا الدفوف
يا اقشيل راسي كثرت الاعادي	بارودتو زي الصدى في الوادي
يا اقشيل راسي سرقوا الحكورة	بارودتو عند الامير شافوها
يا اقشيل راسي بهدلونا الجنود	بارودتو عند الاعادي واليهود

وعندما تشعر المرأة بالوحدة، وهي تعد الطحين بمفردها، او تقوم بإحدى مهمات الحياة الأخرى، وقد أثقلها الإعياء والتعب تسمعها تشدو الماء، تواسي نفسها بالدموع المندرة، وتسمعك ما تقوله روحها لروحها عبر مفردات توجهها إلى قناعها الذي تتلبسه او يشكل مدخلا لتوضيح هواجسها والثوابت التي تتعامل من خلالها مع الآخرين، او اية شخصية تضع لها مسمى دون النظر، ان كانت هذه الشخصية حقيقية او ترميزية، الا انها تتفاعل معها وتحفزها على الاستجابة لعواطفها التي لا تبقى على نمطية واحدة، لأن العواطف تتبدل بتبدل الأزمنة والأمكنة كلها:

يا جارنا يا بو علي	والغول بطحن معي
والليل معنا طويل	والحب معنا قليل
ونخلص الحب بوكلك	يا جارنا يا بو علي

يا جارنا يا بو علي يا بو الشيخة والمرجلي
خلصني من ها المسائي طول عمري انا امبهدي
من طاحونة لمزيلة والدست يغلي غلي
يا جارنا يا بو علي خالصني من ها البهدي

وتعيدها مرة اخرى لكن مع نوع من التغيير:

يا جارنا يا بو علي والغول بطحن معي
وازغير ويلوقنزع رب السما ينزعة
جري جري يا بنت ابو مري
والليل معنا طويل والحب معنا قليل
وان خلص الحب بوكلك وان خلص الحب بوكلك

تلك المرأة تشدو والدمع يسيل على وجنتها، وتردد مع غيرها حتى تشعر بارتياح تام عندما تتلاشى صور الهم، أو ترى الهمّ وقد تجسد أمام ناظريها، فيخرج صوتها متفاعلا مع صداه فتجهش بالبكاء المتجدد، وتعود إلى مناجاة الذات كي ترثي الذات عبر شخصية الفقيده، ان فقد حقيقة، او فقد نفسيا في نظر زوجته في اقل تقدير، لان بعض الرجال عدم وجودهم اولى من وجودهم، بذلك تكون قد ازاحت الهم عن كاهلها، ورسمت صورة للمخاطب تكون واقعية، او تقديرية:

يا كشيلا اللي اترملت في اصباها
خلت عزيز الروح في مرعاها
لروح للزعتر وشمو
وشوف حبيبي وقلو
كيف تقدر على فرقاي يا وشمو

وقولها:

قولوا لعين الشمس ما تحماش
عمّن عديل الروح صبّح ماشي
قولوا لعين الشمس ما تطلعش
عمّن حبيب الروح على النعش

وعندما مات احد الحدادين وهو من النور الرحل ويدعى ابو ظاهر قالت احداهن مولولة:

الظمن يا خايبات شيخ الحدادين مات
يا فضة حدث عليه والكلب دندل ذنيه

والعدة تلطم عليه مات بو ظاهر يا خسارة
الظمن يا خايبات شيخ الحدادين مات
والكور يبكي عليه والجحش ذبل عنيه
والارض اتولول عليه
مات وراح يا اخسارة
وفضة تلطم عليه،
وزهية تصرخ وتقول ابوي مات يا خسارة
بو ظاهرمات يا اخسارة بو ظاهر مات يا خسارة

وتردف ايضا:

يا خايبة يا عورة جوزك وقع في الدورة
لوماتني لقيتو ان كان خرب بيتو

وتقول:

والرملة يا خيائي والرملة الها هياتي
والرملة قدت ثوبي والثوب جابو الغالي

وتقول:

وصاني المرحوم وقال خذي سلفك عا العيال
خذي سلفك واحظي فيه واستريه وانستري فيه

وتقول:

هيه يا خايبة لا توخذي الي الوكرش
بقلعك في الليل من كثر الهرش

وتقول أيضا:

بديش الشايب بديش أحوشة
لو كان الذهب مالي طريوشة
وتفوعا الشايب وتفوعا فلوسة
وبدي حبيبي الأفقر ما يكونا

وتقول:

عا ليش يا بو كنودة تظربنا بالبارودي
وحنا سربة اقرودة ابنشربك شربة مية

وتقول احداهن عندما يكون المقتول مغدورا، تحت على الاخذ بالثأر والخلاص من تبعيات الواقع، لأن الغدر من تبعات النفوس المريضة، ويجد الصدى في المجتمعات البدائية والقبلية، والحياة التي تمجد النزعات الانتقامية لدى الناس، فمثل ذلك لا ينتهي الا اذا عاد الناس إلى رشدهم وقيمهم المستمدة من العقيدة السمحاء، او عندما يجعلون القوانين سيدة الحياة، وتسود في الحياة، لذا جسد الأدب الشعبي هذه الصورة المستطرفة من

قبل الناس، ألا وهي خاصية الثأر وبواعثه والبحث عنه والأستمرارية فيه، فتأتي الصورة تحفيزية وفيها لغة الهجوم واضحة لا يحتاج من يتعامل معها إلى عناء حتى يجسدها:

ياريت قتال قتيل دموفي الوديان اسيل
ياريت قتال مقتول جسم للعقبان والدود

وتقول احدهن:

الشارب ند الشارب والشارب ند الحاجب
البيضة ند البيضة والسالف ند السالف

لذا تدخلت أم أيوب وقالت:

إكلهم يا خايبات إكلهم إكلهم يا خايبات إكلهم

واما اذا كان القتيل ثائرا او فدائيا، عندها نرى اللحن وقد توشى بلون من الفاعلية الخاصة او التفاعل الجذاب الذي يأتي عبر نغم ايقاعي خاص، لا نتلمسه الا فيه أو في مثيلاته من النصوص، فاستشهاد الثائر يخلق حالة انطباعية خاصة لدى المتلقين للحدث، والمتفاعلين معه، لذا تصبح المفردة اكثر فاعلية في هذا الموقع، وهكذا مناسبة، عندها تسمع من تردد فتقول:

مايبني وبينك سلسلة وادي ظرب الخناجر بحمي البلاد
جازي عليهم يا شعبي جازي المندوب السامي وريع عموما

مثل هذه النصوص نرى أنها تعمل على اتساع شبكة العلاقات الاجتماعية، أي أنها تذكر الناس بالمواقف وأصحابها، وهذا يدفع كثيراً من الناس أن يرددوا هذه النصوص في مناسبات عديدة، وبالذات المناسبات المشابهة للمناسبة التي قيلت فيها، فكأن هناك تبادلاً مشتركاً ومقصوداً بين الناس، حيث تزدهر الظواهر الشعبية، لأن الناس المنشدين قد يدخلون على النصوص بعض التعديلات حتى تلائم المواقف التي يعيشونها، وهذا يؤدي إلى تماسك البناء الاجتماعي؛ لأن الناس تتأكد أن المصائب التي تعيشها ليست فريدة أو غريبة، وإنما نجدها أصابت أناساً كثيرين، لذا نجد وقعها في النفوس أقل أثراً من المصيبة التي لا مثيل لها، فكما يقال (مثلما اصابكم اصابنا، ومثل ما اصابنا اصابكم):

ذبل عيون ومد ايديو يحنون
ايش هل الغزال الي راحوا يجيبونه
ايش هل الغزال الي عن دارنا مرق
ايش هل الغزال الي عن دارنا عدا
ايش هل الغزال الي شعره على طولو
خصر رهيف كحيل العين يا زين
سبل عيونه ومد ايده يحنونه
خصره رقيق وبزه العسل عرق
خصرة رقيق وبالكشمير مشتدا
من جيبته علقوا في لولب حجوله

ايش هل الغزال الي شعره احبال احبال من جيبته علقوه في لولب الخخال

وأظن أن مثل هذه النصوص تشكل حركة إحيائية للمناقب والقيم والعادات والتقاليد والثقافات التي عاشها الناس، وتسير مع بعضهم عبر التورث، وقد نجد بعض النصوص تحمل جذوراً تاريخية، من خلال الممارسات والأهداف التي نراها تتحقق، من خلال إحياء الفكرة التي تندثر في لحظة من اللحظات، ان لم تجد من يأخذ بيدها وينميها، او يحافظ عليها عبر جمعها وتبويبها في اقل تقدير للأمر.

أغاني المطر وهموم انحباسه

ولما ينحبس المطر، ويحتاج الناس إلى الغوث الرباني، ترى جموع الناس يصلون صلاة الاستسقاء، في حين يخرج الأطفال إلى الشوارع وصدورهم عارية، رافعين الأكف إلى السماء، يدعون الله سبحانه، ويستجدون منه الرحمة والعطاء، لأنهم وغيرهم يوقنون ان الملاذ إلى صاحب الملاذ، فكما يقول احدهم، اين المضر منك يارب وانت المحيط بالاكوان، ومثل ذلك يتكرر كثيرا في حياة الناس، لأن انحباس المطر ليس مقترنا بزمان او مكان محددين، لهذا نجد الموروث القولي غنيا فيما يمثل هذا الجانب، ومتعدد المشارب والتوجهات، وكل بيئة جغرافية لها ما يميزها عن غيرها في الاقوال، ما يجعل النصوص تمثل الشرائح العمرية المختلفة في الحياة البشرية، وتضم كلا الجنسين، لأن ظاهرة انحباس المطر تشكل حالة من الفزع لدى كثير من الناس، وبالذات المعتمدين في حياتهم على الزراعة، والرعي ومعانقة الطبيعة في الأزمنة والأمكنة كلها، لأن الماء يشكل عماد الحياه وهذا ما أكده الله في كتابه الكريم، (وجعلنا من الماء كل شيء حي) ، خاصة ان المدنية والتقنية لم تصلا إلى كثير من الناس، لأنها لم تصل إلى مناطقهم الجغرافية، حيث كان الناس ولم يزالوا في بعض المناطق يعتمدون على مياه الأمطار في الشرب وسقي المحاصيل والمواشي، وهذا ناتج من تجميع مياه الأمطار في الشتاء في احواض وابعار، لذا نجد المياه عزيزة المنال خاصة في فصل الصيف، حيث تكون العيون ومنابع الماء الملاذ الحقيقي للناس كافة، فتتشكل الصداقات مع العيون ويكثر ذكرها في الاداب والفضون الأبداعية الأخرى:

يا ربي نقطة نقطة

تانسقي حلق القطة

يا ربي ليش ما ليش

وكلنا عروق الخرفيش

يا ربي ليش هالطولة

أكلنا طحينة الفولة

يا ربي ليش هالكنة

أكلنا طحينة الكرسنة

يا الله الغيث ياربي شتوية ابتحيي صبي

يا الله الغيث ويا دايم تسقي زرعنا الناييم

أمطري وزيدي بيتنا حديدي

وعمنا عبدالله كسرنال الجرة

والرزق على الله

ياربي لا تواخذنا من عظمة مشايخنا
ياربي المطر والسييل تتروى ضروع الخيل
ياربي المطر يارب تنسقي الزرع نسقي الارض
ياربي بل الشراميح وحنا تحتك بدنا انعيش
ياساقينا يا دايهم ارحم الزرع النايهم

وهناك من ينشد بنوع من العتب المؤدب تجاه الله سبحانه وتعالى، لان امل البسطاء في
الله عظيم لا تشوبه شائبة:

راحت ام الغيم تتجيب الرعود
ما اجت الا زرعنا طول العود
راحت ام الغيم تتجيب الزلال
ما اجت الا الزرع طول الدلال
راحت ام الغيم تستجدي المطر
ما اجت الا الزرع طول الشجر

وهناك من يصف حال الحيوانات عبر الاستسقاء، وطلب الرحمة من صاحب الرحمة:

ياربي المطر والسييل لا تهلك حمير الدير
رشوا رشوا باب الدار تانحيي الفدان والبذار

ومع استمرارية انحباس المطر، ترى ثللاً من النساء تخرج، وقد حملت إحداهن ديكاً
حتى يخرج أصواتاً حزينة بعد أن يضغط على عنقه، وهكذا، وقد تظهر إحداهن جديلتها
وتحركها بعد تعريتها، وكأنها تستجدي بوساطة جديلتها، وذلك يمثل الخروج على
المألوف، من ان تعري المرأة جديلتها، لأن السفور لم يعتده الناس في حياتهم الاجتماعية،
وبالذات في الريف والبادية، لذا ترى تلك المرأة التي تحرك جديلتها حركة مقصودة، تتزعم
السائرين في الشوارع يجوبون الحارات والأزقة ينشدون من بعد ان تنشد مع الأخريات
تلك المرأة صاحبة الجديلة المكشوفة:

ويش بدو قعاق الليل
بدو مطر بدو سيل
قعك لربك يا ديك
اطلب من ربك يسقيك
ديكنا يزرق في الليل
بدو مطر بدو سيل
يا ديك يا بو عرف ازرق
يا ريتك في المية تغرق

وهناك من ينشد ويدخل المعتقدات التي تسيطر على الناس في بيئات جغرافية معينة، كما هي الأناشيد في بعض قرى الجليل الفلسطيني، كما قرية البقيعة التي تشتهر بكرومها، وشعرائها، وطيبة أهلها، وحبهم لأرضهم:

يا سيدي ياسبلان	تسقي ها الزرع العطشان
ياسيدي يانبي شعيب	تزقح لنا المزاريب
يا خضريا بو العباس	تسقي ها الزرع اليباس
يانبي ويا اصحابو	انويزقح مزارابي
ياربي تطلع العين	بجاه كل الصالحين
بجاه الأنبياء كلن	الي نشفوا تعود اتبلن
ياربي اتشتي الليلة	وتخلي الأرض بليلة
ياربي اتشتي ازيادة	شتي تايجري الوادي
دخلك ياسيدي صالح	اتخلي واديننا طافح
ياربي اتشتي اتشتي	حتى اروح عند ستي
وتعملي فطيرة	قد الحصيرة
واكلها وانام	واصبح جوعان
شتي يادنيا وزيدي	وبيتنا حديدي
وعمنا عبد الله	وكسرولو الجرة
وقتلوسيدو	ونيمو برا
يا الله الغيث يارحمن	واسقي ها الزرع عطشان
ياربي بل الشرشوح	وحنا فقرا وين انروح
ياربي بل المنديل	وحنا فقرا وين انشيل
ياربي بل الشنبر	حاجي التاجر يتقنبر
ياربي اسقي الفقير	تا الغني ما بتكبر

ويقول اخر:

ياربنا ياربنا وحنا زغار شو ذنبنا
طلبنا خبز من امننا ضربتنا عا قمنا

وللجراد ومضاره نصيب من الغناء الشعبي الفلسطيني، لأن مهاجمة الجراد للأرض تعني انتكاسة الحياة، والقضاء على دورتها، لذا نجد ملعونا في أدبيات الشعوب كلها:

دخلك يارب العباد تبعدو عنا الجراد
عالي يا جراد الريم لا ترعى زرع اليتيم
ويا جراد يا عالي لا ترعى رزق خالي

لوجعنا بطعمينا ولو نعري عم بكسينا
ويهتف الأطفال ايضا:

ياربي المطر والسييل تنسقي القره والخييل
ياربي بل الشالة وحنافقرا وعيالة
ياربي بل الشرشوح وحنافقرا وين انروح
يا الله الغيث غائنا وخبز وزيت طعمينا
وايام الشتا والصيف منقضيا كيف ابكيف
وكل ما يبجي عنا ضيف بحسدنا عا امحبتنا
وكل تينة فوقها عصفور بيغرد عا عنبتنا

ويهتفون ايضا:

طيارة حرامية تحت التوتة مرمية
افتح باب وسكر باب وارم العسكر للكلاب
ابو علي مين شافو حامل مرتو عا اکتافو
حاملها وداير فيها من خوفو ليعشيا
ون جاعت توكل دقنو ون شبعت تمسح فيها

وعندما يستجيب الله لدعاء الناس، تراهم يستبشرون بنزول المطر، ويظهر ذلك على مفرداتهم وتصرفاتهم، فتبدأ جموع الأطفال تجوب الشوارع، وقد بللها القطر فرحين بما نالهم من ذلك، لذا تسمعهم يهتفون:

شتي وزيدي عا قرعية سيدي
سيدي في المغارة يذبح قطة وفارة
قلت اطمعني نقني صرارة

عندها ترى الاطفال مبهجين، يرددون خلف رجل مسن كفيف البصر، عميق البصيرة، يحفظ القران على ظهر قلب، يحفظ ما يحفظ من مقولات شعبية متعددة، بل ومقتدر على الاتيان بمثيالاتها او افضل منها، من انشائه وارتجاله، فهو لبق محبوب دمث الخلق كريم النفس معطاء مما اكرمه الله، من مقتنيات الارض وتوابعها، لذا تراه جالسا يتحلق حوله الاولاد من احفاده واقرانهم وينشدون من خلفه ما تجود به قريحته في حينه استبشاراً بالمطر وغيث الغياث الذي لا يده حد ابدًا:

زيدها يا رب زيدها وارحم عبيدها
يا دنيا شتي وزيدي بيتنا حديدي
شتي على عبد الله من هموكسر الجرة
شتي على بو محمود من فرحتو اشترى العود
شتي عا دار الامين مشرفة ولها بابين

شتي علينا وزيدي ملينا أكل العصيدة
شتي على عرارة موعدنا في مغارة
شتي عا ام اعيون السود بلبل شعرها المنفول
شتي شتي يا دنيا حتى تجبل الحنة
شتي عا كل البنات مثلهن ما في حلوات
شتي عا حب الليمون وين اشوفك يا مزيون
شتي تتجر الوديان وتسقي الخدود السمان
شتي شتي ياربي تنسقي زرعنا الغربي
شتي عا روس العرقان واتعبنا زقر النسوان
شتي عا البحر والبروعيونها تلمع ضو
شتي على سموقة باعتنا ابزق امقيقة
شتي على الدرجات والغصون المعربشات
شتي على القصيلة باعونا المية بالكيلا
شتي شتي عا المشمش دير بالك عمي بهبش
شتي على أرض البد معزوزة انشلت من البرد
شتي على الحرجة لا تتمشى في الدرجة
شتي على الدرجات تانسقي كل البنات
شتي على ادراج الدار عمو مجرم يا ستار
شتي على المغاير والكلب من جوع وداير
شتي على العشرة ياربي زيح الكشرة
شتي عا واد اسعيدة مظلش ولا مجيدة
شتي عا خانق طه سرقوها من قضاها
شتي عا المهللة رشيدة بنت امدلة
شتي عا ام البابين طاقع مجوز ثنتين
شتي على صريدة ما احلى اكل المقيقة
شتي عا ارض القعدات اصرفنا كل المجيدات
شتي عا سيدي دواس طرد عيد بالدحماس
شتي عا كرم الضبع خبينا التبن في القطع
شتي يا دنيا شتي دير بالك تقدي حدي
بضربك بالمهددة وبحكيلك احسن موال
شتي عا غرس قصول وطول عمرك تتحقرص
شتي عا اكروم بوزهية والكحلة حبيبة بيبي
شتي عا ارض المزراب اشتقنا لطعم العناب
شتي على الجزاير والمقصص في الخلا داير

شتي على ارجال سوا والحلو بطلنا انشوفة
شتي عا ارض الميشة وام نجيب في العريشة
شتي عا ارض الميشة الأبرش داير في الهيشي
شتي على المحورة مشينا بلاقندرة
يا ربي شتي شتي على النعجة في الدرجة
والقصيلة والحرجة والمسبح والميدان
شتي على العاللي حتى نطبخ دوالي
شتي عا حبله جوهر هبش الزيتون امسوجر
شتي عا ارض النفوخ اثريا بتحب المظوف
والشيخ يوسف لما ايضوت بدق العدة للناس
وجارو الحج مصطفى بغني للمصطفى
وعبدالرازق من اجا بنبها بالزامور

وعند اشتداد البرد مع هطول الأمطار وتساقط الثلوج في بعض الأحيان، ترى ثلج الأطفال وهي تجتمع حول المواقد التي يخرج منها اللهب، أو يستديرون حول (الوجاق) مع كبار السن، الذين أعياهم الزمن أو جعلهم من القواعد، لذا تسمعهم ينشدون:

أحيني يما أحيني مين يطعمني ويسقيني
وشغل لا ايوريني وفي الدقى اهنييني
أحيني يما بردان تارك الشغل ما بنلام
حتى وان كان زعلان بنيمني ع الحصيرة

ويقول أحدهم بنوع من التهكم المرمز:

قلة الشغل راحة وتوانها خراب اديار
والعكرونة اللماحة ابتقعد لي ع باب الدار

ويقول بعد مضغ ما قدر له من القطين والطحين المبسوس بالزيت باستمتاع:

أكلت حلوا شربت ماء فكأني لا أكلت ولا شربت
ألحمد لله الذي أطعمنا فأشبعنا وأسقانا فأروانا
وفي الشقفان اوانا وفي العجين الخامر هانا

وعندما يريد أن يفض اجتماع الصغار من حوله كي يحثهم على الدراسة، ولحاجة تخصصه تدور في خلدته فيقول:

الضرب ينفعهم، والعلم يرفعهم، لولا مخافتهم، لم يقرأوا الكتب

وبعد الشتاء القوي وجريان المياه في الأودية، يصبح الناس مشتاقين للشمس، ولما تبزغ الشمس ترى الناس يسترقون اوقاتهم ويعرضون اجسادهم إلى اشعة الشمس، وكذلك حوائجهم وامتعتهم فرحين مستبشرين بموسم حافل بالعطاء، ويغني الأطفال مستبشرين بالقادم من الأيام، لأنهم يعكسون بعفويتهم الصورة الصادقة للحياة وفي الحياة، وترى الأطفال من كلا الجنسين يتمايلون طربا واستبشارا بالاتي، فهم اي الأطفال رمز الأمل والطمأنينة معا:

طلعت الشميسة على قرون عيشة
عيشة في المغارة ذبحت قطة وفارة
قلتها اطعميني نقتني صرارة
ولحقتني في الحارة
وركبت عا الحمارة
وغمزت السنارة وتزوجت أبو محمود

ولما تبدأ الأعشاب بالنمو، وتتساقط أشعة الشمس على الأغصان، تخرج العائلات التي لديها المواشي، إلى البراري وتسكن معها، ويسمى من يفعل ذلك بالمعزب، (نسبة إلى العزب) ، اي الاراضي المحمية او المخدومة، ويتعاون الناس فيما بينهم حتى تكتمل دورة الحياة، عندها تسمع الرعاة ينشدون ما يريح النفس، ويبعث فيها الأمل، استبشارا بالموسم الجديد، الذي يخلق الدافعية للحياة، والتفاعل معها، وكثيرة هي اللحظات التي تسمع فيها اهات النايات تجوب الفيافي وتتماوج في الحقول، مستجيبة لحالات النشوة التي تركتها الامطار في نفوس الناس، ويعانق اليرغول همسات الناي وتتصافى الوشائج بين الجميع:

يا شوفة شفتيها تخبز على الصاج
مرسوم عا اصديرها خرفان وانعاج
لا تزعلن يا سمر والبيض غناجة
والبيض شحم القلب والسمر عنية

ويهتفون مجتمعين أيضا:

مرت ما مرت مرت ما مرت مرود الكحل في العين وجرت
ونزلت عا الوادي والوديان اخضرت وكلو من همسك يا أسمر اللونا

بعدها تسمع أحدهم منفردا ينشد بتحنان خاص، يخاطب من يوجه له الكلام، إن حقيقة أو من رسم الخيال:

ثلاث غزلان مرن يا سلامة على الفقير ما ردن سلامة
ونا لاروح لابوهن سلامة وابوس الأرض من تحت الكعاب

ع باب الدار لزرعك لمونة وكل الناس في حبك لموني
يا ريتني أكون في ايدك لموني واتمصيني بشفايفك هالعناب

ويقول:

لطلع لسما ربي واشكيله لا اتخافي منه الله وكيله
وين حبيبي ما يروح لأجيله وجر الكحل جوا العيوننا
حملت الرجة وسندت فيها عينيها ع كل الشباب ترخيها
كله من أمك الله اجازيها ضيبت فكرك وانت ازغنوننا
حملت الرجة وحطتها قدام بحلف عليها ما فيها العظام
أله اجيبك هذيك الأيام يحمر الوجه من غير دهونا
يم التنورة الحرير الصادق يا روس اخدودك تفاح الحادق
ويش ما قلت كلامك صادق امسجل في الورق بيمر حنوننا

وبعد سماع هذا الايقاع من الاخرين في الجبال، يتفاعل أحدهم مع الحدث وينشد نشيدا يريح النفس ويخفف عنها عناءات النهار ومشقات الليل، لان النفس البشرية في اساسها وتكوينها تحب الترويح عنها، وهذا مرده إلى الاستبشار بالحياة من جديد، لأن الحياة ضيقة لولا فسحة الأمل:

يا دموع العين هيلي على أم الفساتين
عندي شعرة من شعرها تسوى الديرة وأحلى ديرة
يا دموع العين سيلى على أم المناديل
عندي شعرة من شعرها تسوى اريد والطفيلة
يا دموع العين روجي عن حبيبي لا تبوحى
عندي شعرة من شعرها تسوى اهلك يا نصوح

ولذلك تتدخل الدعابة في مثل هكذا موقف، فنسمع احدهم ينشد من اجل الدعابة فيقول:

قاق يابوقنبرة عا ليش طلقت المرة
عا الرغيف الي اكلتو ياريتها ما كسرتو
قاق يابوتينة طيح عا المدينة
جيب رطل حنة تا انحنى مرتك
والتالي لقرعتك نستعيد من طلعتك

ويقول أيضا:

يا حفيظة ع ليش امريظة / عا الرغيف من الرغفان
يا حفيظة ع ليش امريظة / على صوصة من الصيصان

ويردف اخر:

ثلث قيقان عا ثلث حيطان
كل قاق امقابل قاقين احزرهم قديش يافهيم
احزرهم قديش يافهيم احزرهم قديش يافهيم

يضحك المجتمعون ويردف احدهم للتواصل مع المتعة المشتهاة، للتواصل الحميمي مع
ما بدا به الاخرون:

طبقة عا طبقة والطبقتين امعلقة
والسيسبانة دايرة والعبد بيدو مطرقة
والعروس تمشي ابغندرة

ويردف:

حمزة قمز قمزة لحقوا خمسة مسكوه اثنين
لحقوه خمسة مسكوه اثنين
احزرلي اشوهو يا فهيم

وتقول الجموع في حالة التهكم على احد بعينه، وهذا ما تتناقله عن احد بعينه، لديه
سرعة البديهة في ايصال الفكرة عبر مفردات لها وقعها الخاص، لانها تحمل في طياتها
السخرية المرة، او الكوميديا السوداء، التي تعكس جوانيات النفس البشرية:

عدي ارجالك عدي
من الاقرع للمصدي
واشي من خلقة ربي

ويردف زيادة في التوبيخ:

الله ايهدك من دهر ميالي
خليت رعيان الغنم خيالي
الله ايهدك من دهر ميالي
خليت رعيان الغنم شمعات لي
الله ايهدك من دهر ميالي
خليت زعران البلد مدادي

ويقول امعانا في التوبيخ والامتهان والأذلال:
وعند صيد الغزال راح الكلب يخرى، والبس في المنذرة، والذيب يبني قنطرة

وعندما يفترق الناس عزيزا ويمثل بالنسبة لهم سندا، ولا يجدون من يسد مسده،
خاصة اذا حاول بعض الناس التمثل به، أو تقليده دون ان تتكافأ كفتا الميزان، ما يجعلهم
يوازنون بين الشخصين، لذا تسمع أحدهم يقول:

ماتت اوحوش البرواتاسع الخلى
اتحفقت فيها يا بو الحصينيات ودور

ويقال ايضا في السياقات نفسها:

جابوا الخيل يحذوها قام الفارمد ايدو
ومن قلة الخيل شدو عا الحمير اسروج
ودير بالك عا صلعتك يا ابن الكرم والوجود
ودير بالك عا حالك يا بو القلب الودود

عندها يتهامس الموجودون، وتسمع بعض التعليقات من هنا وهناك، وينفض الجمع
على امل الرجوع في اليوم القادم وفي جلسة متجددة، تحمل في ثناياها اشياء كثيرة،
قد لا نجدها الا في مثلها او مثيلاتها، لان هذه المتوارثات قد تبدو للناس بسيطة الا انها
غير ذلك، فهي تحمل ما تحمله من متداخلات ليس من السهل على الانسان نسيانها او
عدم التفاعل معها، لانها تحمل الضدية احيانا، فمضردات التهكم ليس من السهل على
الانسان نسيانها ابدا، ان كان مرسلا لها او مستقبلا، فلا فرق في ذلك، لان الاثر النفسي
يتجدد سلبا كان ام ايجابا.

أغاني العمل

العمل مقدس عند الناس، أو عند كثير من الناس المؤمنين؛ لأن الله سبحانه يخاطب عباده خطاباً واضحاً يحثهم على العمل، وهذا ما نتلمسه في الكتب السماوية المتعددة، ونراه نصاً صريحاً في القرآن الكريم: «وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون» لذا نجد الدعوة للعمل جاءت بصيغة الأمر؛ أي أن الله -سبحانه- يخاطب نبيه حتى يخاطب الناس جميعاً لحثهم على العمل، لأن العمل ينقل الإنسان من مرتبة العالة إلى مرتبة المعيل، وهو الذي يجعل الناس يمتازون عن غيرهم، فكما يقول عمر بن الخطاب -رضي الله عنه: «أرى الرجل فيعجبني فإذا قيل لا صناعة له سقط عن عيني».

لذا نجد الإنسان فطرياً يبحث عن شيء ينقله من حالة معينة إلى حالة أخرى تخالف ظرفه الراهن الذي يعيشه، ومع البحث عن العمل يبدأ بحث الإنسان عن يخفف عنه، ويزيل عنه هموم الساعات والأيام، وما تحمله له من إرث مضمّن، حتى يتنفس الصعداء، ويزيل عن كاهله ما علق من تبعات في الزمان والمكان معاً، بذلك يجعل ظنياً أن الغناء أقدم وسيلة تعبيرية ترفيحية عرفها الإنسان حتى تعيش معه، منذ تعرّفه بالحياة حتى انتهاء الأجل، وظهور جيل جديد في الحياة الدنيا.

فالغناء -كما نعتقد - يصاحب الإنسان في أطوار حياته المختلفة، ويعيش معه في الأزمنة والأمكنة كلها، لأن الغناء الشعبي ينشأ مع فطرة الإنسان وسليقته، فهو الصاحب الملازم للإنسان مع البدء في العمل وانتهاء بما يؤول إليه الإنسان من أشياء.

فأعتقد غناء عرفه الإنسان هو ما يلزمه في حياته العملية، إن كان غنائياً فردياً أم جماعياً، «وهذا الغناء ذو الإيقاع المنظم في الأصوات أثناء العمل الفردي والجماعي يساعد على انتظام وتنسيق حركة العمل، ويخفف من عنائه ومشاقه، ويبدو تأثير هذه الإيقاعات في الأغاني المصاحبة لأعمال الحصاد وجمع الثمار وكذلك الصيد البحري».^(٤٢)

ففي موسم حراثة الأرض نجد الإنسان يتهاى نفسياً وجسدياً حتى يغير ملامح القشرة الخارجية للأرض، حتى تستقبل موسمها الجديد بحلة خاصة، تسهل للماء السبل باختراقها، وتساعد على قتل الأدغال والديدان، وتفتت تكلسات الصخور، وقتل الأعشاب البرية.

وترى الأرض مستبشرة بثوبها الجديد، وبما أنعم الله عليها من أشياء عبر جهد الإنسان، لأنه؛ أي الإنسان يبدأ عمله اليومي مع نهاية صلاة الفجر حتى حين أذان العشاء، وهو يعارك الحياة حتى تستقيم له الأمور بمقاليدها المتعددة؛ فالإنسان بفطرته -إن كان أجيراً أو مالكاً للعمل- يحتاج أن يروّج عن نفسه، لأن الغناء الشعبي خاصة ذخيرة الوجدان الجمعي الذي يخلق العلاقة الحميمة مع الآخرين. لذا نجد عبارات لها وقعها ودلالاتها

في النفوس، يرددها الناس وهم يعملون ويخلقون العلاقة المتجددة مع الأرض، كل حسب ثقافته وموقعه في العمل، فإن كان العامل أجيراً، قد يشعر بالغبن والقهر أحياناً، فنسمع أحدهم يردد كلاماً ينم عن الاستعباد أو الاستغلال: «أحرث وادرس لبطرس»، أو يردد آخر: «اشق يا شكاح، لخليك المرتاح». أو كما تقول المرأة التي تعتقد أنها مظلومة اجتماعياً «عند اللحمية نادوا رحمة، وعند الخدمة نادوا نجمة».

الإنسان يردد أقواله، ذاكراً طبيعة العمل والصديق الصدوق في العمل ألا وهو الحيوان الذي يعينه على الشقاء، لأنه يشاركه في مجالات الحياة كافة، حتى في المسكن كان الناس يبيتون مع حيواناتهم تحت سقف واحد، وتسمع الفلاحين وهم يسمون بعض البيوتات بمسميات الحيوانات، فهناك بيت الحصان، وصيرة الغنمات، ورواق النعجات، وقن الدجاج أو عقدة الطيور، فأن دل ذلك على شيء معين، فعلى مدى اللفة بين الانسان وبالذات الفلاح والحيوان، لأنه الشريك الحقيقي في عملية الانتاج المتنوع، وخلق المونة التي تعتمد على الجسد الحيواني كي يحصل عليها الانسان، وكان الحيوان يتربح على مكانة في نفسية الانسان الفلاح، فاذا ما فقد الفلاح حيوانه يأتي الناس إلى مواسمه، وكأنه فقد احد افراد اسرته، وكانت بعض الاسر تخرج زكاة الفطر عن الحيوانات التي تقتنيها في البيوت، كما الخيول والبقر وغيرها، وكان كبار السن المتقدمون في الحياة يعدون الحيوانات المنتجة كاحد أفراد الأسرة، لذا لها مكانتها في نفوسهم وحياتهم بشكل عام، زيادة على الاسماء الرقيقة التي يطلقونها عليها اي على الحيوانات، ومنهم من يسمها بصفات خاصة تنم عن المحبة والالفة::

حَرَاثُ البقرِيا مطول معانيك
قتلت البقر من طول المعاني

ويقول أيضاً موسياً النفس:

حَرَاثُ يا عمي
رمي على البقر رمي
وكم مليحة تقول للنذل عمي
حَرَاثُ يا خالي لالي على البقر لالي
وكم مليحة تقول للنذل خالي

وهناك من يظهر الفرح والتفاعل مع واقعه، وكأنه يجمل الحياة للنفس والآخرين:

ما أحلى السكّة مع الفدان
نحرث سووية بين الجنان
وأبذر بذاري واقطع معاني
ونغني دلعونا يا اسمر اللونا
ما احلى السرورة من الصباح

ونحرت سوية بيت التفاح
بحبك يا بنت صرت سواح
مرمرني قلبي وصرت مجنونا

ومع اخضرار الأرض، واستبشار الفلاحين بالموسم الجديد، والتفاعل النفسي بين الناس قائماً، نسمع الأهازيج الجديدة الملازمة للناس في حياتهم وطبيعة أعمالهم المختلفة، فمنذ أن يبرعم الثمر حتى النضوج والقطاف، وتسويقه إلى الاسواق وتخزينه في المخازن، نجد الإنسان يلزم الأرض ومقتنياتها ويخدم بنفسه وجسده، ويمني النفس بالأمال المتعددة؛ ما يدفعه للتفاعل مع ما يرى قولاً وفعلاً، لأن الامل يعني الحياة، فكما يقال (ما أضيّق العيش لولا فسحة الأمل):

يا زرع قطفـتـو والندى عليه	يا ساري ندهتـو واسم الله عليه
يا زرع قطفـتـو من شطك يا واد	يا ساري ندهتـو من بين الاجواد
يا زرع قطفـتـو من شطك يا بير	يا هاشم ندهتـو من عند الامير
يا زرع قطفـتـو من روس التلال	يا هاشم ندهتـو من بين الغيلان
يا زرع قطفـتـو من رووس الموارس	يا شميم ندهتـو يا شكل عابس
يا زرع قطفـتـو من الميادين	يا شميم ندهتـو جاب اسلال التين
يا زرع قطفـتـو من بين الدوالي	يا شميم ندهتـو يا حسن يا غالي
يا زرع قطفـتـو من رووس الجبال	يا هاشم ندهتـو امحمل بالدلال
يا زرع قطفـتـو من جو العليق	يا ساري ندهتـو فتحلي الطريق
يا زرع قطفـتـو من جو الحدود	يا ساري يا غالي يا ابواعيون السود

ويأتي ذكر الزيتون والتين والعنب في كثير الأقوال والأغاني الشعبية، لأنها تمثل الرمز المتجدد في حياة الانسان، فالتين والزيتون يشكلان غذاء متكاملًا للانسان، فشجرة الزيتون لها مكانة خاصة في نفوس الناس، لأنها تحمل رمزية خاصة إلى جانب مكانتها الاقتصادية، ويعد موسم الزيتون موسماً مباركاً عند الفلاح العربي الفلسطيني، فهي رمز الثبات والتحدي والصبر على حد سواء، وترى الفلاحين يعتنون بها بنوع من المحبة والقدسية، وعلى الرغم من ذلك فإن انواعها محدودة، أشهرها البلدي، او ما اصطلح عليه بالنبالي، فهو متوسط الحبة، سيله من الزيت افضل من غيره، حتى أن طعمه يختلف عن غيره من الانواع الاخرى، وهي مسميات علمية وهي، (أرب كوين، وخضوري رقم واحد) ويوجد الزيتون البري، الذي لا يستفاد منه في استخراج الزيت، إلى جانب شجرة التين التي تتعدد في انواعها ومدى صبرها، الا انها لاتعمر كما تعمر شجرة الزيتون، فانواع التين متعددة، وكل نوع له مذاقه الخاص، فمن انواعه حسب المسميات المحلية هي، (السماري والسوادي والحماضي والقراعي والشحيمي والنعيمي والموازي والغزالي والخضاري والبياضي والعديسي والزراقي والصفاري) وغيرها من المسميات المحلية، كل حسب بيئته

وثقافته، لأن هذه المسميات ليست علمية، وإنما محلية، محصورة في منطقة جغرافية محددة، منه لا يصلح الا لتلاكل طازجا، ومنه يصلح للتجفيف ايضا، كما هو (السماري والبياضي والنعيمي) وغيرها لا يصلح الا لتلاكل طازجا:

ايدي وايدك عالوادي
تا نوكل تين سوادي
نوكل نوكل تا نشبع
اقراعي مع اسوادي
واشحيمي مع احماضي
واخطاري مع ازراقي
وانعيمي مع اصفاري
وانت وانت يا فاضي
بتسويلي حالك قاضي
دير بالك من سخماطي
وازرعلي تين اسوادي
تا مليك الدار اولاد

وتسمع الاخرى تنشد بنوع من التفاعل الخاص:

يا ابلادنا يا ام العنب والزيت
في بلاد الغرايب كيف بدنا نبيت
يا ابلادنا يا ام الشجر والهيش
في بلاد الغرايب كيف بدنا انعيش
يا ابلادنا يا ام الشجر الاخضر
في بلاد الغرايب كيف بدنا ندور
يوم سافرو وشاحوا المناديل
سافرو يا موتي هل القناديل
يا ابلادنا يا ام الخوخ واللوز
عابلاذ الضرجة هيو سافر جوزي
يا ابلادنا يا ام الزعتر والشيح
عابلاذ الغربية هيو سافر حبيبي
يا ابلادنا يا ام الشومر والبقلة
عابلاذ الغربية هيو راح وتركني
يا ابلادنا يا ام التنتش والسنديان
عابلاذ الغربية سافرهيو وحردان
يا ابلادنا يا ام الليمون والتين

في بلاد الغربية بيعوه المرتينة
يا ابلادنا يا ام النبع والمية
من طول الغربية بيضت عنيي

ونسبح الأطفال ينشدون وهم في كروم التين، حتى يمنعوا الغرباء من الاقتراب إلى
أشجارهم، ومنها للتسلية أيضاً:

هيه يلي في التينات لا يرحملك واحد مات
واحد مات وواحد ظل وواحد حطينا في السل
هيك شقة وهيك شقة والتالي لـواويات

ومع البدء في الحصاد، نسمع أهازيح خاصة لها وقعها المتدفق في النفس المرسله
والمستقبله على حد سواء:

منجلي يا من جلاه
يا امغمريا حزين
أنا القمح برمح رمح
بتقدم للضيف بلا اغماس
يا منجلي يا من جلاه
رايح على الصايغ جلاه
ما جلاه إلا بعلبه
ريت ها العلبة عزاه ()
منجلي يا ابو الخراخش
منجلي في الزرع طافش
منجلي يا بورزة
ويش جابك من غزة
جابني إلي جابني
جابني حب البنات
والبنات امجدلات
ام عيون سود لود
يا غزير يا غزير
لا تروح درب الشمال
بذبحوك وبسلكوك
وبعملو جلدك رباب
للشيوخ وللشباب

وبما أن اقتصاديات الناس تعتمد على المواسم، فإننا نجد كل موسم له أمنياته الخاصة،
كما هي أمنيات الحصادين:

بكرة ابتخلص الحصيدة
والموارس والغمور
تألبس الثوب مطرز
ونقعد جوات القصور

ويهزج بعضهم ترويحاً عن النفس:

عَا الندا يا شايلا عَا الندا واردات على العين ما معهن حدا
عَا الندا يا شايلات من الغمور واردات عَا العين تقتلنا الصدور
عَا الندى يا شايلات من السبل واردا عَا العين وروتني العجب
عَا الندى يا امغمرات الكن سنين لا تحزني يا عين روجي في السبيل

ويهتف آخر:

لِي وَلِي يَا ابْنِيَّة
يَا وَا ردا عَالْمِيَّة
أَمْك وَأَبوك قَالُولِي
إِنْك مَخْطُوبَة لِيَا
أَمْك وَأَبوك قَالُولِي
عَا الْعَيْن بْتَمَلِي مِيَّة
نَزَلْت عَالِي حَلْتهَا
يَمَّا مَحْسَن بَسْمَتَهَا
نَزَلْت عَالِي الصَّفْصَاف
تَشْرَب حَلِيب وَصَافِي

ومع حراك اليد والمنجل فيها يقضم الأغصان، والسنابل مثقلة بحملها تسمع الهزاجين:

ثَلَاث غَزْلَان بَرَعِين بَرَعِين وَبَعِينِي وَبَعِينِي
وَرْدَن عَالِي الْمِيَّة وَرْدَن عَالِي الْمِيَّة
لَا قِي يَا نَادِي لَا قِي لَا قِي
يَا نَادِي لَا قِي عَا الْبِيضَة، اَمْ الْغِي عَا الْبِيضَة اَمْ الْغِي
ثَلَاث غَزْلَان بَرَعِين بَرَعِين وَبَعِينِي وَبَعِينِي
وَرْدَن عَالِي عَمَان وَرْدَن عَالِي عَمَان
لَا قِي يَا نَادِي لَا قِي يَا نَادِي لَا قِي يَا نَادِي لَا قِي

عا البيضة ام الذهبان عا البيضة أم الذهبان
 ثلاث غزلان برعيني وبعيني
 وردن على مصر وردن على مصر
 لاقى يا نادى لاقى يا نادى لاقى
 عا البيضة أم الخصر عا البيضة أم الخصر
 ثلاث غزلان برعيني وبعيني
 وردن عا كرم التين وردن عا كرم التين
 لاقى يا هاشم لاقى لاقى يا هاشم لاقى
 عا البيضة أم المنديل
 ثلاث غزلان برعين برعيني وبعيني
 لاقى يا شميم لاقى لاقى يا شميم لاقى
 عا البيضة أم المنديل عا البيضة أم المنديل
 ثلاث غزلان برعيني وبعيني
 وردن على لبنان وردن على لبنان
 لاقى يا نادى لاقى لاقى يا نادى لاقى
 عا البيضة أم الحنان عا البيضة أم الحنان

وردن عا كرم اللوز ويردن عا كرم اللوز
 عا ام الصدر المزيون عا ام الصدر المزيون
 وردن على البستان وردن على البستان
 عا البيضة ام الفستان عا البيضة ام الفستان
 وردن على الخلة وردن على الخلة
 عا البيضة ام النهدي عا البيضة ام النهدي
 وردن على الليمون وردن على الليمون
 عا ام الوجه المزيون عا ام الوجه المزيون
 نزلن على النبعة نزلن على النبعة
 عا البيضة ام الدمعة عا البيضة ام الدمعة
 وردن على المرج وردن على المرج
 عا البيضة أم الدرج عا البيضة أم الدرج
 وردن على المزراب وردن على المزراب
 خديجة أم السهوات عا الحلوة أم السهوات
 وردن على الحرم وردن على الحرم
 عا بنات الكرم عا بنات الكرم

ثلاث غزلان برعيني وبعيني وبعيني
 لاقى يا نادى لاقى لاقى يا نادى لاقى
 ثلاث غزلان برعيني وبعيني وبعيني
 لاقى يا شميم لاقى لاقى يا شميم لاقى
 ثلاث غزلان برعيني وبعيني وبعيني
 لاقى ياسارى لاقى لاقى ياسارى لاقى
 ثلاث غزلان برعيني وبعيني وبعيني
 لاقى يهاشم لاقى لاقى يهاشم لاقى
 ثلاث غزلان برعيني وبعيني وبعيني
 لاقى يا نادى لاقى لاقى يا نادى لاقى
 ثلاث غزلان برعيني وبعيني وبعيني
 لاقى يا نادى لاقى لاقى يا نادى لاقى
 ثلاث غزلان برعيني وبعيني وبعيني
 لاقى ياسارى لاقى لاقى ياسارى لاقى
 ثلاث غزلان برعيني وبعيني وبعيني
 لاقى يا نادى لاقى لاقى يا نادى لاقى

وبعد أن يردد الحصادون ما سمعوه تسمع أحدهم يقول:
ثلاث غزلان درن الشعب من فوق
عليهن لاحت الهندام والذوق
بسمة البسي ها الخلخال والطوق
لفى ولفك على الديرة لفى

ويردده آخر من حقل مجاور يسمع الهزج بتمعن:
ونا لعن عني فوق عني
على الي أبعد المحبوب عني
كذب من قال خالي مثل عمي
ومثل الاب ما ايدتل حدا

ويستعذب الحصادون القول، ويتفاعلون مع الحدث فينشدون جماعة:
يا شجرة الحور باب الشام مخضرة
واشرفت عا الموت ما اج صاحبي مرّة
يا شجرة الحور باب الشام تتمايل
وأشرفت عا الموت ما اجا صاحبي سايل
يا شجرة الحور باب الشام مزروعه
واشرفت عا الموت واحرمني من دموعه

يا طير روح سلم لي عليهم	وشوف الحال والجاري عليهم
يشهد الله ما بدني عليهم	ما دام الروح فيّ والحياة
عا شط البحر حيران وين ادور	يما ودعيني حيسافر البابور
عا شط البحر حيران وين انام	على ظهرك يا موج نصبوا الخيام

عندها ترى أحدهم يمسح دمه بطرف رده او كفه، او بكوفيته التي يستر بها راسه
حماية من الشمس اللاهبة، فيختلط الدمع بالعرق المتسبب، ويهزج صوتا يحمل العمق
الدلالي لمعاناته وقيمه، فيردد مع العونة ومن يحضر في تلك اللحظة:

يا شجرة في الدار حاميك اسد
واتكسرت الغصون من كثر الحسد
وحنا زرعنا الزرع غيرنا حصد
يا حسرتي غير التعب ما نابنا
يا شجرة في الدار حاميك نمر
واتكسرت الغصون من كثر الحمل

وحنا زرعنا الزرع غيرنا ضمن
يا حسرتي غير التعب ما نابنا

ويقول اخر:

ونارحت دارهم ثلث خطرات عمدان
سألت الخي قالوا الخي مرطان
ولقيت دارهم منجورة بعمدان
يخونك يا دهر خنت الاحباب

ويقول:

قوموا ابنا يا جماعة نترك الي صار
يا بي ساري يا انجيمة الشعار
قوموا ابنا يا جماعة نترك الماضي
يا بي ساري يا انجيمة الشعال
والصلح بينا ما حي اشوما صار
والعقل في الراس عليقة مالي
والصلح بينا ما حي كل مغتاظ
والعقل في الراس يساوي محكمة قاضي

وتقول احداهن:

يا بي ساري ويا نخلة رابية في السوق
ياربي يلي يبغضك يقعد على خازوق
شقة ترمي بلح وشقة ترمي توت
من العام للعام لا ميت ولا مشنوق

ويقول أحدهم عندما يشعر بالغيرة والوحدة:

نزلنا باب خلة وارتمينا
قولوا للوالدة ترضى علينا
عرب وكراد والتمت علينا
رضى شفاه في اسنين الغلا

ومن أجل إخراج الهازجين من حالتهم الحزينة، تسمع أحدهم يعيد النغم القديم:
جتنا الحصيدة يا مرة قومي
قالوا اج العيد قلت العيد لصحابو
ثوبك شلايق وعينك غارقة في النوم
وشو بنفع العيد للي مخزوقة اجيابو

ومن أجل ديمومة الفكاهة والمرح تسمع إحداهن تهزج:

اقعد اقبالي واقعد لك اقبالك
وان كنت راعي غنم شبيب تغنيك
وان كنت راعي بقر شوحلي ابمنديك
وان كنت راعي حمير يا علة تجيلك

ويرد أحدهم على صاحب القصيد:

ثلاث غزلان برعين في ارض حمرا
حواقرهن سود والارض حمرا
عليهم الله لو أنزل في معركة حمرا
لسن السيف عا ارقاب العدا

وبعدها تسمع احدهم يقول:

عونة عونة يا شباب
حركو المفتاح في الباب
عونة عونة يا لطيف
احمر والو شلطيف
عونة عونة يا هلي
لا اجوزوني غريبة

ومن يتمعن يجد النساء وقد تداخلت همومهن، لذا تجد بعضهن يظهرن محاسن أو مساوئ الأخريات فتسمع احدهن تنشد ما يتناقله الناس في هذا المضمار:

لا يعجبك زيتها وبياض خلقتها بكرة ابتيجي الحصيددة وتشوف فعلتها
والله لأكتب جريدة ع ابريق الزيت يا شاطرة في الخلا يا امعدلة في البيت
والله لأكتب جريدة ع بلاط رخام يا شاطرة في الخلا يا امعدلة في الدار

ويتفاعل أحدهم مع الحدث ويردف:

مطرح العقرب لا تقرب
مطرح الحية افرش ونام
لبس المذراة بتصير امراة
وابتنق من جوات الاسواق
قطع اهلك دير بالك جاي مالك جاي مثل النسناس
وابتنسنس رايح جاي تسرق سبل من الغمور
اعطوا المعلم ما طلب جيبولوا منجل من ذهب
تشهد له عكا وحلب انو ايصون الحبيبا
دير بالك دير بالك جاي سيجارة وكباية شاي
كبابي الشاي للاحباب صب وابو النضل في العشق ولهان صب
يا ثقلة دمك لما اتصبها صب بحر زيبار مع طرطب اجا
طلعت عا الجبل تتلقط شومر مهدية الجبرت عشق بو جوهر
طلعت عا الجبل تتلقط بطاطا بدها تتزوج معهاش افراطة

ويقول آخر:

يا مذراتي، وين ابنياتي، في العرمت (٤٣)
يا الله البركة بركة ربي في ها الصبة
بركة حيدر في هل البيدر
هيه يا دايم الله الدايم

الله واحد مالو ثاني
الله ايديك يا دلالي
يا مذراتي اخذي وهاتي
حتى انذري هل القمحات
اهل الخيل في المدات
اهلا اهلا بالدلال
على البيادر تعال
تا غنيك ها الموال
من المغرب حتى الصباح
من المغرب حتى الصباح
وعندما يرى الاطفال الجمال محملة بالقش يهزجون:
جمال ابن جمالك والعرب سرقوك اجمالك
سيفي تحت راسك ما بسمع كلامك
دق دق مين ابن السلطان
اشو بدو
بدو اشوية نار
خذ اشوية نار واصحى الغنمات

ويردد اخر فيقول:

نيخ يا جملنا نيخ جملنا امحمل بطيخ
عن الحلوة ما بنزيح عن الحلوة ما بنزيح
وتهزج النساء في دروب الحصاد والمناجل تعانق اجساد السنابل:
ياريت من توخذ الجمال يسعدها
يجيب الهدية تالي الليل يقعهها
ياريت من توخذ الحراث ما تسعد
تحمل قدحها وتدور في البلد تشحد
وتقول احداهن وهي تغني للجمال:
وين رايع فينا يا جمال
وين رايع فينا حياك الله
على دار اهالينا يا جمال
على دار اهالينا ما شاء الله
نيخ وسط السوق يا جمال
نيخ وسط السوق ياهيه
مثل عرق السوس عروستنا

مثل عرق السوس يا هبي
ميل عا الحصيرة يا جمال
ميل عا الحصيرة يا هي
عزوتو قوية يا شميم
عزوتو قوية يا هي

ويخاطب الحصادون زرعهم بحماس، يتنقل من خلالهم إلى الآخرين:

زرعنا وحننا صحابو
بالمناجل ما نهابو
والزرع ولى عنوقه
بالمناجل لنسوقه
والزرع اعطى قناه
واضربه بالعقناه
واضربه يا ابن الهبلة
واضربه واقطع قفاه
لا يا زرعي قوم وارحل
من هالقاعة واتحلحل
قبل يجي ابني عنتر
يقش الشوك مع الزعتر
يا زرعي يا زريعاتي
يا نوار عويناتي^(٤٤)

ويقول اخر:

لقيتني غزالة ابقاع وادي ندهتها غزالة توخذيني
قلتلي روح لا بعد الحصيد حصدت حصيدي ورجعت ليها
قلتلي روح ابن عمي حضر
لقيتني غزالة ابقاع خلة اشرتها غزالة توخذيني
قلتلي انشوف لا بعد الحصيد حصدت الحصيد ورجعت ليها

ونقول:

قلتلي روح تولوني الاعمام
يا بي ساري وابني تا اتعلينا
وصيتك يا بي ساري في البلاد يكفيننا
يا حمام ابروس العلالاي ايصيح
ما فكرت مين فارق المدلل بيظل صحيح

يا غزال في روس العلالى مشى ما صدقت انو ابن عمى اخذنى ومشى

وبعد ان تُغَمَّر المحاصيل، وتقوم النساء بجمعها بمساعدة الرجال، وتسمى جمع الغمور (بالكتات) اي تجمع مجموعة من الغمور مع بعضها، وتحزم بحبل وتشيلها النساء من مكانها على رأسها، إلى تجمع (الكتات) وتسمى (الحلة) ، وبعدها تنقل على الجمال إلى البيادر وتسمى أحمال الجمال (بالشباك) مفردها (شبكة) ، حيث يتفاخر الفلاحون بعدد الشباك التي تنقل إلى البيادر، وتكون البيادر قريبة من بيوت القرى، حتى تسهل عملية التواصل، ويسهل حمايتها، وعندما تجهز المحاصيل للدراسة، يتم فردها على ارضية البيدر، وتجهز الدواب وتثبت الواح الدراس بمؤخرة الدواب، حيث يقف الفلاح في وسط الغلة، ويسير الدواب على شكل دائري، ويلوح لها حتى تهيم في حركتها الدائرية، وكنا نحن الأطفال نرمي بأجسادنا على اللوح المخصص للدراسة، ونتمايل بفرح يغمر نفوسنا، غير ابهين لحرارة الشمس اللاهبة، وبعدها تبدأ عملية التذرية، لفصل الحب عن التبن، ويستخدم الفلاحون (الدقارين) للتذرية، وتعتمد حركاتهم على حركة الرياح، وهبوب النسومات التي تريح نفوسهم قبل أجسادهم، وتستشير فيهم حب العمل والتواصل مع الحدث، ويهزج احدهم مخاطبا الرياح:

يا مديح يا مداح وين خبيت الرياح
بين سلمى وبين عرما وبين عروق اليسبان
سيسبان يا سيسبان سيسبان خيل الوالي
ما أقدر ألقاهم لحالي يا حلالي هيه يا مالي
والخوري والخورية شرقوا عا البرية
وانا شرقت معهن بدنا خيل نطالعهن
تطالعهن وتلاقين وتشلحن طواقينهن

وعند انتهاء عملية التذرية، وتوضح معالم الحب من التبن، تستخدم المذراة لزيادة التنقية، وبعد ذلك تكوم الحبوب على شكل هرم، وتسمى الصليبية، واما القش الذي هو أكبر من التبن، يسمى (القصول) ، ويستخدم الفلاحون (الكرابيل) ، بعد (الصارود) ، لتنقية الحب من التراب وما علق به من حجارة صغيرة، وبعدها يستخدم (الغريال) ، للتخلص من باقي الشوائب، وبعدها يعمد أحد الخيرين من وجهة نظر اهل (الغلال) ، ويبدأ بعملية الوزن بالصاع، والصاع أو الصواع، وحدة وزن تتسع لأربعة أرتال، وكل رطل يساوي ثلاثة كيلو غرامات، وفي اثناء عملية الوزن، تسمعه ينطق بأسماء الله الحسنى، ويثني بأسماء الرسول عليه السلام، فيقول: أله واحد للصاع الأول، ومالو ثاني، اثنين، للصاع الثاني، ثلث بالرحمة يارحيم ثلاثة، وهكذا، وتوضع الغلال في أكياس تعرف بكيس أبو حز أحمر، تتسع لمائة كيلو غرام من الحبوب، اوثلث قنطار، وبعدها يبرخ الجمل، وتوضع الأكياس على

ظهره، بعد أن تثبت المقادم على ظهره، حيث يوضع كيس عن اليمين والآخر عن الشمال، والثالث في الوسط، وينهض البعير بحمله، ويقوده أحد الأطفال إلى حيث المخزن في البيوت العتيقة، وتسمى (الخوابي) وهي عبارة عن مخازن مبنية بالتراب الأحمر والتبن، لها ثقبان علوي وهو واسع إلى حد ما، وقديتسع إلى جسد الانسان، أما الثقب السفلي فلا يتسع الا لدخول اليد فقط، وهكذا، تكون خابية للقمح واخرى للشعير، والثالثة للذرة البيضاء، والآخرى للمكرسنة أو البيقة، يجاور الخوابي مجموعة من الصناديق ومفردها (صندوقة) توضع فيها المحاصيل المجففة، كالعدس والقطين، (والجرمعون)، وهو القطين الأقل جودة، ويقدم للحيوانات في فصل الشتاء، أما القطين فيقدم للناس مع بدايات الشتاء، ويؤكل مع (البسيصة)، والبسيصة هي عبارة عن طحين مخلوط بزيت الزيتون، وقد يضيف صاحب المعدة السليمة (السكر الأبيض) مع خليط الطحين والزيت وهكذا دواليك. إلى ان تعود دورة الحياة من جديد، وترى الناس تمارس الطقوس كلها بمهارة وحرفية واتقان.

وتسمع أحد المشهورين بالغناء في قريته، يغازل مهرته ويتغنى بها وبأوصافها، وكأنها حبيبته من لحم ودم، فلا تدري أيخاطب محبوبته، أم يخاطب المهرة أو الفرس، فمن خلال ذلك نتيقن أنه يريد الوصول إلى هدفه، وهو مناجاة الحبيبة عبر فرسه التي يسقط عليها همومه وحرمانه معا، فكأنها مدخله إلى موضوعه الذي يعيش في نفسه وروحه أيضا، فتسمعه يرود بكلمات خاصة، لها ايقاعات ونغمات مموسقة لا تخرج الا من انسان له تجربة في الحب، بل عركه الحب حتى غدا قتيل من يحب، فهو يعيش جسدا، الا أنه منهك الروح لتعلقه بمن يحب (الكحلة) فيقول عنها بلسان المحب يخاطب مهرته أو فرسه، أو اي دابة تعينه على نكد الدنيا وعذاباتها، وتكون الكلمة المموسقة خير معين له في عملية التفريغ لهمم ومقتنيات الحزن فيقول:

يا ربي تكبر مهرتي، تكبر وأنا خيالها
 بيع الجميل واشري فرس، حتى تناغي اعيونها
 يا امهيرتي عمرك طويل، تا أسرجك واتباها فيك
 واعتلي صهوة الحنين، ونرسم برمشك سوسنا
 يا امهيرتي يا أم الدلال، اشتقت لك في العناق
 وفي السباق لك العنان، تا نطوي أرض البهدلي
 يا امهيرتي شكلك ذهب، مثلك ما شفت العجب
 الك حبي والله انكتب، في اللوح وفي الدساتير
 يا امهيرتي مائك مثيل، عن حبك والله ما بحيد
 والعيد يصلح للسعيد، يبقى الفقير امسخمطا
 يا امهيرتي تحلا العيون، والبسمة تطفيلي الظنون
 لاكتب لحيبي مكتوب، تعالي نتعاقق سوا
 يا امهيرتي والندا جاب، جاب الحلال جاب الدلال

لاكتب لصاحبي تعال، واحمي عيوني بالسيوف
يا امهيرتي شكلك مهاب، جدك عربي الدلال
مهما حصل لك الفعال، بجسمك وابروحك سوا
يا امهيرتي الله اعين، عا الجلسة تحت البساتين
لاطعمك عنب ثم تين، وندحدل تحت الشجر
يا امهيرتي يا ام النهود، قليلي وين ودك بدور
رب السما بدي نقود، حتى اشوف اصديرها
يا امهيرتي توكل عناب، عن حبها ما في جواب
وهيك الله قالوا في الكتاب، ساري محروم حتى الممات
ساري محروم حتى الوفاة، ساري محروم حتى الممات

ويردف مع نوع من التحريف: (وحياة لحية عمي جبر، ساري من بطن أمو للقبر)
ومع انتهاء كلمة الممات، تراه يمسح دموعه بطرف كوفيته التي يستر بها راسه، خوفا من
أشعة الشمس اللاهبة، وتسمع عبراته وزفراته عن بعد، لذا تراه يؤذي ولده الذي يرافقه
على البيدر، أو يكون قد أحضر له بعض الزوادة من المنزل، وان كان الفقر يلغ الناس في
تلك الأيام، فان لم يوجد مايؤكل تضع زوجه بعض حبيبات السكر وتذيبها في الماء بوعاء
معدني، كأن يكون عليه حليب فارغة من محتواها، وكسرات خبز أو ماتبقى من خبز، لأن
الحصول على الخبز في تلك الأيام يحتاج إلى عمل مضمّن أو شاق، لأنه ليس في متناول
أيدي الجميع شراء الطحين من أصحاب المحلات التجارية، لذا يتقبل الطعام ولايتذمر
مطلقا، لأنه هو المعين الوحيد لأسرته، فما رأيته متمردا على طعام قط، الا في حالة
واحدة، عندما لا يكون ناضجا، أو فيه رائحة الزفر فانه لا يأكله مطلقا، ويفضل الجوع
على هكذا طعام، وعلى الرغم من ذلك تراه يفرغ حقه وألمه تجاه من يحب، بصاحب
هذه الأسطر، الا أنه سرعان ما يعود إلى رشده، ويقبله ويحضنه تعبيرا عن حبه له، الا
أن هذه المواقف تتكرر كلما هبت نسائم العشق التي لا تنقطع من خاطره، أولا تغادر روحه
حتى تكون قد أفعمتها من جديد، ما يجعله مولها بها يرسم لها خصالا وقيما قد تكون
حقيقية أو من صنع خياله المتجدد بها، لأن خيالها بقي ملازما له طيلة حياته، حتى عند
النزع الأخير، وروحه ترحل إلى باريتها، لم يستذكر أحدا الا هي، وتسمعه يغني لها بتحب
منقطع النظير، فهو وفي لها كما كان توبة صاحب ليلي الأخيلية، والمجنون وصاحب عزة،
فهو مجنون القرن العشرين وأوليات القرن الواحد والعشرين، حينما فارقت روحه الحياة
صاعدة إلى باريتها.

ومع عملية الدوران المضمّن مع الدواب في الفصل القائض، يبدأ الدراس بالترويح
عن النفس عبر ايقاعات خاصة، وأصوات تتناغم مع الواقعة، لذا من السهل على الأنسان
المتلقي سماع انغام متعددة الأصوات والتوجهات، وترى الأطفال يرمون بأجسادهم على
ألواح الدراسة التي تجرّها الدواب غير ابهين بالنعاء أو بحرقه الشمس اللاهبة، لأن حالة

الدوران على البيدر والأجساد ملقاة على الواح الدراسة، تعد أجمل دعابة وحالة ترفيهيه عرفها الأطفال، حيث المتعة تتجدد بتجدد الدوران على البيدر، وكم هي حالات جميلة عندما يدعى الأطفال كي يلقوا بأجسدهم على الألواح، وهذا الأمر يمثل أسمى حالات الكرم من قبل رب البيدر أو من يقوم مقامه في عملية حث الدواب على الدوران حتى تتم عملية تكسير القش ودرسه ويصبح صالحا للتذرية لفصل الحب عن التبن والقصول، لذا تتجدد حالات التلاقي مع الغناء والنغم الغنائي، فهي أحد الملاذات الصادقة التي تواكب العملية من أولياتها حتى متتاليات النماء، فيكون للحن صديقا لا يمل صداقة صانعيه، فتسمهم يرددون فرادى أو جماعات:

والعنق مايل ميل	والطول طول الرمح
هد القوى والجيل	والخصر من رقتو
يا مفطرات الليل	يا صايمات الضحى
ما بقالي حيل	ردوا علي غزالي
والجسم ذاق الويل	والروح عا اخرنفس

ويقول مرددا ما يسمعه على لسان النساء:

بدر قمرنا بدر وأشرف علينا للدار
وبعيني شفت المحبوب عا الفرشة حل الزنار
وبعيني شفته شفته بالجمرة صابغ شفته
اصديرك يومن كشفته فاحت علبة العطار

ويقول أيضا:

حلوة وقاعدة ابطل الدوالي	عيونك سود يا عنب الدوالي
دواي مابين صدرك والرقاب	جابولي الدوا وانت دوا لي
زامم القربة وجظ من ظهرك	يا ظريف الطول ابعيني ما أزغرك
على صدرة قبتين ومؤذنا	نسم الغربي وبين مخرك
سالت الجرة ويانت غرتها	نزلت على العين وحملت جرتها
قصرك في الجنة اتنعشر بلكونا	مسعد زمانك يلي جبتها

ويقول:

عيونك سود دخل الي لحمهن دخل البيض ولي خلف لحمهن
خسارة يا نذل تكشف لحمهن وجه بدر والقبه ذهب

ويقول مظهرها عذاباته المتجددة التي لا يشفيها الا الاقتراب ممن يحب، ولو تأملنا:

يا شبه الزيت في المقلى حرقني	نزل دمعي ع خدي وحرقني
حواري ونازلات من السما	هذول البيض يوم انهن مرقني

بنية ولا بسنة المنديل شكلين
صخور اليا بسنة تنبت عشب
ويلكي ظعنهم عني امرين
حواجب سود وعيون امكحلا
طالت الفرقة واشتقنا ليهم
وخلي الأرض تلعب دلعونا

يا ويلى من عيون البننت ودين
ونا لا ظل في محبتكم تتلين
أنا لقعد ع الورد ع العين
وانظر لظريف الطول والعين
يا طير البرق سلم عليهم
وانا لنظرها مع البسوم

وعندما يجتمع حوله بعض الأصحاب والخلان، يبيح لهم بما يكتوي منه من الالام
متجددة، حتى انه يصرح باسمها علانية غير ابيه بما حوله من الأصحاب والجيران والأقارب
وبالذات الأبناء، علما أن من يجالسوه يعرفون قصته من أولياتها حتى اخر مرحلة من
مراحل تطورها، الا أنه يصر على ذكر اسمها دون رتوش ويبدأ باللحن السرمدى:

يا انهود الأكحل يا حب الانجاص
ويبلى بالعمى ويصبح مجنوننا

هاتوا لي القلم لاكتب بالرصاص
ولي يحرمننا يبلى بالرصاص

ويقول عندما يراها أو تتخيل له في صورة امرأة أخرى:

خواتم الذهب في ايدها اليمين
ما ابيحلي البيت الأ أنت وانا
واقع من حبك في مرض مخطر
قال لي من الهوى جرحك مسموما

فاقت من النوم تعجن بالعجين
قوم يا حبيبي لا تحلف يمين
حني عا ساري أصبح مش مقطر
جابوا لي الدكتور شاطر ومحضر

ويقول:

خايف يا الأكحل عا عمرك ينقص
ونغني سوا على دلعونا
ورمان الصدر ياربي دالع
ومن حبك أنا صرت مجنوننا
مادمت بنت لأظل امحسر
قلتلها أمك قالت حنوننا
خايف ان طال الجفا تنسينا
وقبل ما نعرف سود العيوننا
شبكت المحبة مع بنات الناس
تقطع ضناهم الي أحرموننا
ابجمال اعيونك ربي ما صور
البلد مليانة شباب دلعونا

باب العاللي لزرعلك نرجس
يلا يا عمري قومي تنرقص
عنقك يا حسنة أبيض ولا مع
وسهام عيونك كالسيف القاطع
طلبت الأسم قالت لي اميسر
قلتلها بيك قالت لي امعسر
باب البوابة لازرعلك كينا
ياريتنا متنا قبل ما جينا
قلبي يا قلبي لا ضربك بأمواس
ياسيدي المسبح ياسيدي الخواص
نور المشمش يا حسنة نور
ومن وين اجي الك ومن وين أدور

مجروح جرح القلب يا مين اداويني
بلكن يطيب الجرح عا يد الحبيبة

الكحلة يا ها الربيع بين البساتيني
هيه يا حاملة الجرة ميلي واسقيني

ويقول:

عايش بين النوارس
بشهدوا اني الفارس
ومعاهم كل الحلوين
من العلالى بيحي هين
اراقبنا الريح والجاي
ليلة زواج الأحباب
وزيديننا والخواص
لما ايحب ابأمانى
زارعوا اشوية هيشي
متعلم قص الشليشي
يشهد عا كل الجلسات
يشهدوها الجماعات
والضرفحنة على النار
وأصلي خمس مرات
والغرفة والليمونات
القمر من السمافات
عنك والله ما بخبي
وحبلة حوا شاهدات
هي روعي وعيني
الهاكل المقامات

حبيبي الأكل في المارس
وحسين اليونس وغبق
المعطر ومحمد الذيب
جوز جدوة ها الهميم
ابنقعد عازق العمال
نستذكر سوا اشوالي صار
قنامه تشهد لي يا ناس
بو تيسير عندوا احساس
حبيبي الأكل في الميشي
طول عمري بغنيلو
اشقيف عبد ربويا ناس
تحت الليمون الندوات
أبدأ يومي ابذكر الله
يوماتي أحل الزنار
أجلس في ظل التينات
ولما تمرق عالي
يا نادى انت ابني
العرقدة والخلة
يشهد الله علي
حتى لو شرعت رجلي

ويتمثل بما يقوله غيره من العتابا، حتى كأن السامع أو المتلقي يظنه من نظمه، لذا يبدأ بالقول دون توقف أو عائق:

لألحقك وين ما اكون
لامصك مثل الليمون
يا نوار البساتيني
وبتغوى ابلبس عقالو

يا حنون يا حنون
وان مسكتك بيدي
يا اغزيل يا ابن ديني
ويا اغزيل بدار خالو

ويقول من يتعامل مع القش في لهب الظهيرة:

عودي عودي يا جمال سعودي
يا جمال امخرخشة تلبق للهنود
الهنود بالقصورة تنادي لاطيورة
وكل طير طاير طعمتو فطاير
يا واوي يا مال الويل لبعثلك حسن وحسين
وابعثلك معهن جروين جرو سلاقي وجرو املاقي
وجرو امرقط عا الجنبين ولذبحنك يا واوي
واعمل من جلدك رباب للشيوخ وللشباب
لا تسكنوا البرية خيول العرب محذية
خيل العرب ومهارة ومعودة عا الغارة
ومطبعة عاديها والسيف بين ايديها
والرمح بين عنيتها تلعب كما الصنارة
صنارتك يا الهندي ومبجحة بالوردي
والورد ما هو عندي والورد عند الضرة
وعيونها المحمرة وكل ما مرقت صبية
حطوها بالخلية وكل ما مرقت ختبار
دبوه في النار وكل ما مرقت شب
احفظ يا رب احفظ يارب

ونتيجة الجهد المتواصل، والعناء الذي يلاقيه الدريس، نجده يعتب ويقول كلاما له دلالات خاصة، تحمل في مضامينها تجسيد العناء، وبيان مدى الالم الذي يلاقيه الانسان، حيث يتمنى حياة العزابي، وان كان من باب المناكفة:

ناري يا ناري ناري عا احبابي	وما حدا امكيف غير العزابي
قلت للحلوة تغسلي اثيابي	قالت: ما معي حق الصابونا
ما أحلى أكل اللحمة مع المفتول	من دية حبيبي ظريف الطول
مهما عملت بايديك عندي مقبول	يا أم اعيون الكحلة والحاجب نون
يا امحطبات الحطب منين جبتنو	يا امخليات العزب يمشي وراكن
يا امحطبات الحطب روس العراقيبي	يا امخليات العزب يعوي كما الذيب
يا امحطبات الحطب روس الحطب منا	يا امخليات العزب يمشي ويتمنى

وعندما يرى بعض الصبايا يسرن والبيدر الذي يقلب عليه القش، تراه يتفاعل وتسمعه يخرج صوتا مؤلما:

ثنتين يمشوا سوا والخصر يهتز

وحدة ابتكرج كالحجل ووحدة مثل الوزة
وبعيني شفت القمر من صدرها فزي
ولا اتكذبني يا ربي شفتو ابعنيا

ويقول:

مرقت علي ومسكتلي ذراعي
بنت الملعونة عشقانة الراعي
ونا دخيلك سيدي يا رفاعي
اترد الغزال المرق من هونا
طلعت عا الدرج والدرج مبني
وخدن عليها اطرا من الجبنة
واصبر عالي تارضع ابني
واجي لحضينك يا اسمر اللونا
طلت خيلهم طلعت بين البساتين
وفاحت ريحة الننع تحت الفساتين
طلت خيلهم طلعت بين الحواكيري
وفاح العبق والننع تحت الزنانيري
راحوا ولعبوا بالهوى لعب الهوى فيهن
طير اعقالاتهم وشمر او اعينهن

ولما يشتد به الوجد، وتنهنه عذابات الحرمان، تسمعه صارخا:

دخلك تعالي يايبت أم احسين
لو تدعسي عا الساقية ابتهتز راس العين
مري على المقبرة الميت الو سنتين
تحبي عظامو وبيقوم يمشي على الثنتين
ولما شفتها طالعة من جل كرباعي
ولما قست شعرها باعين في باعي

ويقول على لسان من يتعلق بها فؤاده:

على دلعونا صاحت دخيلك
وابنية ازغيرة وما هي من جيلك
واصبر علي تني احكيلك
عا الي جوالي امبارح واليوما
فيجيبها بلسان المتمني:
يا ظريف الطول ويا عيني انت

ويا عقد جوهر في صدر البنت
كنت في احلى منامي وحلمت
ام اعيون السود حدي نايمما
يا نايمة نوم الصبح ويش علمك نوم الصبح
ونسوان بيض ونايمي وشبان راحت عا الذبح
ونا لابني للحبيب عا العين عليه
ومشرعا للهوى والبواب غربية
يا هند ظل القمر عن كتف ضيعتنا
ايعبي اعيونو صور من وحي خيمتنا
اشتاقت ليالي السمر لزوار وردتنا
وكتبت فوق الحجر ذكرى الطفولية

وتقول:

يلعن الردي ويلعن الي اتاجر فيه
ولو كان خاتم ذهب في خنصري لرميه

ويقول:

راحت عا الحقل اتلقط شمايل
وحرقت قلبها بو عقال المايل

ويردف:

لا أخ بنفع ولا والد ولا مولود
ولا اصحابك الي ظهرك بهم مسنود
الأ ثلاثة: النظر والعافية والدرهم الموجود
يما يا يما محلى العشابة
كل يوم الصبح بشوف أحبابي

ويقول معتبا:

وبعدها عيشتك كالصبر مرة	يا شعبي جربت خمسين مرة
عمرو ما بعاود عا الذياب	اذا مر الحمل عا ذيب مرة
واوعى فتن اعداءك تمسك	يا شعبي بوحدة صفوفك تمسك
لأيش تعود ترفع له عتاب	وهلي صبحك غدرو ومساك
عدو، لا تبدل الأحباب بعدو	يا شعبي بتعرفو الحاكم وبعدو
وبيوم الأرض قتال الشباب	وهدام القرى الفين بعدو
وصروح المجد رسخها وشدها	يا شعبي مد خطواتك وشدها
واوعوا حدا يتبع خطى غراب	الزعامة الفايشة فقدت رشدها
وكبار كثير كانوا زغار صفوا	بجبهة واحدة الأحرار صفوا

لو ان كان عجل من ذهب
وعدوك لا اتعابو انقض عاليه
الحديد الصم ما ايهمو القصب
وبعد كل الأسى وكل المعاناه
وكل الغير عسكر للعدى
قعودك ضاعف قيودك وغلك
مرة قوم حطم له النياب

الشعب ما بلبافوا شقاق صفو
جبينك يا شعبنا دوم عالي
وزند اللي تعود دوم عالي
مثل ها الشعب ما في شعب عانى
ما في غير وحدتنا معانا
يا اللي منزوي تتفش غلك
الغول الي عشر مرات غاللك

ويقول:

يا قضيب فضة ويا غصين البان
جابت امير يقلقل الاحكام
وانت المضدى والعزيز الغالي
من يوم كنا في السرير ازغار
لا ببيعك ولا بعطيك للناس
والخيل من هيبتك طلعت بلا ناسي
واحنا نسايبك والتجانا ليك
وانتي السكاكين واحنا اللحم بين ايديك

يا ننادي ويا زيداني
ما خابت امك في ليالي جابتك
ويا بوساري لا تقول نسيك
وانت الذي فضلك علينا كلنا
ويا ساري ويا شاشة على راسي
سيضك مسقط ودبوسك إلو آجراسي
يا بوساري هز الرمح بين ايديك
ون ردت شرق لنا ون ردت غرب ليك

وبما أن موسم الحصاد قد وجد مكانته في نفوس الناس، وجسده أصحاب الضن المتجدد من خلال نصوص ما زالت عالقة في الأذهان، يرددها الناس أو يتمثلون بها بين الحين والآخر، الا انها لم تعد مفعلة كما كانت سابقا، والسبب يعود إلى اضمحلال موسم الحصاد، وذلك لأسباب متعددة منها: أن الأرض لم يعد أحد يستثمرها كما كانت سابقا، اذ كان الناس يتفاعلون مع المواسم كلها ويخدمون الأرض وان قل نتاجها عن الجهد المبذول، لأنهم يرون فيها امتدادا لحياتهم والتمسك بها من ثوابت العقيدة والدين، وكذلك المواطنة تفرض عليهم التمسك بالأرض، بذلك ترى الأرض مخضرة على مدار العام، وكذلك وجود الوظائف العامة أدى إلى ترك الأرض والتمسك بالوظيفة، وان لم تكن الوظيفة مجزية في كثير من الأحيان، الا أن الناس أخذوا يميلون للذمعة والراحة، زيادة إلى أمر هام يتمثل في الامتداد السرطاني للاستيطان، ومصادرة الأراضي وحرمان أصحابها من استثمارها، إلى جانب ما صنعه الجدار العنصري الذي التهم كثيرا من الأراضي على جنباته، ومنع الاف الاسر من الوصول إلى أراضيها، ما يرينا الحرمان الكامل للاسر التي تقع أراضيها على جنبات جدار الفصل العنصري، بل ويعرض كثيرا من المواطنين إلى الأضطهاد وممارسة اشد أنواع الصلف الصهيوني في حقهم، لأن الأرض التي صودرت على مدار الايام هي أخصب البقاع في فلسطين، لذا لم يعد لكثير من المواسم أي أثر يذكر في حياة الناس،

وان وجد فان التقنيات أخذت حيزها في العملية، فلم يعد للجهد البشري اثر يذكر، ما يعني اندثار عملية التأليف فيما يخص الحصاد وتبعاته ومقدماته ونهاياته، وما نقرأه من سياقات قولية هو من مخزون الذاكرة التي أخذت بالأضمحلال أو التلاشي لعوامل متعددة وهكذا.....

أما ما يخص موسم الزيتون فلم تعد البهجة تلف الناس وتغمرهم مع اقتراب الموسم كما كانت الأمور في سابق عهدها، وذلك للأسباب التي أوردناها فيما يخص موسم الحصاد، بل ونزيد عليه أن الزيوت المستوردة من دول الجوار تزاحم المنتج الوطني من زيت الزيتون، وان لم تتعادل كفتا الجودة، فالجودة أعلى للزيت الفلسطيني منها من الزيوت المستوردة، وهذا يؤدي إلى خفض قيمته في السوق ولم يعد منافسا، ما يعني تثبيط عزيمة الفلاح وعدم استمراريته في خدمة الأرض لأن المردود من شجرة الزيتون أقل بكثير من الكلفة المصروفة على تلك الشجرة، فمثل ذلك يعني الإهمال لشجرة الزيتون وهذا يؤدي إلى قلة المحصول واضمحلاله، ويجعل هيبة الرمز الوطني الأوهي شجرة الزيتون تتلاشى، ما يفتت أواصر التلاقي بين الناس والموسم، لأنه كان يمثل موسم المؤازرة والتكاتف بين الناس، ويجسد حالات اللحمة الاجتماعية بين أبناء المجتمع الريفي، اذ يهب الناس إلى نجدة بعضهم ومد يد العون لمن يحتاج إلى المعونة من أصحاب كروم الزيتون دون مقابل، بل ويسندون بعضهم في الحالات كلها، الا أن هذه الأمور أخذت تتلاشى بتلاشي اثر الموسم في حياة الناس، وان جسد أصحاب الفنون القولية الشعبية موسم الزيتون من خلال نصوصهم الابداعية الشعبية، لذا نجد نصوصا تفوح بالمصداقية تجاه ما نصبو اليه من حدث لم يزل له خاصية لا تدانيها خاصية في نفوس ابناء الأجيال السابقة التي عاشت الحياة بأنماطها المختلفة في حياة الناس، ما يسمعنا نصوصا تجسد المشهد كله من أوليات الموسم حتى متتالياته، ما يعني رصد الحركة بأمانة تامة، ومع دخول شهر أيلول ترى الناس مستبشرين بموسم جديد، وتسمع مصطلحات لها مداليلها، مثل أيلول اخره مبلول، ومع نهايات أيام أيلول تسمع مصطلح «شتوة المسطوح» أو «مطرة المسطوح»، وبعد ٢٨ من شهر أيلول تسمع مفردة الصليب، أي أن الزيتون صلب، أي دارت دورة حياة الزيت فيه، عندها ترى الفلاحين يذهبون إلى حقولهم ويأخذون حب الزيتون المتساقط، ويسميه العامة (الجول) ويجمع ومن ثم يدرس على الحجر اليدوي (المدرس) ويوضع بعدها في وعاء ويسكب عليه الماء الساخن، وتبدأ عملية التتقية، أي فرز الزيت عن الماء (الزيبار) يدويا، ومن ثم يوضع في وعاء للتصفية، ويسمى ذلك بزيت (الخراج)، ويكون مذاقه حادقا إلى حد ما، ويباع بسعر أعلى من الزيت المفروز اليا، ومع نزول أول مطرة، يستعد الناس إلى حراثة الأرض، وكل حراثة لها مسماها الخاص، فالأولى تسمى (الشقاق) ومن ثم الكسارة، والثناية، والتثليث، وهذه تحدث في أواخر شهر نيسان، حيث يقول الفلاحون في أمثالهم (المطرة في نيسان ابتسوى العدة والقدان) وهناك من يردد «شتوة نيسان بتحيي القدة والقدان»، وهذا استبشار مؤمل فيه الخير، لذا كانت شجرة الزيتون مصونة وتوجد بعطائها، وتحظى بمكانتها النفسية لدى الناس، لما تتمتع به رمزيا وثقافيا واقتصاديا عند

الناس على حد سواء، ما نسمعنا فنونا قولية صادقة تجاهها، ولما تبدأ عملية القطاف يبدأ الفلاحون بجمع محاصيلهم في أماكن خاصة، وبعد عملية التكديس يتخمر المحصول، ويسمى ذلك (كامر) وبعضه يصنع بطريقة معينة ويسمى (المملوح) أما ما يؤخذ من تحت الشجر وقد بلله المطر فيسمى ب (الجرجير) ويضاف له عصير الليمون والزيت والملح، عندها يتمتع بدوق خاص، كل ذلك موثق في ذاكرة الفلاح الفلسطيني، خاصة الجيل الذي بدأ في الانقراض، أو الجيل الذي لا علاقة له بالأرض وزراعتها، ما يعني ضياع هذه الثقافة المتأصلة في الحياة عبر مسميات ودلالات خاصة، وإن كان الموروث الشعبي القولي لم يضع شيئاً، حيث جسد ذلك كله بتلقائية خاصة، وتفاعلية تنم عن مصداقية في التوجه والأداء، فكان الشعر خير معين على ذلك:

لا لقط بيدي الثنتين من خوف العازة والدين
لا لقط بأصابعي العشرة من خوف ابيع البقرة

ويقول الجدادون:

دية يا أبو دية والحق في ايدي
يا زيتون اقلب ليمون بين أدين اللقاطات
حبله حسن المرعي كلها اصميلي يا قلبي
يا زيتونة بو مرعي هريلي ذهب هري
يا زيتون الحوارى صبح جدادك ساري
يا زيتون اقلب ليمون اقلب إمسخن في الطابون
يا زيتون الحوارى صبح جدادك ساري
بجدك في الجدادة وبدرسك في البدادة
والمليص زيتته طيب أما القاطة ايغلب
يا زيتونة بو كطموش هريلي ذهب واقروش
هيه يا زيتونة جودة جودي علينا جودي
زيدينا يلا زيدي من الذهب والمجيدي
أما زيتون الخلة والمريج والمطلة
يا أمين يا خلي دير بالك ترحل من هون
أما زيتون كنامة بيلقطوه النشامى
والأبرش لحالو يحوص ما بدو النقى والزين

وتسمع الفلاحين يخاطبون أعضاءهم التي يستخدمونها في جمع ثمار الزيتون:

ديتي يا دية الحزم لزم عاونيني اليوم والا بأرزم
عاونيني اليوم بشريك عباة من عبي الشام حلوة مزوقة
ديتي يا ديتي الفكاكة غارقة في الزيت والركاكة

وبعدها توصف الة دراسة الزيتون، فيقول:
حجر ماكنتنا داريا صبايا هاتن الجرار
الجرار والعسالي زيتهن للغوالي

وعندما يكون الموسم شحيحا، وهو ما يعرف عند الفلاحين (بالشلتونة) تسمع الناس
ينشدون بأصوات مرتفعة وبنوع من التحبب يعاتبون شجرة الزيتون فيقولون:
يا زيتوني الحق عليك لطلع زيتك من عينيك

أما عندما يريدون حث الصبايا على العمل في قطاف الزيتون فنسمعهم يرددون (نهار
الزيت مثل ما أصبحت أمسييت) (من أجل حث الصبايا على العمل والاستمرارية فيه، لأن
يوم العمل في موسم الزيتون قصير، لذا تسمعهم ينشدون:

صبايا يا بنيات حمام الروع بيات
ولا نتجوز نذل ولا ننعاه لومات
ولا ابفرش حصيرة ولا ابترمي مخدات
شدن اديكن يا بنات حتى انجول الزتونات
الجب الأبيض بنادي وين البيض الحنونات
والجب الأسمر نبالو لما اتلفن في اذيالو
يوخذ البسمة لخالو ويتنهد في المنامات

ومن أجل حثهن على العمل، يناجيهن صاحب الحقل ويفضلهن على العجائز وكبيرات
السن، أو المتقدمات في الحياة، فيسمعهن أقوالا تحفيزية فيقول:

وارموا عليهن خنزير	حطوا العجايز في البير
لطح البقر حناهن	ولي بدويقناهن
وارموا عليهن عطار	حطوا الصبايا في الدار
حنا الشام حناهن	ولي بدويقناهن
سرقنت صيصان الحارة	العجوز النقارة
ياعن أبوشيبتها	حطتهم في جيبتها

فبعد سماع هذه الايقاعات تبتسم الصبايا متفانيات في العمل، وكأن التحفيز قد أخذ
مسعاه إلى نفوسهن، وأخذت دورة الحياة تدور من جديد.

أغاني الحماس والثورة

السياسة فن الممكن، لذا قاتل الله السياسة ما دخلت في شيء إلا أفسدته، وهذا ينطبق على حياة الناس كافة، لكن كل في مرحلة معينة، أو في فترة زمنية معينة، وبعدها تتبدل ميازين القوى، وتعود الكرة من جديد.

فما نراه في فلسطين منذ عشرات السنين، وما وقع عليها يتجسد للجميع مدى الظلم والجبروت والحرمان والتشرد وأشياء أخرى، لأن الشعب العربي الفلسطيني، كان يعيش أمناً في أرضه وعلى ثرى وطنه؛ وطن الآباء والأجداد ومهد من مهد الإنسانية، إلى أن حلت به النكبات وبدأت عملية الاحتلال والاستيطان والتهميش، ما يرينا صراعاً يتجدد ورفضاً واقعاً، وحراراً سياسياً ينم عن روحية فاعلة، وهذا انعكس على أنماط الحياة المختلفة، حتى أظهر ذلك ملياً النص الأدبي بأنماطه وأشكاله المختلفة، وأجناسه المتعددة، فكان كل بيئة لها معطياتها والدوافع الفاعلة حتى يتجسد النص القولي الإبداعي، إن كان عضوياً شعبياً أم أدبياً ملتزماً بقانون الإبداع الأدبي.

فالغناء الشعبي الذي لازم الحدث السياسي في فلسطين متطور ونام إلى حد بعيد، لأن السياسة أفسدت كثيراً، وظهرت قرائنها في مجالات الحياة المختلفة، فكان النص الإبداعي الشعبي وغير الشعبي مكملاً للرفض، أو يشكل أحد قرائن الرفض والتمرد والثورة، لأن الشعوب تصنع ثوراتها لاستعادة كرامتها وتجسيد إنسانية أبنائها وتحقيق الحق الضائع أو الممتن.

فمن يتتبع النص الغنائي الشعبي في الأدب العربي الفلسطيني يجده ملازماً للحياة ومتطوراً ومتدخلاً في تفاصيل الحياة المختلفة، فالحنين والهم والسجن والحث على الرفض والتمرد والثورة كلها من أنماط التعبير الشعبي التي يزر بها الفن القولي الشعبي، وهذا يشكل مجالاً رحباً في القول والتفاعل مع الحدث، لذا نرى النصوص التي تجسد معاناة السجن والسجان، ومدى الحرمان الواقع على النفوس والأجساد معاً، ما يرينا نصاً يقوم بالثبات والمعاناة معاً، أخرجه للحياة أحد السجناء الراضين للظلم والاستبداد، وتناقله الناس فغداً في أفواههم يتغنون به بكل عزة وفخار، وإن اختلفوا في نسبته إلى واحد بعينه، إلا أن النص لم يزل عالماً في النفوس والعقول ويردده كثير من الناس في المناسبات، وبالذات ما قامت به فرقة العاشقين حيث عرفت الناس بهذا النص الممتلئ بالفخار والمحبة والألم:

يا ليل خلي الأسير تيكمل نواحو
رايح يفيق الفجر ويرفر فرجناحو
ليتمرجح المشنوق في هبة رياحو

يا ليل وقف تقضي كل حسراتي
 يمكن نسيت مين أنا ونسيت آهاتي
 يا حيف كيف انقضت بايديك ساعاتي
 وشمل الحبايب ضاع واتكسروا قداحو
 لا تظن دمعي خوف دمعي على أوطاني
 وعلى كمشة زغاليل في البيت جوعانة
 مين راح يطعمها بعدي واخواني
 تنين قبلي شباب عالمشقة راحوا
 بكرة مراتي كيف راح تقضي نهارها
 ويلها علي وويلها على صغارها
 يا ريت خلّيت في ايدها اسوارها
 يوم الدعاني الحرب تأشترى سلاحو^(٤٥)

هذه الكلمات تعبر عن مدى الإحساس بالألم، ومدى الألم الجاثم في النفوس والعقول معاً، لذا نجح الشاعر في خلق عملية التفاعل مع النص وبه، عبر إيقاعات وقواف لها جرسها الخاص بها، لا نرى أثرها إلا في نصها أو مثلها، بذلك نجدها صورة صادقة لواقع معيش، هذه الصورة لم يزل كثير من الناس يستذكرونها.

فمخاطبة الليل وما يحمله من إرث متجدد، يرينا بعد الأمل؛ لأن الأمل يلد من رحم المعاناة، تلك المعاناة التي يعيشها جُلّ الشعب الفلسطيني بأنماطه وشرائحه المختلفة، لذا نجد كثيراً من الفلسطينيين فرّ من أرض الجحيم قاصداً الغربية كي يخفف بعضاً من المعاناة، ويعيش مع الأمل ولو إلى حين، إلا أن لواعج النفس لا تنتهي فرفضت الغربية والابتعاد عن الديار ومربى الطفولة ومهد الأباء والأجداد، ونجد اثر السجن واضحاً في النصوص الشعبية، إذ جسد القول الشعبي المغنى انماط الحياة المختلفة، وهذا ما نلمسه في اغنية شعبية يرددّها الناس في المناسبات المتعددة، الا وهي اغنية (من سجن عكا) قيلت في مرحلة الثلاثينيات من القرن العشرين، أبان اعدام الشهداء الثلاثة زمن الانتداب البريطاني لارض فلسطين، ولم يزل الناس يرددونها في الايام العصيبة:

محمد جمجوم وفؤاد احجازي	من سجن عكا طلعت جنازة
المنذوب السامي وريع عموما	جازي عليهم يا شعبي جازي
وفؤاد احجازي عزالدخيل	محمد جمجوم مع عطا الزير
وباحكام الظالم تيعدمونا	انظر المقدر والتقادير

لذا نقرأ نصوصاً تفوح منها شذرات اللوعة والحرمان، لان الوطن غدا مسكونا من الاغراب المحتلين، الذين يصنعون عملية الاحلال المنهجة، ويسلبون الارث الانساني للشعب والامة بطرائق متعددة، لذا نجد التعابير الراضة تتداخل كي تعطي صورة تحمل

الرفض والامل معا، وتظهر مدى المأساة والفاعلية التي يعيشها الناس وهذا ما نلمسه في نص بعنوان (مقهور) وغيره من النصوص وهكذا تسير الامور.

مقهور يا يما ومش مكسور
وقفت على بوابي ضباع الارض
تجمعوا من كل حدب وصوب
وصفيت لحالي مثل يا يما ضيف في ارضي
ومش مرغوب
مقهور يا يما ومش مكسور
معي سباع الفلا ونمورها ونسور
ندافع عن بيوتنا والارض
ها لاغلى من صلاة الفرض
ونمنع وحوش الضارية
انها اتعدي السور
بقولك يا يما وانا النشمة الحر
ما يريد سيعة الذهب
تشهد عوقتي المر
بيعي لسيعة الذهب
واشتري فيها
قنديل شوفك فيه
وشوف خياتي
الصبح زي الليل زي الظهر
زي قبل اسبوع زي بعدو
انقبر نجم سهيل تحت الدور^(٤٦)

ونسلم من يتأوه نتيجة الفراق وعذاب التشرد فيقول:
بلادنا جفتنا دعتنا في بلاد غروب
من جور حكامها رحنا نموت غروب
يجي على بالنا تسكت مدامعنا
تتذكر حبايبنا عند المسا وغروب
ولا رجل يكيد ارجال يا اجواد
ولا مال يفك من العذاب
صفا يا غالية براس تلة
فيك العيش للجعان تلة
ريت الي طلعوننا وتاويهم بعلة

وحية مألوفة من أربع إنياب^(٤٦)

هذا الوله والهه المتجسدان في النفوس نراهما بيعثنان على أمل قادم، حتى نرى من يخاطب الدار وأهل الدار تحبباً وتفاعلاً:

يا داريا دار لوعدنا كما كنا
نظليك يا دار بعد الشيد بالحنًا
يا داريا دار من عادوا اهاليك
بالشيد لأظليك وبالحننا لحنيك
وتقال على ايقات اخر وذلك حسب المكان والزمان:
يا داريا دارون عدنا كما كنا لطين الدار واجعل طينها حنة
واجيب شقة حرير واخلعها على البنا واقول للبين يرفع صايبو عنا

وقد تناقل الناس بالغناء كثيراً من النصوص قيلت في مرحلة الانتداب البريطاني لفلسطين، ما يدل على الوعي الشعبي لما يحدث في الوطن والمحيط العربي بشكل خاص والعالم بشكل عام، أي أن الشعب العربي الفلسطيني لم يكن في يوم الأيام منعزلاً عن مجريات الأحداث في كل مكان، بل كان له السبق في صنع الحدث معبراً عن كيانه ووطنيته وعرويته وانتمائه العقدي.

نادت كل الكونية بأصوات ربانية
فلتسقط أمة صهيون ولتحيا العربية
يا صهيوني امشي ودور بكرة جاي القاوقجي
بدو يمشي اتعشر يوم يطرد الصهيونية
الأمر الصعب بدو يهون يا عرب اوعوا تهابوا
نصر مؤكد بدو يكون الله قايل في كتابو^(٤٧)
ومع لمعان اسم المفتي الحسيني كانت الاهازيج تردد اسمه:
ارض العرب للعرب يا غرب شيل وارحلي
سيف الدين الحج امين لولا المخافة من الاله
كنا قلنا في الصلاة مفتي العرب مفتي العرب
المفتي عا المجد باني برج الو الغرب من هيبتو كلو برجلو
المفتي ان ظرب لندن برجلو الملك والتاج والكرسي انقلب

ويهتفون:

تعيش الاخوة اسلام ونصاري
والصليب والهلال وحرء والمغارة
وبعد قيام دولة الاغتصاب اصبح اهل الجليل يهتفون:

جليلنا مالك مثيل واترابك اغلى من الذهب
ويا شعبنا بارضو بخيل ما تنعطى وما تنوهب
والنصر والعمر الطويل لوحدة الشعب انكتب
نادى المنادي في الجليل ارض العروبة للعرب

ومع احتدام الصراع على الارض بين الحق والاغتصاب صرنا نسمع:

لوهبطت سابع سما عن ارضنا ما نرحل
وارواحنا الها فدى ما نرضى تبقى مقفلة
ويا شعب زين رايتك بالمطرقة والمنجل
ويوم النصر ما هو ابعيد والليل قرب ينجلي

بعدها نسمع أغاني الحماس، يرددها كثير من الناس في الأربعينيات والخمسينيات حتى منتصف الثمانينيات أو بعدها بقليل، اي قبل ان تتم التوجهات للنخب السياسية صوب الحلول السياسية والتعامل مع فن الممكن، او عندما كان الامل بالانتصار قائما، والطموح يفوق التوقعات:

هَبَّت النار والبارود غنى	أطلب شباب يا وطن واتمنى
هَبَّت النار من روس الجبال	أطلب شباب يا وطن لا تهاب
هَبَّت النار من حارة لحارة	أطلب شباب يا وطن سهارى
هَبَّت النار من راس البارودة	جيش العروبة يا حام الحدود
هَبَّت النار من راس السيكاره	جيش العروبة يا حامي العذارى
هَبَّت النار من أرض الجدود	جيش العروبة يا حام النهود
هَبَّت النار من شارع لشارع	جيش العروبة يا حامي الجوامع
هَبَّت النار من رووس المدارس	جيش العروبة يا حامي الكنايس
هَبَّت النار فصايل فصايل	جيش العروبة يا حامي الاصايل
هَبَّت النار والبارود غنى	جيش العروبة حيرجع وطننا
هَبَّت النار من راس الخروبي	جيش العروبة يا حامي العروبة
هَبَّت النار من صفحة لصفحة	جيش العروبة يا رافض النزحة
هَبَّت النار من تينة لتينة	جيش العروبة شكال المرتينة
هَبَّت النار من واد العرايس	جيش العروبة يهادن وسايس
هَبَّت النار من مارس لمارس	جيش العروبة طول عمر حارس

ولما بدأ ضعاف النفوس يبيع أراضيهم للحركة الصهيونية، قال أحدهم:

أحبابي وين ما رحتوا براضيكم

مهما بدا مني زعل براضيكم
أحبابي لابن صهيون لاتبيعوا أراضيكم
تراب الوطن أغلى من الذهب

وتقول اخرى:

حبابي الي يبروني وبرهم
ولا قطب جروحي غير ابرهم
انويا ناس يعطيني خبرهم
بعيدين النزل ولا اقرب

وتقول ايضا:

ولما هجر الناس قسراً ودمرت قراهم وبيوتهم وحواريهم، أخذوا يقارنون بين واقعهم
المرير وماضيهم المضيء، فنسمع:

يا امهاجرين الوطن أنا بالوطن خلّيت
يا دمع الحزينة عالخدود هريت
وانت يا حبيبي لو سابع سما وعليت
لا بد ترجع لارض الوطن
يا قاطعة الجسر شرقاً علامك تبكين
على هجر الوطن والحباب تبكين
لك يا بنية لا بد الدهر ما يلين
وترجع القدس لأهلها والصحاب
يا زارع الورد في أرض رطبة
أولادك على حب الوطن ربي
وأنا يمين الله واحلف بربي
لحارب ودافع عن أرض الوطن
يا كرم العنب ايش يبس دواليك
وطني لو كنت بجروح دمي دواليك
وما دام عيونك ميتتنا من أراضيك
يسهل علينا زرع الشجر^(٤٨)

ومن يتتبع يجد أن أدوات القتال وقرائنها ذكرت في الأدب الشعبي المغنى:

آه يا ظرب الشباري
في العدا والدم جاري
آه يا ضرب المرتين
في العدا والمبغضين
هاتوا متر اليوز نهجم ع اليهود

ونحرم الصهيوني يخش بلادنا
حس الشباب يرعد رعد الطيارة
وحنا الشباب نحمي ديار العذارى^(٤٩)

وعندما عرف الناس أهمية السلاح ومكانته في الحياة، نسمع أحدهم ينشد:

يا عربي يا ابن المجرودة
بيع امك واشري بارودة
والبارودة خير من امك
يوم الشدة نضج همك

ويقول ايضا:

بيع الجمل واشري فرس واشري بارودة معدلة

ويقول الناس يخاطبون المندوب السامي البريطاني:-

مندوب خبردولتك لندن مرابط خيلنا

ويخاطب الناس مستر (دل) قائد الجيوش البريطانية انذاك، بنوع من التهكم والمرارة

والسخرية، لانهم يعرفون نواياه المنحازة، الا انهم يؤكفون على خطابه بلحن تهكمي:

دبرها يا مستر دل	بلكي على ايديك بتحل
مادمت رجل خطير	وقائد عسكري كبير
وقضيتنا كلها افهمتها	ما يلزم الك تفسير
فهم لندن بلي صار	والي بعد راح ايصير
العرب امه اصرار	صداقتها لازمتكوا كثير
جيت فلسطين الحرة	حتى تقمع الثورة
ولما درست الحالة	لقيت المسالة خطيرة
بدنا اتفهم ابلاذك	حتى تكفيننا شره
واتصافي الامة العربية	بمنع البيع والهجرة
ودبرها يا مستر دل	بلكي على ايديك بتحل

ويردف اخر معلنا الثبات على المبادئ، والاصرار على التضحية، وان صاحب الشان هو

اولى بان يكون اول المضحين:

اذا اتردوا على شوري ورايي	لنرفع للحرب بيرق وراية
انا قدامكم وانتم ورايي	وانا اول ضحية للعرب ^(٥٠)

ومع لمعان بريق الثورة واشتداد عودها، وتفاعل الجماهير العربية معها، ترى الأدب متفاعلاً مع هذه المرحلة، بل وأخذ يصنع منها شيئاً كبيراً وهاماً، لذا نجد صورة الشهيد والشهادة مفعلتين تفعيلاً مؤكداً ومؤصلاً، وهذا ما نلمسه من موقف الاب الحاني على ولده، الا انه يفاخر به الاكوان كلها، ويجعل منه الانموذج الذي يجب على الآخرين الاحتذاء به، حتى تتضح الصورة إلى الآخرين، وهذا ما جسده الشاعر والمغني الشعبي الشهير بابي عرب، حينما خاطب الشهيد ممثلاً بولده، فيقول:

يا ابني يامقلة عيوني
يا ابني يا فلذة اكبادي
فيك ما خابت ظنوني
وانت للهيجا جوادي
يا ابني موتك وانت واقف
تزار بساح الميدان
تسخر ابريح العواصف
تهزأ ابشط الامان
احلى من عيشة ذليلة
تشتكي جور الزمان
يا ابني احنا تعودنا
نرد عقرات الزمان
والنذل ما كان منا
لا الخنوع ولا الجبان
يا شهيد الوطن حيك
ما انسييت تراب جدك
ما انتظرت اوداع بيك
عندما نادى المنادي
قلت يا بلادي لقينا
عند عينك تع شفيينا
اشهدي ويشهد علينا
والف مرحى بالشهادة
لما رجعوا يا با ربعك
ما سالتهم كيف موتك
حينها نشفت دموعي
قالوا مات البطل صامد
بعدها رفعت راسي
يا ابني لا قسم بحرمة ترابك

فرحت يا ابا ابنجاحك
فرحت اكثر في كفاحك
ولي صابك بلغوني
في بطولتكم نعوم
وقفت الرعشة في ظلوعي
بنتخي ابعة ربوعي
راحت ابصدري الماسي
ودمك هل عطر ثيابك
في خلودك في الشهادة
يا ابن طيفك ما يفارقني
في صباحي في مغيبني
يا ابني فيك ارفعت راسي
وقدمت عني الضريبة
اسمع امك اسمع امك
عم ازغرد وتصيح حيك يا حبيبي
يرحم ترابك يغالي
ما طلع فاين حبيبي
يا ابني خلي الجرح يلهب
خلي جرحي من دمي
تاريخ للتوار يكتب
حتى ها التاريخ يشهد
انو من دمي اجدد
ومن ضحايانا تعمد
تلق شعبك كل حدك
ما بيهم واحد تردد
تلق اختك تلق عمته
تلق ابوك تلق جدك
كلهم نفس المسيرة
يحملوا البارود حدك
عندما اتنادي بلادي
الف مرحب بالشهادة

ويرد ف اخر لكن ليس بعيدا عن دائرة التضحية والفاء والشهادة:
نادى المنادي في الجليل ارض العروبة للعرب

وترابك اغلى من الذهب
امر المصادرة انشطب

شاغورنا مالك مثيل
ويوحدة رجال الشاغور

ويقول احدهم:

من ها الخبايث هلي اجوني
تا اتزيد الهجرة عا فلسطينا
طلبنتي الثورة والصبح ماشي
تحرير بلادي اغلى ما يكون
حامل عا كتفي الكلاشنكوف
كان تحررنا في فلسطينا
نلت الشهادة وربي أعطاني
بقدر يغتصب أرض فلسطينا

تنده فلسطين وتقول احموني
الله اكبر عا اللي باعوني
يما يا يما بدي رشاشي
عفت الوظيفة عفت المعاش
يما يا يما تعالي شوفي
لوما في عيب العرب ها الخوف
غني يا يما أحلى الالحن
لا حكم بيغن ولا ديان

ويقول احدهم:

ان كان نادى المنادي للمعارك يوم
الموت سترة ولا انت تعيش جوباني
وقال يا عرب زوروا القدس في نيسان
من خوف الغرب ايهيجوا ويطمعوا فيها
وجاها نابليون بالفتيان والعدوان
وصار حول عكا ملتقى الجيشان
وجزار با شا لهو بلطة ممظيها

ويقول:

يا يا با تمسك بارض جدك والتراب
الريا حرام اوع انت ترابي
قال ترابك يا قدس هذا ترابي
وين ما متنا ادفنونا ابها التراب
يا يا با اوعوا امريكا هبي اتغطي عليكم
تراب اوطانكم اغلى من الذهب

ويقول في مدح اهل المخيمات القابضين على الجمر:

يا رايح عا المخيمات خذ مني ها التحيات
ولهم نرفع الرايات اهل الزنود القوية

وتقول احدها على لسان الفدائي:

يما يا يما روحي على كفي من الصبح ماشي لارضي المحتلة
لفديك ارضي ابروحي وابدمي واغنيك ارضي تا يرحل صهيونا

ونسمع النساء وهن ينشدن متفاعلات مع الحدث والهم الوطني:

زرعنا الميرمية ابوسط الدار	فلسطين بتناديكم وين الثوار
زرعنا الميرمية في الحاورة	فلسطين بتناديكم يا النمورة
زرعنا الميرمية في البساتين	فلسطين بتنادينا فدائيين
زرعنا الميرمية في الموارس	فلسطين بتنادينا يا اشاوس
زرعنا الميرمية في راس التل	فلسطين بتنادينا ضد المحتل
زرعنا الميرمية في الضوارة	فلسطين بتنادينا يا اماراة
زرعنا الميرمية في ارض الدير	فلسطين بتنادينا تنهب في الليل
فرشنا الميرمية فوق الرجوم	فلسطين بتنادينا يا ها النجوم

وتقول احدها:

بالسكاكين يا شعبي بالسكاكين
قاوم عدوك يا شعبي بالسكاكين
وان هدموا بيتك يا شعبي عا البساتين
بالباوريد هبه يا شعبي بالباوريد
بالباوريد قاوم قاوم عدوك بالباوريد
وان هدموا بيتك يا شعبي خذ الحدود
وبالحجر قاوم قاوم يا شعبي وبالبحر
وان هدموا بيتك يا شعبي خذ الشجر

والمقاومة اخذت حيزها في الارض العربية المحتلة عام ١٩٦٧م، وهذه الارض تعرف اداريا بالضفة الغربية لنهر الاردن، لانها كانت تشكل وحدة اندماجية مع الضفة الشرقية للنهر، إلى ان تم فك الارتباط بين الضفتين من قبل الاردن، لذا نسمع تمجيذا للضفة الغربية واهلها من قبل الشعراء الذين يغنون الشعر الشعبي الفلسطيني:

على ارض الضفة في شعب مناضل ومن اجل الحرية او قد مشاعل
وانت يا فلاح وانت يا عامل اطرده من ارضك جيش الصهيونا

ويقول اخر:

يا بيغن اسال ديان شعب الضفة ما بنهان

ارجال الضفة في لبنان
يا بيغن اسال ديان
لا يمكن اتعيش ابسلام
سجلوا فدائية سجلوا فدائية
لا تنسى غزة ولبنان
الحركة الصهيونية

ويقول نايف سليم ابن البقيعة في الجليل، يخاطب رموز الحركة الصهيونية الفاعلين في تنفيذ القرار بلا هوادة، أي لا تأخذهم رافة أو إنسانية في أصحاب الأرض الأصليين، الذين وقع عليهم الظلم والهوان من الصهاينة على مدار الأيام، ويرينا المنشد مدى اللحمة ووجوبها بين الطبقات الكادحة، من عمال وفلاحين وحرفيين ومستغلين، هذه الشرائح التي تقع تحت طائلة الأثم المتجدد، لأنها تشكل رأس الطعم الذي يدسه المحتل بين أسنانه، وكأن الشاعر الشعبي يرى في الأممية طوق النجاة للتخلص من الاستيطان والاستعمار والتخلف، لذا يصر على اللحمة الوطنية الممتدة عبر سنوات الحياة، حتى يرينا مدى الكراهية التي يكنها الناس المضطهدون والمستعمرون (لأمريكا) راس الحية في الأزمنة الحديثة والمعاصرة كلها، لأن أمريكا تدعم الظلم وتساند الظلام لأنهم يخدمون مصالحها، كما هي تخدم مصالحهم وتنميتهم، حيث لا تكثر بمصائر الشعوب التي تن تحت وطأة الاستيطان والاستعمار وهكذا:

يا شامير ويا شارون هذا وطننا وحنا هون
لا تهويد ولا تشريد عن أراضينا ما بنحيد
ارفع ايدك يا نهاب عن أرض الي الها أصحاب
ولازم وحدة كادحين تنطير قانون الغاب
وحدة عامل وفلاح في أيدينا أقوى اسلاح
ورص اصفوف الكادحين الحامي من المستغلين
ومهما اتبثوا دعايات بكل الألسن واللغات
ابيبقى توحيد الصفوف وحدو حلال الأزمات
لا ليكود ولا معراخ من ها الحالة العامل داخ
وما بينظف الأوساخ الا تعزيز الجبهات
شعب كريم وبسام عن حقوقو ما بينام
وصار شارب عا الظلام وحتى اطفال امقاتلين
يا أطفال الاربيجيه يوم النصر راح يبيجي
وما بضيع القضية مهما اتخون الرجعية
ومثل ما طار الاذعان وسكتر جيش الامريكان
لازم تنظب اسرائيل وصلحة أنورها الذليل
ومثل ما الاذعان طار الجبل لاحق على الجرار
ومثل ما المارينزولى بتولي الزمرة كله

ويا ثالثوث الرجعيين جايي دولة فلسطين
وعمررو مادام العدوان مهما ركبتوا له أسنان
مهما اتعدوا اتمدوا اجيوش بالآخر بطلع فاشوش
اسحب جيشك يا محتل ما في مستعمر بيظل
اشو في الكوفي لبنان يا خدام الأمريكان
وما بتظلوا في الجنوب مهما صعدت الحروب
والجنوب لصحابو موش لريغن واكلابو
وسوريا أم لبنان موش مثل جيش العدوان
ون ما علمكو الجولان في حامي حقوق الشعوب
وموسكو مع سورية ميش متروكة القضية
اليوم الدنيا للأحرار ولى عهد الأستعمار
ومثل ما ايتان ولى بتولي الزمرة كلها
ومثل ما ولى الصرصور لاحق كل الزمرة الدور
يا ارنس اطلع برا الأرض العربية حرة
عاش الشعب الفلسطيني غصبن عن المحتلين
وتحيتنا الثورية لبيروت الغربية
ولي ماشي في لبنان الطريقة الفيتنامية
وتحية لابطال الشوف خلوا المخطط منعوف
تحيتنا الثورية لصفتنا الغربية
وتحيتنا الثورية لغزتنا الأبية
ومهما اتفتوا الملايين جايي دولة فلسطين
وهون بين العاملين ابيقوى صوت المحتجين
بين العرب واليهود تا يسقط حكم الليكود
وتتغيرها الحالة من الغلا والبطالة
وفي الوحدة الاممية منسبق للفاشية
وارفع ايدك يا نهاب هذي الارض الها أصحاب

وينشد الثنائي المتمسك بالثوابت الفكرية (حنا ابراهيم ونايف سليم) بملامح الأمل
على الرغم من الغصة التي يعيشها الناس والوطن على حد سواء:

يا بلادنا مالك مثيل وترايك أغلى من الذهب
منرضى بالعيش الذليل لوصرنا لجهنم حطب
نادى المنادي في الجليل أرض العروبة للعرب
يا شعبنا بأرضو بخيل ما ابتنعطى وما ابتنوهب
وفي شرقنا ايحل السلام لما يتم الأنسحاب

لو هبطت سابع سما عن أرضنا ما ننزل
وارواحنا الها فدا ابرخص اذا اترابها غلي
ويا اعلام حمرا رفرفي وفوق المجرة اعتلي
وارض العروبة للعرب محتل شيل وارحلي
بلبنان ما الك مقام والأرض عم تغلي غلي
والشعب الي اريد السلام ابو الكرم والمرجلي
وعين العدالة ما تنام والليل قرب ينجلي

ويقول نايف سليم ايضا، يمجّد القرى العربية التي لها باع طويل في النضال:

قمت من ديرتي وامسيت (سخنين)
ولو منختيار ومنكون ساخنين
قمت من ديرتي وامسيت (طمراي)
ولو منعري ولبس خلق طمراي
قمت من ديرتي وامسيت (بمناه)
الشعب المرهق المشغول بعناه
قمت من ديرتي وامسيت (كسرا)
ومهما حاول الحكام كسرا
م نرضى حقنا أثلاث وانصاف
اما كاملا في عدل وانصاف
اجيت أشرح الام الصدر والغل
ان شدوا عا الاسود الأسر والغل
قمت من ديرتي وامسيت (نحفاي)
الجرة إن جوعوها وزاد نحفا
قمت من ديرتي وامسيت (طيراي)
طيري يا رياح الهم طيراي
قالوا اشوا بتملك قلت ماشي
م بتراجع لو ابقى العمر ماشي
مهما زاد كاس الدهر خله
الله يلعن الليرات خلوا
الدراهم ما ابتخلق ناس حرة
ونفس الحر مثل الجمر حرة
غيرك يا وطن غالي م عزيت
ورغيف امغمس ابزعت مع الزيت

اللي اسقت للعدا كاسات سخنين
وبتنادي لنا وابنرجع شباب
ولو امنرجع على خبزة وتمراي
ولا بالذل في قصور الذهب
وكار الصبر عا الظلام بعناه
لا بد ما ايزيل همة والتعب
والشريف الحر بستكفي بكسرا
الجماهير البايديها الغلب
وان شتى الظلم بالناس وان صاف
اما الموت عا حدود الطلب
الي شرش في حنايا الحر والغل
وهي بالأسر بتخافا الكلاب
ع درب الحق لو نعري ونحفاي
م ترضى اتبيع عرضا بالذهب
وعا غير الوطن ما بيرف طيراي
وودي للأهل نسمة هوا
ولا ثروة ولا قطعان ماشية
على درب الكرامة وبلا اثيابي
الكرام ابوعدهم ما يوم خلوا
البعوضة تفكر حالا عقابي
ولا بتحر فكر الحر حرة
قبل ما مسها الخصم التهب
ان اطلبت الروح ع احسابك م عزيت
أشهى من خروف الأغرابي

الوطن ما ابنحمي ياناس في (اللو)
المرج بيصيح وين الاهل فلو
وطننا في اله صورة بلبي
حسراتي على يوم البلبي

ويقول أيضا:

حبابي شيلو وراحوا شمالي
وشمالي ياهوا الديرة شمالي
ع خيل الشنص شدينا وركبنا
ي سايق ظعنا وحادي ركبنا
زرع ولفي قبل ما غاب بانه
ومن خدة شعاع الشمس باني
حبابي شيلو وراحوا بعادي
وم بضرح لا بعيد ولا بعادة
الجفا وبعد الولف ع القلب زادي
رمش عينه اذا نزل بمزادي
حبيبي شمل وما عاد لي
لوجبال الضرح قلبت علي
العسل أحلى ام المية من ابريقه
ان غمزت ليلة الزايد بريقة
هزت كهربا لحظل عصبنا
وي الي مع أعادينا (عصبنا)
عظامي يا ولادي انشروها
مقالة ابكبريائي انشروها
الحقيقة ثوارها اتشفوا وغابوا
حنين القلب ع الهجوا وغابوا
سوى درب الوطن أقسمت معدي
ورخص النفس أخطر داء معدي
وطننا الي ربو جدودي ع ميتو
البكا ما ابينفع الثاكل ع ميتو
الوطن في صوته لمذبح دوالي
بفضل بالوطن عشوة دوالي
كل واحد مسك شغلة لها بها

دمع لي اقحوانة وناح فلة
اشتقت صوت المناجل والقصب
على تقديسها اصغاري بلبي
نداءات القنات والعتاب

وم عدت اعرف يميني من شمالي
دخيلك هات ريحة من لحياب
وغيابن هدنا وكسر ركبنا
هدي شوي تنشوف الحباب
وعلى صدري هرم أحزان باني
ومن سنه لمع برق السحاب
قلبي مين ما عادوا بعادي
م بضرح غير برجوع الحباب
لا جعل من عشاب البر زادي
ابيسوى مية طن من الذهب
عصب قلبي التوى لي ع ليا
م بنسى لحظتين من الغياب
تشفي لسعة الرقطا بريقة
تعرقل رعدها والغيم غاب
وجرحتينا وابمحرمتك عصبنا
م عدنا نعرف ادروب الصواب
عزت نفس بوكو ان شروها
لأجلك يا بلدنا الموت طاب
الأسد عزه ابعرينو وسط غابه
جارج مثل حزات الرياب
وما تهضم طعام الذل معدة
مثل عدوى الجمال من الجرب
لهذا الحد عن فضله عميتو
فقط بيزيد ع امصابه مصاب
المنايا في حمى ارضه دوالي
ولا امحمر ذلة واغترابي
وعواصف جارفة ارضة ابلهبها

بقدم لوم من ضالعي حطب
صرنا ابدار غربة — اخ — لاجين
زحف لو كنت مكسور الركاب
وعواميد السعد بالحي مايلين
ودخيلك ستريهن بالنقاب
سهم لحظك وريد القلب رامي
لظل أسرق نظرتحت النقابي
ومرض حبك قبل م خلق عداني
وصادقني أبو الهم العذابي

أذا نار الوطن أحمد لهبها
على بعدك ي نور العين لاجن
لنحوك من بعيد الأرض لاجين
غضب قلبك ع حبك ليش ما ايلين
وجعودك عاصديرك ليش ما ايلين
قمت من ديرتي ومسييت رامي
لو قالوا ألف مرة حرامي
رضابك هيل لا قهوة عداني
الفرح من يوم ما غبت ع داني

ويقول أيضا في شأن لا يقل أهمية عن الصراع على الأرض، ألا وهو المدخل إلى معمعان الحياة بانماطها المختلفة، وهو شأن الانتخابات، وما يدور في فلکها من تحفزات وكولسات، وكيف تتدخل السلطات لأفشال قائمة دون أخرى، أو انجاح أحد المقربين من الشأن العام، لذا نراه يجسد الصراع على الانتخابات للإدارات المحلية، تجسيدا تهكميا فاعلا، دون الإثقال على المتلقين، حيث جاءت مفرداته بسيطة على الرغم من أهمية الموضوع، إلا ان المسألة أخذت سياقاً واضحاً، فيقول:-

يا صبيان ويا بنات سحجة للانتخابات
وركض السلطة ع الأصوات خلاها اترشح أموات
يا مستمعين الكلام انتبهوا لفخاخ الحكام
سيف الدين عاود قام وشراشيبة الرداحات
وقوايم (مش مدعومة) (امجمعة) ومش ملمومة
وفيها افخاذ الحكومة ابترمز للإيجابيات
وقوايم (مستقلة) ويتلامع زي الفلة
وليل انها بتصلي للي بقبض الليرات
يا فلاح ويا عامل حقلك بوصل ع الكامل
وعطشة راجع تيناصل ابفلة من السبع فلقات
وفلقة ثانية لحاله بلشانة اتمد احبالاي
عا اعمامه واخوالة والباقي يبقى فضلات
وشو اللي غير التغيير كان يهدر مثل الزير
وصايرزي الصرخة ابيروقفع زي البالونات
أما المعراخ العتيق راجع يتسرق تسريق
افوت بغلة بالابريق ويعيد المجد الي فات
ويخلص أراضينا منا وينسى ماضيها

ون زعلنا ورضينا بده اتمثلنا خوندات
وكيف الي اسمو خازوق بو ايطل بالحقوق
وهو بين العرب مدقوق شواكيش امصهينات
وكل موظف هستدروت مرمي من حزيه ومزتوت
عدنة بالنقعة مفتوت وهو يركض تيجيب أصوات
وفي كل ضابط في البوليس جاي اعلي المتاريس
وجاي ادق النواقيس ويعزف عا أعتق نغمات
وفي كل متمشيخ مخصوص مرفع صوته زي الصوص
ومعلص زي الخنوص وبتزهز للخواجات
وقوائم طائفية بتعيد القبلية
وبتوكل راس الحية وبتاجر بالديانات
وقوائم عائلية بطوش ابحفنة مية
ووراها الصهيونية ابتدفع مصروف الحفلات
ووراها ايد المعراخ هلي لونه وفعلة باخ
وبعد ما ختير وشاخ جاي ايعيد المنسيات
ويا ما عاملنا شكلين وخلا العرب عربين
وورثنا لغراب البين وخلا قرانا غيتاوات
وبايين زعيم الحירות بده يحكم بالنبوت
ولوكل العالم بتموت أصحابه بيظلوا لوردات
وبده يهجم عا لبنان لولا (ها الطقس التعبان)
أما اسياده الأمريكان عرفوا امشقلب الحسابات
ولولا اللي ابياحي الشعوب من المذابح والحروب
كانوا بيدوا من العرقوب بالذرة والفتومات
أما أحزاب الأديان تتسند حكم الطغيان
ابتدفع ثقلك عا العقبان وبتمص البلديات
أما العين البصيرة والأيادي القصيرة
بلطشها بو حصيرة والهامر والشارونات
والغلا والبطالة بعد الهن كماله
كلشي ابنظرهم غالي الأأيدي العاملات
الا أيدي الشغيلة والأجور الهزيلة
والحكاية طويلة والسلطة للشركات
وفي كل متوعم اجديد عدنا منحوت من جليد
ومبرود ابمبرد حديد ومبودر مثل الستات
وفي كل من جلة شفاف شعبه وربيه ما بخاف

وسيارة شين بيت انشاف بركع له سبع ركعات
وعندك ناس ياسانين تيقوا حكم اليمين
بيقولوا لك ممتنعين وبحسبوا حالهن قبضايات
ي اللي قاعد ع الحيلد وشايف شو ما عملوا الأوغاد
استن تاتخرب البلاد وعود تاسف عا اللي فات
وعندك ناس (اليسار) اسبوا الجبهة ليل انهار
ومن هيك ثورية وثواريطرب بيغن والسادات
وكل الناس الرجعيين من كل ملّة ومن كل دين
بتصدوا للشيوعيين خدمة للأحتكارات
ومهما بثوا دعايات ابكل الألسن واللغات
وحدة صف الكادحين اببقى حلال الأزمات
لا ليكود ولا معراخ من ها الحالة العامل داخ
وما بنظف هل الأوساخ الا رشا بالواوات
لا معراخ ولا ليكود حق العامل مابيعود
الأ يتمسك محمود وموشى وعيسى بالواوات
الأحزاب الصهيونية مية وخمسة بالمية
من شيلي للحيروتية ممروضة عنصرية
و ضد الفلسطينية و ضد الأمة العربية
ودواها الشافي الواوات ودواها الشافي الواوات

وكذلك غلاء السلع وارتفاع تكاليف الحياة اليومية والمعيشة أخذت حيزا معقولا
من التراث القولي الشعبي المغنى، الذي جسد هذه الظاهرة التي تستبد بحياة الناس،
على اختلاف مراتبهم، وبالذات الطبقات المسحوقة أو الفقيرة، التي يكاد دخلها يكفي
معيشتها، ونراها تعيش تحت خط الفقر، وهذا ما جسد بعضا منه نايف سليم، بأسوب
تهكمي بسيط:-

قالوا: الغلا وجهه جلا ويا ميت هلا بالوزرا السراقين
يا حاللي يا مالي
قالوا الحليب امره عجيب ركض من جيب ابنزلي وكابس عا التسعين
يا حاللي يا مالي
والنوادع القنادر قدرة قادر ربطتها ابسعر البنزين
يا حاللي يا مالي
واكبروبا المحاسبة ع الكهريا ابتلعن تاريخ الجزدين
يا حاللي يا مالي
ويا ما صفر سعر السفر وجاب الطفر حتى ع اجيوب الضابطين

يا حلالي يا مالي
ما الضريبة الرهيبة صارت عجيبة وغريبة
وعم تستغصب غصيبة حتى الناس القاحطين
يا حلالي يا مالي
وبضيع الخمسية ابفردة صندل الوثلية
واللحمة صارت حية بتسم ابدان الشرايين
يا حلالي يا مالي
والسكر علا لفوق للشم صاير موش للذوق
ويا ما في قلب محروق ع الزمانات الماضيين
يا حلالي يا مالي
والغلا بالنزلة داعس والعامل عن عمرو امايس
وشباب عافوا العرايس لاجل أسعار الضساتين
يا حلالي يا مالي
منحصل شقة عمار بدك شغل ثلث اعمار
والرخصة بدها سمسار وسبع ثمان امهندسين
يا حلالي يا مالي
واما عن سعر الحديد ثقلة مصاري وعم يزيد
ومع تأخير المواعيد بتمد ايدها الشياطين
يا حلالي يا مالي
وبدك ميزانية تطوير لبدلة ولد ازغير
ومعاش الواحد بييطير مثل أوراق تشارين
يا حلالي يا مالي
ولي عم بكبر همه وبكفي ابريقة عا تمة
البدو وق يطلع لامة الشيقل والليرة مولين
يا حلالي يا مالي
وبترجع كل المغانم للص الي كفه ناعم
وما عاد اخش المطاعم غيرها اللي امزنجلين
يا حلالي يا مالي
والعربي في اسرائيل في عينين المسائيل
بده تهجيج وترحيل مهما قلد مداحين
يا حلالي يا مالي
دومن مأكول ومذموم ومن ألف شغلة محروم
اتصير ابكلشي مظلوم حضروا له القوانين
يا حلالي يا مالي

وتيتم الجيش ابجح اقطيش تمييز ابلقمة العيش
اشوال اطحينك حقه كيش الف وميتين وتسعين
يا حاللي يا مالي يا حاللي يا مالي

ويقول اخر ممجدا الرموز النسوية من الحركة الثورية الفلسطينية:

حيولي ليلى خالد البطلة الفدائية
ليلى نزلت عا بيروت فانت عا القيادة اتقول
قالت والله لوبموت لاسجل فدائية
حيولي ليلى خالد البطلة الفدائية
ليلى نزلت عا لبنان عا قواعد الشجعان
قالت والله لوبموت لحيي الثورة العربية
قالت والله لوبموت لحيي الثورة العربية
ليلى اهلها ثواريا جماهيرويا احرار
والفدائي ها المغوار يحمي الثورة العربية
حيولي ليلى خالد البطلة الفدائية
ليلى بنت الاجاويد ابتمحي شعبها بالايدي
عا هل الوضع الله ايعين وتخسى الصهيونية

ودلال المغربي الشهيدة التي قدمت روحها قربانا للوطن لم ينسها الناس، لأنها تمثل
الرمز الايجابي عندهم جميعا، لأن شبابها كان دافعا ومحفزا لنصرة قضيتها الوطنية،
لذا قادت عملية فدائية جريئة وجبارة، وأعلنت أفكارها وقيمها داخل أرضها المحتلة، وان
غدرت من قبل أعدائها، لأن جثمانها لم يزل محتجزا في رقم سري عند العدو الصهيوني،
ما جعل لها مكانة خاصة في نفوس الناس وأفكارهم على مختلف مشاربهم، حتى خلدت
بالفن الشعبي بعد خلودها بالشهادة:

دلال ما بنسى دلال بنت الأكارم لا الأندال
ضحت بالغالي والنفيس تا يبقى الوطن موش حبيس
ما الها والله مثيل عند الشعوب الصافيا
دلال نزلت عا البحر تا تمحي اهات القدر
رفاقها مثل المطر هبوا لنجدة الوطن
رسموا صورة للوطن صورة بهية امعطرة

ويقول اخر تمجيذا للمخيمات واهلها، وبالذات مخيم تل الزعتر، الذي غدا رمزا للضد
والظلم معا، ابان الحرب الاهلية اللبنانية، في عقد السبعينيات من القرن العشرين، عندما
شكل تل الزعتر ظاهرة صمود فريدة، ومادة لبطش الانساني، من الانسان تجاه اخيه

الانسان من ابناء جلدته واخوانه واشقائه:

عا تل الزعتر صار الهجوم
وطير المنايا في السما ايحوم
عا تل الزعتر حطت قوتنا
وعا اتنعشر دولة رفت رايتنا
تل الزعتر يا امد مرفيك البنيان
دم الشهداء بارضك فجر بركان

ويقول اخر في المجال نفسه:

عا ارض الضفة نزلت مجموعة
وانت يا نايم يا ريتك توعى
والله ما باخذ غير الملتزمة
فيها بتقوى وقوي عزمي
يا طير الطاير امرق عليهم
من قبل الفجر لسعسع ليهم
نزلت عا الوطن تغسل ادموعة
وتشوف الثوار كيف يضحونا
تحمل رشاشها في وقت الازمة
ايدي ابيدها عا فلسطينا
سلم عا الاهل واشتقنا ليهم
وخلي الارض تلعب دلعونا

وتردد النساء في الأعراس - أيضاً- نصوصاً تحمل الهم الوطني والتفاعل القومي وقد افادت من اغاني الثورة التي كانت تذاع عبر وسائل الاعلام في حينه:

يا جماهير يا جماهير الارض المحتلة
حربنا حرب الشوارع طالعلك يا عدوي
حربنا حرب الشوارع طالعلك يا عدوي
يا جماهير يا جماهير الارض المحتلة
حربنا حرب الشوارع طالعلك يا عدوي
حربنا حرب الشوارع طالعلك يا عدوي

لذا نجد المنشدات وقد افدن من هذه الاناشيد وتم تحويل بعضها، او الاضافة عليها
كيفما يرون خدمة للفكرة التي يؤمن بها، فتكون مطالع هذه الاناشيد افتتاحيات
تضمينية لنصوص لها قيمتها ومكانتها الخاصة، لذا نرى العاطفة تتدفق عبر هذه
النصوص، تجاه الرموز التي تتفاعل معها المنشدات، كما فعلت المنشدات وقد جعلن من
مسمى جمال عبدالناصر حالة سرمدية خاصة، وتحجيم من يرونه مناهاضاً لعبدالناصر
من خلال النص الهادف:

غندرة مشي العرايس غندرة ولي ايحبك يا جمال يمشي ابغندرة
نزلوا الفدائية عا الضفة الغربية ضربوا دورية سموها امجنزرة
غندرة مشي العرايس غندرة ولي ايحبك يا ناصر يمشي ابغندرة
نزلوا الفدائية عا الضفة الغربية ضربوا دورية سموها امجنزرة
غندرة مشي العرايس غندرة ولي ما ايحبك جمال احط عا راس قندرة

وتردف النسوة بلحن تحفيزي صاحب، وبايقاع على الطبله له دوافعه وانفعالاته:
يا جمال عبدالناصر فرشول حرير يارايح على الثورة جبلي منومنديل
يا جمال عبدالناصر فرشولواورود يارايح على الثورة جبلي منوالنقود
يا جمال عبدالناصر فرشولوا عناب يارايح على الثورة جبلي منوجواب
يا جمال عبدالناصر فرشولوا دلال يارايح على الثورة جبلي منوحلال
عدوك في البحر لو كان راسي بخط العنكبوت ابينسحب

وتقول احدها:

طارت طيارة في الجو بينتلها صورة والعرب منصورين واليهود مكسورة
طارت طيارة في الجو رسمتلنا صورة والعرب منصورين واليهود مكسورة

وتعود النغمة من جديد بايقاع تفاعلي صاحب، يهدف إلى تشوير الحاضرين، مع ترداد مفردات لها وقعها في النفوس، مع تحوير خاص يخدم الفكرة التي يأملون تحقيقها:
ديروا النار ابها الخيام وحرقوا الكروت التموين
لا صلح ولا استسلام بدنا احنا انحرر فلسطين

ويقلن ايضا:

بدي اظني ماشي فرشتي والحافي
بيدي ورشاشي بدي اظني ما شي
فجرنا الثورة في الخمسة والستين
ثورة طلاب وعمال وفلاحين
حربنا حرب الشوارع والقنابل عالخصر
طقت عينك يا ديان الفدائية من مصر
حربنا حرب الشوارع والقنابل في الجيوب
طقت عينك يا ديان الفدائية في الجنوب
حربنا حرب الشوارع والقنابل في الكياس
طقت عينك يا ديان الفدائية باللباس
حربنا حرب الشوارع والقنابل للحروب
طقت عينك يا ديان الفدائية للمنون
حربنا حرب الشوارع والقنابل في الصدور
طقت عينك يا ديان الفدائية من الشمال
حربنا حرب الشوارع والقنابل للقتال
طقت عينك يا ديان الفدائية صاروا ابدور

وتتفاعل جموع النساء في الإيقاع، وتعلن الصبايا حبهن للفدائي، حيث لا شروط ولا مهور للزواج من الفدائي:

يما اعطيني الفدائي لنو بقرشين
نزل الارض المحتلة حامل مرتين
يما اعطيني الفدائي لنو ابش لن
نزل الارض المحتلة حامل كلاشن
يما اعطيني الفدائي لنو ابلاش
نزل الارض المحتلة حامل رشاش
يما اعطيني الفدائي ابخمس قروش
نزل الارض المحتلة وصل العريش
يما اعطيني الفدائي وراح الدلال
نزل الارض المحتلة ضد المحال
يما اعطيني الفدائي عايش في الهيش
نزل الارض المحتلة ضد الجيوش
يما اعطيني الفدائي ومهما صار
نزل الارض المحتلة ابعزم واصرار
يما اعطيني الفدائي من شان الدار
نزل الارض المحتلة يحمي الصغار
يما اعطيني الفدائي من شان الارض
نزل الارض المحتلة في يوم الارض
يما اعطيني الفدائي ما بدي مال
نزل الارض المحتلة ابعزم وثبات

وتقول احدهن معلنة الثبات على المبادئ، هازجة رافضة الاذلال والخنوع والتقولات المهينة تجاهها وزوجها:

قولي قولي يا سعاد بنت الاصول انا جوزي فدائي ما هو جاسوس
قولي قولي يا سعاد يابنت الناس انا جوزي فدائي اهل الاحساس
قولي قولي يا سعاد ولا اتهابي انا جوزي فدائي من عنابة
قولي قولي يا سعاد يا بنت الخير انا جوزي فدائي ما هوزنديق

ونجد للحراك الوطني اثره في النص الشعري الشعبي المغنى حتى تتضح الصورة بجلاء كاشف، فنسمع ما ترده النسوة في الأعراس تجاه الشواخص والمقدسات التي تهم الناس بتوجهاتهم المختلفة:

من حديد باب الاقصى من حديد
من رخام باب الاقصى من رخام
من ذهب باب الاقصى من ذهب
من فضة باب الاقصى من فضة
من نحاس باب الاقصى من نحاس
من قصدير باب الاقصى من قصدير

ما ايحرر الاقصى الا الشهيد
ما ايحرر الاقصى الا الصدام
ما ايحررك يا اقصى الا الشباب
لنحررك يا اقصى واتصير قصة
لنحررك يا اقصى وترفع الراس
لنحررك يا اقصى مهما يصير

وتسمع جموع الشباب يهتفون باقوال فاعلة تنم عن مواقف مؤكدة، وهي رفضهم للحلول
الاستسلامية التي كانت تطرح على الشعب الفلسطيني ابان اشتداد ساعد الثورة والثوار،
فياتي الرفض المدوي باعلى الاصوات:

احمي الثورة ابدمك احمي
هذة الثورة للملايين
للي جاعوا للي ضاعوا
للي تامل... لثكالي
للي سكنوا اخيام الذل
للي حملوا الجرح وثاروا
للي هبوا للي لبوا

واكسر ناب الجمل السلمي
للي شربوا الظلم اسنين
للي عريوا واللي التاعوا
للي ابسوق الظلم انباعوا
وللي حملوا ظلم الكل
للي فوق الجمر ساروا
للي علوا اسمك واسمي

احمي الثورة ابدمك احمي

وكذلك نسمع لوعة الالم نتيجة الخذلان المتجدد في النفوس لذا نسمع احدهم يقول:
يا ويالي مين بيحرر وطننا
ولا بد يوم ما يرجع وطننا
ويطربني النغم يا بوي بالعود
كريم الله عا الاوطان بنعود

يا ذكر بالملك شعشع وطننا
لو انجوم السما ابتسكب اطواب
نسدد لذنون الحرب بنعود
لو انجوم السما ابتسكب اطواب

وعندما بدأ الشباب بالسفر من أجل لقمة العيش وأشياء أخرى، صرنا نسمع من
النساء أحياناً مؤلمة تظهر ألم الفرقة والبعد:

سافر وخذني معك حذرك تخليني
لا اختك حنونة ولا امك تسليني
سافر وخذني معك بفطر على دقة
بصبر على الجوع ما بصبر على الفرقة
سافر وخذني معك بفطر على بيضة
بصبر على الجوع ما بصبر على الغيظة

سافر وخذني معك بالبحر غرقني
بصبر على الجوع ما بصبر تفارقني

وتقول أيضا:

من جد السفر لا اتسافروا في الليل
تطلع الشمس والعين تحق العين
وان جد السفر لا اتسافروا بدري
تا تطلع الشمس والعالم تدري

وتقول احدها عن تعبيرا عن الالم الذي تتركه الغربة في النفوس، وبالذات لدى النساء

اللواتي حرمن من معاشره الرجال الذين تغربوا طلبا للرزق ولم يعودوا لهن:

جمال امحمله وأجمال بتعن
وانا حملت بضاعتي وجيت اعن
كفاني اوعود يا ولفي كفاني
من بعد بعدك حضروا اهلي اكفاني
انا لابكي وبكي ابعاد واقرباب
متى يا ظعن الحباب تيجوا على الدار
شمالي يا هوى بلادتي شمالي
ونا لارافق الريح الشمالي
عا حرف الخاء خلوني وراهم
ياربي اتزيد في عمري تراهم
غريب وفي بلاد الناس بتعن
غريب وما حدا مني اشترى
هزلت وصرت من لحظك كفاني
ولك زورني قبل دخولي التراب
ومن دمع عيني لملي ظروف وقرباب
واجازي الي في غيبتنا اشطفى
على الي قلوبهم رحلت شمالي
ندا واسقط على قلوب الحباب
ومرة اصيح ومرة امشي وراهم
واحمدك خالقي حتى الممات

ويقول من احس بالغربة وهو في مهجره:

احنا اتغربنا وطالت غربتنا
وعند العشا جيبوا سيرتنا
يا طير طاير سلم عا احبابي
وان كنك يا طير بلغ جوابي
من راس الجبل لقاع الوادي
بلكي يسمعوا شباب بلادتي
ناري عليهم ناري عليهم
بالله يا قمر تضوي عليهم
يا اللي سافرتوا عا ابلاد ابعيدي
لطلب من الله العالي القدير
شباب اتغربوا وابعدوا ابعيدي
واتذكروننا يا جماعتنا
وعند المنا تفتقدونا
وانزل عا الارض بوس العتابي
لا عزك يا طير احسن ما ايكونا
نادي عليهم يا قلبي نادي
ويعودوا عا الاهل في فلسطينا
طالت الفرقة واشتقنا ليهم
هذولا احبابي كانوا اسلوننا
قلبي معاكم ويش طالع بيدي
نتهنى ابشوفتكم في فلسطينا
شلعوا قلبي ابكلاب حديد

دخلك ياربي العالبي القدير تجمع شملنا مع الجنونا
يا طير البرق يا طير البرق صرن العجايز يلعبن الخرقة
والله لقد وقميص الخنق واخلي الأرض تلعب دلعونا

وتقول مرودة أخرى:

ألا يا ديرتي خليت من أهلك متى نورد على مية منهلك
واحنا ما ننساكي ما نهلك وما نبدل بالذهب حبة تراب

وتقول:

امك اصيلة وخلفت سبع الفلا
الله ايخونك يا زمان قد خنتنا
غمزة عيونك علمتنا الولدنا
ظلي اذكرينا واذكري سهراتنا
يا ميحنا ياميحنا يا ميحنا
زهر البنفسج يا ربيع ابلادنا
غرد يا بلبل عا زيتون بلادنا
غرد يا بلبل والربيع اجا لينا

وتقول:

بالنار بالنار وانتوا الي كويتوني
بقيت قنديل وانتوا الي طفيتوني
يا موقد النار أوقدها وعليها
والنار ما ابترق الأ اللي يوطيها

وتقول أيضا:

يما يا يما ثوبي قد دتو
على حبيبي هلي دشرتو
حبيبي نايم لنام ابحدو
وخلي الارض تلعب دلعونا
على دلعونا على دلعنا
راحوا الحبايب ما ودعونا
يما يا يما لشلحلو اثيابي
وظموا في القلب دون الشباب
واكتب عا نفسي صك انتداب
وانت المستعمر يا اسمر اللونا

على دلعونا وعلى دلعونا
راحوا الحبايب ما ودعونا
يما يا يما لكتب سلامي
للي جنني دون الشباب
ولك يا الاسمروين انت تاجي
لظمك في العين وابوسك انا
لظمك في الروح وتبدا الدلعنا
لظمك في القلب ورودك انا

ونسلم أخرى ترود بإيقاعات شجية، يتداخل من خلال قولها الخاص والعام، فهي تبكي الذات لأنها تحب الوطن، وتبكي الوطن لأنها تحب الذات، وتسمع شاعر الرابطة محارب ذيب يغني (قصة ماريا ويوم السفر) ويبكي من حضر رجلا ونساء، لأنهم يتفاعلون مع النص، ويقدررون اثر وقع الكلمة على النفس مع لحن الرابطة الشجي، وكثيرة هي المرات التي طلب فيهن غناء قصة ماريا والناس يتفاعلون مع اللحن الشجي طريا وتمايلا مع مسح الدموع بواسطة اطراف كوفيات الرجال، ومناديل النساء:

غنت ماريا ابوت عا يوم السفر
ويا دمع عيني عن خدي حدر
وسيل في كانون يا غزر الرعود
والورد الاحمر امفتح عا الشجر
سيل في كانون يا غزر الرعود
والورد الاحمر امفتح عا الخدود
ومن قطف روس المباسم والنهود
وصام عن الزاد سطعشر شهر
وصام عن الزاد ما ذاق الغدا
والورد الاحمر امفتح عا النداء
اللي ما سافر جوزها يا المسعدا
وقلبها خالي من هموم السفر
يا ربي لوم اللي يلوم اللي انبلى
ويا دمع عيني للوسايد بللا
بقيت في زمانى بنت امد للا
والقلب مرتاح صافي من العكر
انا بدعي ع الجربو درب الخطير
من بعد الغنى انا اصبحت فقير
تمنيت حالي طير لي جنحان اطيير

واقطع فيافي البر مع شط البحر
ايا كاتب المكتوب لا تبعث سلام
طالت الغيبة علي يا حرام
لامين البس التقصيرة والحزام
لا خشاب البيت ولا للحجر
لا حجار البيت ولا للابواب
راح وخالني انا ابهم وعذاب
يارب صبرني على افراق الاحباب
مثل ما ايوب قلبي قد صبر
ردت علي الدار اوعي اوعي تلبسي
من غياب الشمس نامي وانعسي
اه يا يما بختي ما اتعسي
روحو الغياب انا جوزي ما حضر
يما بنام الليل انا قاعدة اقعود
والشعر الاشقر امهدل عا الخدود
يا من درا المحبوب علي يعود
طول علينا الزين والله بالسفر
انا نايمة بالليل بالتخت الهزاز
ومثل طفل ازغير ابيرضع عا البزاز
لا حرق جسمي انا ابنزين وكاز
ان روحو الغياب وجوزي ما حضر
نايمة بالليل وحدة باللحاف
والشعر الاشقر امهدف عا الاكتاف
بخاطري العشرة ولكني بخاف
يبوح بيا السر ويشيع الخبر
انا نايمة بالليل وحدي بالتخت
اخ يا يمة انا مالي بخت
لني بحريافا يا ناس كان انا انشفت
لني حجر صوان كان قلبي انكسر
سابق المركب سريع اركب تعال
هدية عندي ثلاث اربع اشكال
بخاطري يا زين جوزي بالوصال
سابق عليه ربنا لا ايطول السفر

فمثل هذا النص يجد قبولاً واسعاً من المتلقين، ويردده كثير من الناس، ان كان النص بمجمله او بجزئياته، لانه يحاكي شريحة واسعة من الذين اکتووا بنيران الغربية والبعاد، لذا ترى مدامع من يسمعه أو يردده مدراة، وتردف احداهن هازجة فتقول:

وأمسى المسا يا غريب واتقضت البواب
وصار الغريب يلتجي من باب لباب

وتقول:

قمت من ديرتي وامسيت دالة
وشعرك زي حبل الشمس دالي
ولو يوجد في ها الدنيا عدالة
ما كانوا ابعدوا عنا الحباب
نسوان بكيت خجل تاهت عن ادروبا
وشبان مثل النخل عا الجيش مسحوبا
تعوا تحلف لكم سورة على سورة
من افراقكو والنفس مكسورة

ومن قسوة الحكم هاجر الشباب لذا تسمعهم يقولون بأصوات ملؤها الشجن:

لما الكلب مرة حكم قلو الأسد يا بيبك
يا أحمر الناب والجلباب عبدك بين ايديك
خيل طردت خيل في وادي الصرار
ولي علمونا عا الحزن وحنا ازغار
ويا حسرتي طالت الغربية والعنا
وجوا الحشا بتظل تشعل نار
وياأتي صوت يجسد ألم البعاد:
أنا ابناحه وحببي ابغيرناحي
وعلى الفرقة حمام الدارناحي
وهلي ما ابينفعني وانا حي
اشو بدي فيه وأنا تحت التراب
محللى هوى بيتكم محللى قعودي فيه
ولولا هوى بنتكم ويش لي غرض فيه
ولو أن الهوى في اللحم لا قطعو وارميه
بس الهوى بالعظم ويش طالع بديا
طارت طيارة مدهونة ابزيتي
عيني في عينك ليش استحييتي
امك وابوك في قاع البيت

واشبدك من ابن الملعونا
على دلعونة على دلعونة سبالي قلبي اسمر اللونا
طارت طيارة مدهونة بصفر
عيني في عينك تمشي وتتمختر
امك وابوك قاعدين عا السفارة
واشبدك منو ابن الملعونة
على دلعونة على دلعونة سبتلي قلبي البنت المزيونا
طارت طيارة في السما تنشاف
عيني في عينك تسرع للفراش
امك وبوك من اكرم الناس
وشبدك منو ابن الملعونة
على دلعونة على دلعونة
سبتلي قلبي البنت الحنونا

وتقول احداهن:

ونا قاعد على الدرج ودموعنا مثل البرد
والحمد لله ياربي ما بعد الضيق الا الفرج
ليلة سعيدة والقمر على داري
كلو على شانك يا هاشم يا غالي

بعد ذلك تتقدم احداهن، وقد اثر فيها الايقاع وتريد ان تعيد اللحن الشجي، الذي كانت الاخباريات يرددنه فتقول:

إن جد السفر بالله اتخبروني
من تعب القدم يمشي على عيوني
إن جَدَّ السفر بالله اعلموا الحيات
من تعب القدم بمشي عالعوينات
ليش تتسافروا والتين على أمه
ليش ما ظليتوا تتوكلوا منه
ليش تتسافروا والتين حامل تين

ومنهم من يشتم بلادا بمسماها لانها اخذت الشباب وحرمت اهلهم منهم، كما هو الحال مع امريكا:

يا امريكا ملعون ابوك ملعون منعت الشباب ادق على اليرغون
يا اميركا ملعون ابو اصحابك علمت الشباب ادق على ابوابك

يا امريكا ملعون ابو اهاليك طمعت الشباب ابكثرة مصاريك

وتردفا احداهن والالهم يعترضها :

هاتوا هيا يارجال مصاري للاستقبال
يا مرة مفيش فلوس قالت طلقني في الحال
يا بتسافر عا الكويت يا اما ابترعى العجال
وهاتوا هيا يا رجال مصاري للاستقبال
يا مرة مفيش افلوس قالت طلقني في الحال
يا بتسافر عا الكويت يا اما ابترعى العجال
اذا عا العيشة موش قادر هيا طلقني في الحال
وصرت اهذي مع فقري وصرت ارود لو في الحال
يا مرة واعذريني البست الحطة بلا اعقال
يا مرة واعذريني البست الحذا بال اجراب
يا مرة واعذريني ما عندي اشترى هندام
مظللش اشى في الدار غير المنجل والغريال
يا بتسافر عا الكويت يا اما ابترعى العجال
مظللش اشى في البيت غير المنجل والجاكيت
يا بتسافر عا الكويت يا اما ابترعى العجال
كيف بدى اطلع على السوق جوز الجرايين مخزوق
وانت راجل بلا ذوق حول طلقني بالرجال
كيف بدى اطلع الشارع ورمان صدري دالع
واليوم ما عندك مانع حول طلقني في الحال
يا مرة اشو جرائك المصاري ملا اجيابك
مالي ابحضرة جنابك كل يوم بوخذلي غزال

وتقول ايضا :

لبسوني جاكيت شلحوني جاكيت	في شوارع الكويت سلمولي عليه
لبسوني ذهبان شلحوني ذهبان	في شوارع عمان سلمولي عليه
لبسوني مريول شلحوني مريول	في باحات القصور سلمولي عليه
لبسوني فضة شلحوني قضة	في شوارع رام الله سلمولي عليه
لبسوني منديل شلحوني منديل	في شوارع باريس سلمولي عليه
لبسوني الماز شلحوني الماز	في شوارع لبنان سلمولي عليه
لبسوني حلق شلحوني حلق	في دارك يا غبق سلمولي عليه

لبسوني حرير شلحوني حرير
 شلحوني ذهب لبسوني ذهب
 شلحوني ذهبان لبسوني ذهبان
 شلحوني نجوم لبسوني نجوم
 شلحوني فضة لبسوني فضة
 شلحوني أوراق لبسوني أوراق

في شوارع تل ابيب سلمولي عليه
 في شوارع حلب سلموا لي عليه
 في شوارع لبنان سلموا لي عليه
 في شوارع هدروس سلموا لي عليه
 في شوارع بو عبدالله سلموا لي عليه
 في شوارع العراق سلموا لي عليه

لذا تسمعها تردد والدموع على الوجنتين، يشاركها من حولها من النساء كل منهن حسب مصابها، وهمومها، ومثل ذلك يرينا مدى الالم الذي ينتاب النساء اللوات يتغرب عنهن ازواجهن، وتوضيح العلاقة النفسية بين الزوجة وحماتها التي تعد عليها الانفاس والحركات والتصرفات، لذا نراها تتالم بحرقه وعذاب متداخلين، فتقول:

يما مابدي الكويت ابتبعد عني خلاني
 يما مابدي الكويت على افراق اشو باكيث
 والله لامزع الجاكيث وقددل الفستان
 وما بعثلي برقية اقلي ابتيجي عليي
 لاوقع في اكبر بالية وكسرلو الخزانة
 راح اخلاني ما ايجوز وخلا عندي هل العجوز
 يوم انها بدلي البوز ابتصبح مثل السعداني
 بشوفوا في المنامات وبسهر مع الغنمات
 ويبعث ليينا سلامات وببقى وحدي سهراني
 يما مابدي الكويت ابتبعد عني هل الخلان
 من المغرب للصبح صوته اسهرني الولهان
 يما مابدي الكويت ابتبعد عني احبابي
 يتراوالي طول الليل بين اسطر القران
 يما مابدي الكويت احرممني الوسادة
 دايمن سهران طول الليل اعد النجم وحداني
 يما مابدي الكويت لياليها طويلة
 مهما جابوا دولارات ظلت روعي تعباني
 مهما جابوا دولارات نفسي ظلت تعباني

وتقول احداهن:

على دلعوننا على البيادر لبسوه روزا وقميصو شادر

على دلعونة خمسة في ستة لبسوه روزا وما عندو فتة
يا ربي أطلع ياربي أطلع قاعد في خشة والباب امخلع
ياربي أطلع على الفقرية ورمي عليهم ورقة المية
يا ربي أطلع ياربي واجي لبسوه روزا وداير فراجي
يا ربي أطلع ياربي لفت لبسوه روزا وقميصو إمزق

وتسمع اخرى تردد صوتا شجيا يظهر مدى الالم الذي تصنعه الغربة فتقول:

نزل دمعي على خدي ثلاثة على الي سافروا يوم الثلاثة
ونا لعن عني فوق عني على الي ابعد المحبوب عني
كذب من قال خيي مثل بيبي مثل الاب ما ايدل حدا
ونا لعن عنات المنادي على المحبوب قليبي بنادي
ولك يا زين لقعدهك ونادي قبل ما انكون سافروا الاحباب
دارن لمت الشباب محلا الرقص جواها
يومن ترجع يا هاشم لحنى كل ابوابها
دارن لمت الشباب يا محلا الرقص فيها
يومن ترجع يا هاشم لحنى كل من فيها
رحل خيي ما اعلمني ولا يوم ذبل وردي ما فتح ولا يوم
الله لا ايھنيھم ولا يوم الي كانوا سبب افراقنا
ظليت اقاسي في هموم الدنيا ظليت
اه من عقر الدنيا ولما واسقتني كاس حنظلها ولما
كل ما جيت الايمها ولما اسقتني كاس امر من العذاب
ونا لدق صابر فوق صابر وقلبي على فراق الوطن صابر
وقلي يا قليبي كيف صابر صبرت وما صبر مثلك حدا

وتقول احداهن:

شفتو على البير بيصيد عصافيري يا جيزة الفقير غلبت التقادير
شفت على البركة بينوح وبيبكي يا جيزة الشركة ماكانت على بالي

وينشد الشاعر محارب ذيب بصوته الرخيم، وعزف ربابته الماتع قصة قالها على لسان
احد المغتربين الذي كان يطمح ان تزهو له الدنيا في غربته، الا انه لم يتحقق له ذلك فعاد
منكسر الوجدان، مجروح الروح معذبا في روحه ونفسه:..

فكرت اهجر دارنا واقعد سنة
وفكرت في ها الغيبة عم ارجع غني

هجرت بيتي يا خيي عشر سنين
ورزحت عا باب اهلي انحني
قال وجدت ابوي منحني اصار ظرير
وامي اخذها الموت عا ثاني دني
بيتنا خريان ما فشي حصير
والسعد مات ابيتنا واعمر سنة
قال بعد الدلال امجوزي اختي فقير
ومن اولادها الهم قلبها منطني
اعايشي في هل الغيبة عا خبز الشعير
الرحمتها من ثوب بالي امبيني
بتحط ابويي محلها جنب السرير
ترجع على اشغال بيتها تعتني
اخيي الي كان في المدرسة صاير اجير
امحروم من شم الهوى اشوف الدني
حالتو بالويل يشبه للاسير
ابعد الدلال حاكمينو الولدني
قلت وين اهل الشرف واهل الظمير
اليوم لازم يعرفوني مين انا
فكرت في مشروع موضوع كبير
اخليت عيني للجهد امكوني
قلت بلكي الي انعمى بصبح بصير
اجديت حيلي ابدي اجد واعتني

ونسلم من يقصد ويبكي على الحال الذي الت اليه الناس من بعد عز عاشوه، وحياة
كريمة حرموا منها:

يا بيتنا المبني على التل	قل لي حبيبي ان كان غيري حل
يا بيتناها الغربية ذلتنا	وجسم الزمن بالويل ويلى حل
يا بيتنا يا الدافع بعهد الثمن	يا امعائق الايام ومداري الزمن
لو كنت عنتر بعد ما ضاع الشرف	كل السيادة اتكون عا ارض الوطن

ويقول اخر:

لضوا البارودي بيشرشف هندي
وليش البارودي حطوها عندي
ودخلك يا قاضي كامل افندي

اتخلصنا من إلهي بدهن يهفونا

وتسمع من يقول:

علينا طيور هذي الارض ناحت وايات المجد عنا كثير ناحت
والك يا ابلادنا تمثال ناحت بقلبي اتحدد كل الاعصاب
اهل الدار بنو للدار قصة وحبال الي صفها الجد قصة
لارض بلادنا بالمجد قصة اذا تليت عاصم الصخر ذاب
جتنا يهود الارض تقصد السكن ايام
ملكتم صروح لنا عامات نبنيها
هذي مسائل عبث ترفع لها احكام
وبعد دماء العرب الجسم جاريها
هتله طردهم وقصده ايطهر الالمان
من قوم انجاس كل الخلق تهجها
يا بني اسرائيل ابشروا بالذل والخسران
العرب عن حقها لا شيء يثنيها
انتم حاجاتكم تنقضي على النسوان
والعرب حاجاتها بالسيف تقضيها^(٥١)

ويقول الشاعر نوح ابراهيم مؤكدا على عروبة فلسطين وقضيتها، وعلى اللحمة الانسانية والشعبية بين ابناءها، اذ لا فرقة بين ابناء الشعب بسبب الاختلاف العقائدي، وانما اللحمة هي السائدة، والمودة بين الناس هي القائمة، لأن المجتمع العربي الفلسطيني من الشعوب المتألفة والمتجانسة اجتماعيا إلى حد بعيد، وان وجدت بعض الاعراق والاصول الوافدة في المجتمع، الا انهم ذابوا وانصهروا في المجتمع الفلسطيني، كل يكمل الاخر، فلم تحدث في فلسطين مشكلات او صدامات بسبب اصول الناس ومشاريهم، وانما الحياة تحتضن الجميع دون تمايز يذكر، لذا نجد ذلك واضحا ومجسدا في الادب بشقيه (الشعبي والفصيح)، إذ سارت هذه الامور على وتيرتها المعهودة حتى حدوث الزلزال السياسي المتمثل في اعلان دولة الاغتصاب، وسيطرة الحركة الصهيونية على مقاليد الحكم في فلسطين، وتم ذلك بعد تخاذل القوات البريطانية المنتدبة لفلسطين، عن مواجهة الحركة الصهيونية وتنظيماتها المسلحة، ما ادى إلى تهجير مئات الالوف من الفلسطينيين العرب اصحاب الارض الشرعيين والحقيقيين، اذ اصبحوا لاجئين بالمقاييس كلها منذ الغدر المتجدد إلى ان تتم عملية التحرير الانساني للارض والانسان معا، لذا نجد الادب يفعل هذا الامر، ويجسد القيمة الانسانية للارض واصحابها على حد سواء:

يا قوم يا اهل العروبة ارفعوا الاعلام
من فوق ارض العرب من كل ناحيتها

راية بني عيسى تالف راية الاسلام
الاوطان واجب من الاغراب نحميها
ياغرب نحن عرب من نسل قحطان
تاريخنا يعلمك احوال ماضيها

ويقول:

العمر سوا عايشين ما ايضرقنا ملة ودين
السوريين والمصريين والعراق وفلسطين
للوحدة العربية ساعيين واتحادهم قوي ومنيع
الدين والمذهب لله اما الوطن للجميع
راية راية عربية من اسلام ومسيحية
غايتنا وحدة قومية ومطلبنا مجد وحرية
وكلنا صافيين النية واتحادنا قوي ومنيع
الدين والمذهب لله اما الوطن للجميع^(٥٢)

ويقول اخر:

يا ظلام: أفكار الناس ما ابتنربط بالمراس
ليش تسافروا شباب يا حلوين^(٥٠)

إن هذه النصوص ومثيلاتها ترينا مدى التفاعل الشعبي مع الحدث الإنساني الذي أَلَمَّ بالوطن، وكانت نتائجه سلبية على الوطن والمواطن بكل ما تعنيه السلبية من أمور، لذا نجد النصوص تحاول خلق حالة من التماسك الاجتماعي والتفاعل الإنساني حتى تتحقق الأهداف المعلنة والمرجوة للشعب والأمة، لأن الأدب يفعل الحياة، ويجعلها مطواعة له، كما تفعل الحياة الأدب وتجعله منارة يستضاء بها، لأنه أي الادب يلون الحياة كما تتلون النفس بالايجابيات، وهكذا تستمر حالات الدوران في الحياة .

وأما ما يخص الأمور التربوية والوعظية، فلم يغفلها الأدب المحكي، وإنما جسدها وأعطاهها مكانتها في القول والفعل على حد سواء، لذا نجد الشاعر محارب ذيب قد نظم قصيدة مليئة بالحكم والقيم التربوية الأنسانية، أوصلها للناس دون اسفاف أو عناء، من خلال لحن ايقاعي خاص به، وقد لقيت رواجاً فاعلا دون تنميق، لأنها تحاكي قيما تربوية انسانية، دون النظر إلى مكانة المخاطب أو المتلقي، لأن القيم تكون شاخصة في الأذهان تحتاج إلى من يميظ اللثام عنها، أو يزيح الغبار ويجعلها في متناول المريدين بعد تفعيلها:

أذكر النبي بخزي لعين ابليس
أشوفوا معانيها مع التشخيص
ومن خاض بحر بالغرام وغيص

قال: ولا يكسب الا من يصلي على النبي
ألا يا سامعين القول أصغوا لقصتي
على الألف ألفت المعاني لطالبه

أداوم عينك دوم بالتحميم
أمن غير ما يقولوا افلان خسيس
لو اتحلفه عنده اليمين ارخيص
الطبع تحت الروح بالتخصيص
وحافظ على التزويد والتنقيص
أبخليك ما بين الرجال رخيص
ولا يجحد الجيران الا ابليس
أحيا كلام الغانمين النفيس
اظحك ابوجهو لا اتكون عبيس
ولهذال مثل الشوك لما يبليس
أبالخير ما هو بيه كلام ابخيس
أحافظ على عرضك من التنديس
أخذ ما استطعت من الأنام جليس
أبمحص ذنوبك هو غدا تمحيص
تشعل على الأخضر مع اليبليس
أعمر الفتى بعد الشباب خسيس
أبقيناع خير ونلعب البرجيس
أحافظ على جسمك من التنديس
تري الهم متلبس بها تلبيس
أخليك صلب امن الرجال حريص
أفي الليل بسري أفي النهار ابليس
أخرب البلاد العامرة التخبيص
رحنا قطايح والمليح احبيس
أخليك من مكر الرجال حريص
مثل الحصيني دايمن بليص
أعمرك بعشرتهم ايروح انقيص
أطب الجسم بالحفظ والتدريس
ما ظنش ميزان الحساب خسيس
أبعد الصعود بنزلك تنقيص
أغفار زلات الصديق أنيس
يعطوا الكحيلة والمهرة والسييس
وتقول ايده امخيطه اب مصيص
امن لفراق صار العمر تعيس
أ لنشاف جوده حل باب الكيس

الباء برك لا اتبطل لبذله
ألا يا ناس درب البخل عار على الفتى
التاء لا تأمن على المال خاين
أردي الخصايل ما بدشر خصايله
الثاء ثبت لك لفظ تمنعك من الزلل
بلا شك أن الفشر عار على الفتى
الجييم جارك لا تجافيه وتجحدا
وصى النبي عا الجار من عهد ادم
الحاء حبيي الظيف لن جاك زاير
الجواد بزهو مثل الورد ع الندى
الخاء خلي الناس تذكر خصايلك
عرض الفتى مثل القزاز اذا انشعر
الذال داري الناس تأمن شرورهم
الذال ذل النفس لله وحده
النفس مثل النار لنهبها الهوى
الراء راح العمر وللى وانقضى
ألا يا خال أيام الصبا يا حالاتها
والزاي زود النفس امن الخير واجتنب
ان شارت عليك النفس بالخير يا
فتى السين سيفك لا يفارق اوسادتك
تري عدوك ما بدشر عداوته
الشين أهل الشور عمرت ابلادهم
احنا اللي من يوم كثروا شوارنا
الصاد صون السر عن ساير الملا
لا اتأمن الغدار امن الناس تندم
الضاد ظليلين العقول المعارة
الطاء طب الجسم بالخير يا فتى
الله بحصي للخلايق أعمالهم
الظاء لا تظلم تری الله يظلمك
خاسر رجل عزام جزام عالصبا
العين عادات الجواد النفايل
أما ردي الخال يلعن اطبايعه
الغين غربتنا في البلاد كلها
الفاء فيهم مثل لجواد بالسحا

صبرنا كما صبرت سواد العيس
ترى الصبح ظلماً والليل دمس
أرزقك من الدنيا كفن وقميص
لازم تسكن في اللحود جليس
وتكون سيد على الكون رئيس
أنظر إلى يعقوب وخوه العيس
أيعقوب جاب السبط بالنفيس
أمن الشوق كأني لسبع قريص
ولن نمت بشوفهم ب لحلام هجيس
على ظهر سلطان لطبور خصيص
أمن عهد سيدنا الأمام ادريس
أمن بعدنا اصحوا الكلام ايخيس
ولنا في ابلادنا تنكيس
صلوا على من شرف الأرض لكروم

القاف قلنا الصبر يشفي امن الالم
من يأمن الدنيا ايذوق مرارها
الكاف كون اب قسمة الله مرتظي
لو انك تملك ألف مليون امن الذهب
اللام لم الشمل أحلى امن الذهب
الميم من لا يتقي الله يندم
العيس جاب ال بده دريه على الشقى
النون نار الوجد حرقت ظمايري
ان كنت أنا جالس براعي خيالهم
الهاء هداك الله خذلي هل سالفه
النسر على شيل الرسايل امجرب
الواو وديها على ديرة أهلنا
الياء يا رحمان افرج اهمومنا
ان كان أخطينا أصلي على النبي

ما تقدم يرينا أن الأدب تداخلت قيمه مع عنوانات الحياة المختلفة، فلم يبق مدخل فيها الا والأدب زينه بما يستشعره الأديب، أو خطط نظمها بم يتفق وانسجام الروح والفكر معها، فيكون النماء الفكري والصراعات الفكرية والعقدية لها مساس بالحياة هي الأخرى، لذا نجد ما يمس الفكر ويعرف الناس بالأيديولوجيا قد جسده النص الشعري الشعبي، وتناقله الناس فيما يتناقله من أقوال ما يمايزه عن غيره من الأشياء، وهذا يعني ان الأيديولوجيا اثرت في النص الشعري، كما نجد النص الشعري يحمل الأيديولوجيا ويوصلها إلى نفوس الناس وعقولهم، لذا نجد بعض الشعراء المؤدلجين يقرون باهمية الفكر، ويفعلون ذلك في نصوصهم كما فعل راجح السلفيتي وغيره، عندما تغنى بذكرى عيد العمال العالمي وما تحمله من دلالات متعددة:

العامل ابدمو صانو	عيد الاول من ايار
كل واحد يعلا حصانو	نادى عنا كل الشعار
وكل من الو اوزانو	نغم الزجل ما هوكار
قليل تا يعثر لسانو	ها السلفيتي ها اختيار
ويهديكم من وجدانو	بحييكو اكبازوزغار
العامل بدمو صانو	مرحب باول ايار
والوحدة في احضانو	طل علينا دار بدار

ويقول قولاً يقر فيه مشاعره وافكاره دون تنميق وخوف:

اسلح الوحدة امضى سلاح	اسمع مني يا غالي
عيد العامل والفلاح	عيد الايدي الشغالي
من عمال وعمالات	في جميع المجالات
هالزئود المفتولات	وخلي الراية في العالي
الايدي العمالية	بكل الكرة الارضية
ضد هالراسمالية	تانقضي عالراسمالي
دفع الاجرة والاجور	في ايدي اهل القصور
مابدي العيشة في قصور	فخمة مع العاللي
بكرة نوخذ حق الاكواخ	من ابو القصر العالي
عمالك يا كضرعين	في اول العاملين
من سنة ولا سنتين	مارضيو بها الحاللي

ويقول ايضا:

نؤيدكم في الميادين	عا اسرائيل اللعينة
قل لشراذم الاحباط	والاحقاد الدفينة
اعلنا في عشرة شباط	حزب شيوعي فلسطيني

ويقول مظهرا الاعجاب على لسان المرأة المنخرطة في الفكر الشيوعي تدافع عن من يؤمن بأفكارها، من خلال عملية الأقتران بشريك يؤمن بالأفكار والقيم ذاتها، اي ان العملية تبادلية، اذ لا فرق بين الذكر والانثى في عملية الانتماء الفكري، واختيار الشريك الذي يفعل القيم عن قناعات تبادلية وليست تجميلية، فالشاعر هنا يجسد صورة المرأة الباحثة عن المناددة، ويتعاطف مع ما يرينا أنه يصبغ عليها من نفسه المتجاوبة مع الحدث، والمؤمنة بالقيم ذاتها التي يؤمن بها الشاعر نفسه، فيقول:.

قالت يا بما لو تدري مين الي عاجبني
اللي انبهني بدري ويظل اراقبني
يسايرني ويحفظ لي قدري بس احاسبني
هو لينيني في الفكر ودمو فلسطيني

نظن ان مثل هذا الامر اقحام في الفن الشعبي، وفيه تجميل وتجميل للفكرة التي يدافع عنها، وان جاءت بصورة باهتة لا تلقائية فيها، اي ان الصناعة اللفظية هي المسيطرة، لما تحمله افكار الشاعر الشعبي من اشياء بعيدة عن البيئة والثقافة والعادات والتقاليد والاهم من ذلك التباين العقدي بين الناس والشاعر الذي يصحح لينتصر لفكرته، اكثر

من التلقائية المعهودة في الفنون القولية الشعبية. ولم يكتف بما جاء به من ترويج للفكر اللينيني، وإنما نراه يستكمل العروة حتى يجسد ما تبقى من صورة يحملها، فتأتي صورة ماركس إلى جانب الصورة اللينينية تحملاً استبطانات النفس للمنشئين أكثر من المتلقين، لأن المنشئ هو من يبحث عن هذه الأفكار التي يراها صالحة كي يضمنها في الموروث القولي الشعبي، أو تكون الأهازيج الشعبية أداة توصيل لهذه الأفكار أكثر منها أداة خاصة تفاعلية، لأن ما يتناقله العامة يكون أكثر فاعلية في الحياة، وأقرب إلى مفاهيم الناس وقيمهم، وإن خالفت تلك الأشياء معتقداتهم، فما يستسيغه المجتمع بكلياته يبقى مختمراً في الفكر والذاكرة، وتردده الألسن وتصدح به الحناجر، حتى يصبح مادة يومية من اليسر والسهولة الحفاظ عليه وتفعيله في الحياة بشكل عام، أما ما يكون بعيداً عن قيم الناس وعقائدها وثقافتها لا نجد يعيش بديمومة ولا بتنام مهما قل أو أكثر مروجوه، لأن عملية الترويج هنا تكون مقصودة وليست تلقائية، لأن التلقائية تنبع من حياة الناس البسطاء غير المؤدلجين، لذا نجد بعض الشعراء الشعبيين يقحمون أفكارهم في نصوصهم، ما يجعل النصوص مثقلة بالفكرة، ولا نتلمس فيها المشاعر الفياضة، أو الحميمية التي تمتاز بها كثير من الفنون القولية الشعبية، وهذا ما نتلمسه في نصوص راجح السلفيتي على وجه الخصوص:

شعار المنجل والشاكوش	شعار الماركسية
شعار تقويض العروش	بين صباح وامسية
بين العامل والصلاح	اشهرنا كل السلاح
يا ترومان لا تزيد انباح	النصر للشوعية
بيفن عا الملايو يصيح	يصرخ لربو المسيح
الشعوب عم بتصيح	اخرج من اسيا الشرقية

على الرغم من نبل بعض القيم التي تشغل بال السلفيتي، إلا أنه ينطبق عليه القول الماثور (يحج والناس عائدون)، كما نراه يمجّد كثيراً من الأعمال والمسميات، وهذا ما هو إلا هاجس يحدو أصحاب الرؤى التي يرونها قريبة من افقهم المستنير بقيم قد تحمل قيمة ايجابية، إلا أنها لا تطبق في أرض الواقع، وهكذا نرى الأفكار الهجينة والألحان المصطنعة، لأن ما يأتي به السلفيتي وأقرانه يحتاج إلى بيئات مختلفة، وشعوب قد خبرت الصراعات العقديّة والأيدولوجية، لا شعوب مثقلة بالهموم والتسلط وكل همهما البحث عن لقمة العيش، لأن نخبها أقلست منذ زمن بعيد حيث الانتهازية والتسلقية والنفعية هي من تسيطر على مقدرات الناس، إذ لم يبق للفكر وجود في الحياة، لأن الفكر التربوي معطل أو مشوه، والفكر السياسي مغيب لا يستعمل إلا عندما يلبي مصالح النخب المطعونة من ذاتها وفي مقدراتها وقيمها، أو نرى من تربي على بعض الأفكار والقيم التربوية والفكرية، غدا يقود النفعيين، ويستنفع أكثر من غيره، ويعيد عجلة الحياة إلى الصراعات الأسرية والعشائرية والقبلية والمناطيقية والشلمية، فتكون النظم السياسيّة أوهى من خيط العنكبوت

إذا انسحب، ويصبح الانسان رخيصة، سهل القيادة سريع الانحراف، ما يرينا خصوصا باهتة
كما الذين يطالبون بحياة باهتة، وهذا لا يعني ان السلفيتي كان باهتا في مسعاه، وانما
نجد نضه مصطنعا لا يعبر عن حقيقة الناس سلبا أو ايجابا، فنسمعه يقول:.

بكفوف تعجن الحديد	راح نبني عالمنا الجديد
ونرسم خطى الغد السعيد	عا وهج نار امشعللي
يا فلاحين يا عمال	هبو سوية للنضال
تا نقضي عا الاستغلال	وعهد الجشع والاسملي
اتحدوا يا سمر الزنود	وللمعركة كونوا الوقود
ما ابتخسروا غير القيود	والريح دنيا كاملة
اقدام يا خيي في الشقا	نعزف سوا لحن البقا
انت ابهدير المطرقا	وانا برنين المنجلي

فمثل هذه النصوص ترينا الاثر الفاعل للايدولوجيا والفكر بانماطهما المختلفة على
النص القولي الشعبي، لذا لم يزل بعض الفنانين يحمل في نفسه انماطا من الحنين لما
خلا من سنوات حملت في طياتها كثيرا من الاشياء، ويعتقد اهمية هذا الحنين المتجدد
الا انها نوازع انسان قد تتجدد وقد لا نجد فيها بعضا من حياة، اي تبقى حبيسة الذاكرة،
علما ان الاغاني الشعبية المرتبطة بالمد الشيوعي او تاخذ المنحى التفكري للفكر المادي
لم يعد الناس يتغنون بها، او يرددونها لأن بريقتها خفت بل وانعدم من حياة الناس، وان
وجدت الصدى العميق في عقدي السبعينيات والثمانينيات، اما الان فما هي الا ذكرى
تبقى حبيسة الذاكرة والوجدان، بمعنى لم يعد لها مروجون ولا متفاعلون ولا حتى شعراء
منشؤون، لان عجلة الزمان استدارت ولم تعد إلى الوراء، فقل للزمان ارجع يا زمان !!!!!! .

الخاتمة:

بعد أن شخّصت الدراسة في النور، وبعد التمعن في النصوص القولية الشعبية المغناة، يتضح للباحث، أن الفنون الشعبية القولية في فلسطين فنون أصيلة نابعة من هم الشعب، ومقومات الأمة الثقافية والفكرية، وهي متعددة بتعدد الموضوعات الأصيلة التي قيلت فيها وبها؛ ما يعني أننا تعرفنا بنصوص تظهر حالة من الفرح والتجاوب مع الحياة في مناسبات متعددة، بدءاً من مراحل الطفولة المبكرة وفنونها القولية إلى الختان والزواج والحناء والسياسة والحصاد والعمل، وغير ذلك من فنون احتفى بها الناس بعدما شخّصت حياتهم وفعلتها إلى حد بعيد.

إلا أن هذه النصوص بكل ما تحمله من قيم وإبداعات متعددة، لم تعد موجودة أو مفعلة في الحياة، وإنما نجدها حبيسة ذاكرة أجيال عاشتها، أو حبيسة صفحات سودتها أيدي الباحثين والدارسين. أما تفعيلها في الحياة فبدا يتلاشى؛ لأن عملية الإحلال المقصود ضيقت ما صنّعه الأجيال السابقة من فنون قولية وغيرها، فما عادت الأفراح هي الأفراح التي كانت تقام قبل سنوات ليست طويلة، ومظاهر الزواج والحناء والخطوبة، وغيرها من طقوس بدأت تتلاشى، ولم يبق منها سوى الرمزية فقط؛ فما كان يغنى للأطفال -مثلاً- لم يعد مفعلاً؛ لأنه حل محله المسلسلات الوافدة والبرامج المعدة خصيصاً للأطفال، وكذلك الأغاني في أيام الخطوبة والكسوة والحناء والزفاف لم تعد مفعلة كما كانت؛ لأن ما يسمى بالأغاني الحديثة تسد مسد تلك الفنون التي ولدت من رحم الأمة والجماهير؛ لأن البرامج المعدة للصغار والكبار على حد سواء تصل إلى الناس بوسائل شتى أهمها وأكثرها تأثيراً الشاشة الفضائية وشبكة المعلومات العنكبوتية، والكوابل المحورية طمست كثيراً من معالم التراث القولي للفنون القولية الشعبية، بهذا يكون الشعب قد خسر أحد مقوماته الثقافية، ألا وهو الثقافة الشعبية، وحل محلها البديل السلبي الذي ينتزع الطفولة من عوالمها وثقافتها ومحيطها العربي والإسلامي، ويوصلهم إلى مرحلة من الانغماس في الثقافة الوافدة المعدة والمصنعة لمثل الدور الذي أنيط بها؛ لذا يرى الباحث أن لا بد من الحفاظ على الموروث الثقافي العربي في فلسطين، ووجوب تفعيله في الحياة، وتقديمه بصورة إنسانية إيجابية، وتنميته حتى يستطيع مقاومة الثقافات الوافدة والهادفة إلى تدمير البنى والرؤى عند الشعب العربي الفلسطيني، إن كان ذلك مقصوداً أو غير مقصود؛ لأن الثقافة النابعة من رحم الشعب والأمة تستطيع الثبات، ويستطيع أبنائها تفعيلها في الحياة، بينما الثقافة الوافدة والمصنعة حسب منطلقات العولمة الكلية لا تبني مجتمعات سوية، وإنما تهدم ما بني من نظم ومثل وقيم على مر العصور، لإحلال قيم مصنعة تصنعها أدوات النظم المسيطرة على الاقتصاد والثقافة وموارد الحياة الأخرى.

لذا نقول إن الثقافة الشعبية في فلسطين في طريقها إلى الزوال أو الاضمحلال والركود؛ لأنها لم تعد مفعلة في الحياة كما كانت، ولأنها تقع بين مطرقة المنافسة للثقافة الوافدة، وسندان الإهمال لعوامل متعددة، إن كان ذلك مقصودا أو غير مقصود؛ فالفنون الهابطة هي التي تسمَع للناس وتجد الترويج الإعلامي بكل أنماطه المختلفة، وتلك الفنون تعيش مع الناس إن أحبها بعضهم أو كرهها الآخرون؛ إذ لم يعد الفن الملتزم - إن كان شعبيا أو غير شعبي- فاعلا ومفعلا في الحياة، وإن حاول بعض المغنين إحياء بعض الألحان التراثية، أو الأصوات التراثية. إلا أن ذلك لا يكفي ولا يفي بالغرض؛ لأنهم -في كثير من الأحيان- يدخلون الموسيقى الصاخبة مع الأداء السيء؛ ما يعني تفتيت أو اصر اللقيا مع النص الشعبي أو غير الشعبي ما دامت الفنون الهابطة هي المروج لها والممولة والمصنعة والموجهة حتى تحل محل الفنون التي تحمل الإرث الإنساني الإيجابي، لأن هذا الارث وغيره من الثوابت هي من اسس الضمان الفاعل لابقاء التواصل والتفاعل مع الحياة مستمرين، ما يعني الوضوح التام في الفلسفات البناءة التي يحاول الهدامون هدمها او تحييدها وتجميد العمل بها في ابسط معايير المكيدة.

الهوامش

١. عبد القادر فيدوح، أغاني أطفال البحرين الشعبية، دراسة في التأسيس والتأصيل، مجلة الثقافة الشعبية، فصلية علمية متخصصة، العدد الثاني، ٢٠٠٨م، البحرين. ص ٨٦ وما بعدها.
٢. سيمون ديورينج، الثقافة الشعبية والعولمة، الثقافة العلمية، ترجمة غادة سعيد الحلواني العدد/٩٣/ مارس ابريل، ١٩٩٩م، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، الكويت ص ٣٢.
٣. المصدر نفسه، ص ٣٥.
٤. المصدر نفسه، ص ٤٩.
٥. فيصل دراج، الثقافة الوطنية والثقافة التابعة، من كتاب الشعبية الثقافية: مفاهيم وأبعاد، دار الأمين للنشر والتوزيع، ط ١، ١٩٩٩، جمهورية مصر العربية، ص ٤٥.
٦. أحمد أبو زيد، هوية الثقافة العربية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، عام ٢٠٠٤م. ص ٦/٥
٧. زينب حسن، الفلكلور الفلسطيني في بعده العربي، صامد الاقتصادي، العدد (١٤٢) السنة (٢٧) تشرين الأول. تشرين الثاني، كانون الأول، (٢٠٠٥)، ص ٣٢.
٨. فوزي العنتيل، الفلكلور ما هو؟ القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٥م، ص ٣٦.
٩. السيد حافظ الأسود، التراث الشفاهي ودراسة الشخصية القومية، عالم الفكر، القاهرة، مجلد (١١٦) العدد الأول، ١٩٨٥م، ص ٢٧١-٢٩٤.
١٠. الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، المجلد الرابع، بيروت ١٩٩٠م، ينظر فيكتور، سحاب الحياة الشعبية في فلسطين، ص ٦٨٢.
١١. سليم عرفات المبيض، ملامح الشخصية الفلسطينية في أمثالها الشعبية، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠م، ص ٢٨.
١٢. عبدالهادي عباس، المرأة والأسرة في حضارات الشعوب وأنظمتها، ج ٣، ط ١، دمشق ١٩٨٧ م ص ٥٤
١٣. خليل حسونة، الفلكلور الفلسطيني دلالات وملامح، المؤسسة الفلسطينية للإرشاد القومي، ٢٠٠٣م ص ٣٨٧
١٤. احمد رشدي صالح، الادب الشعبي، ط ٣، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧١، ص ٢٢٣
١٥. جميل السلحوت ومحمد سالم شحادة، صور من الأدب الشعبي الفلسطيني، منشورات الرواد، القدس، ١٩٨٢م، ص ١٠
١٦. الفلكلور الفلسطيني، ص ٣٤٨
١٧. العطاري، ٢٠٠٨م، ص ٢٦٤
١٨. محمد سعيد جبر، أفراحنا الشعبية: تقاليدنا ودلالاتها، مجلة التراث والمجتمع، العدد، ١٩٨٢، ١٦م، ص ١٠٤
١٩. بنورة، ص ١٢
٢٠. م. ن. ص ١٣
٢١. المرأة والأسرة، م. ن. ص ٥٥
٢٢. أفراحنا الشعبية، ص ١٠٤
٢٣. الفلكلور الفلسطيني، ص ٢٣٧
٢٤. العطاري، ص ٢٥٦
٢٥. م. ن. ٢٦٦
٢٦. انظر عيسى خليل محسن الحسيني، دراسات في الفلكلور الشعبي الفلسطيني، التراث الغنائي، ط ١، دار جريز للنشر والتوزيع، عمان الاردن، ٢٠٠٦م ص ٢١١.
٢٧. م. ن. ص ٢١٥

٢٨. انظر، م. ن. ص ٢١٦
٢٩. م. ن. ص ٢٢٢
٣٠. نخبة من الأساتذة المصريين والعرب المتخصصين، معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥، ص ٣٧٧
٣١. دراسات في الفلكلور الشعبي الفلسطيني ص ١٨٢
٣٢. فاروق أحمد مصطفى، الأنثروبولوجيا ودراسة التراث والمجتمع، دراسة ميدانية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٨ م ص ١٧١
٣٣. انظر بسير بورديو، ط ١٩٨٤م، نقلًا عن التبعية الثقافية (مفاهيم وأبعاد) ط ١ دار الامين، القاهرة، ١٩٩٩م، ص ٣٠١
٣٤. دراسات في الفلكلور الشعبي الفلسطيني، ١٨٣
٣٥. أحمد أبو زيد، الأساليب الشعبية دراسة تحليلية لأراء ويليام جريهام (سمنر) دراسات في الفلكلور، دار الطباعة للثقافة والنشر، ١٩٧٢م ص ١١٩
٣٦. دراسات في الفلكلور الفلسطيني ص ١٨٣
٣٧. سهام ترجمان، يا مال الشام، دمشق، ١٩٦٩م ص ٥٠
٣٨. هاني العمدة، أغانينا الشعبية في الضفة الشرقية من الأردن، الأردن، ١٩٦٩م ص ١٣
٣٩. عمر الساريسي، كلمات في المآثورات الشعبية، رابطة الكتاب الأردنيين، عمان، الأردن، ١٩٨٣م ص ٢٥
٤٠. دراسات في الفلكلور الفلسطيني ص ١٨٤
٤١. نهى قسيس نفل، فرحة الاغاني الشعبية الفلسطينية، ط ١، دار ورد الاردنية للنشر والتوزيع، ٢٠١٠م ص ١٣٣
٤٢. غوستوف دالمان، ديوان الشعر الفلسطيني، ج ٢، ط ١، دائرة الاعلام والثقافة، منظمة التحرير الفلسطينية، ترجمة نمر سرحان، بيروت، لبنان، ص ٤٦
٤٣. علي الخليلي، اغاني العمل والعمال في فلسطين، دائرة الاعلام والثقافة، منظمة التحرير الفلسطينية، ط ٢، بيروت، لبنان، ١٩٨٢م، ص ٦٥
٤٤. عبدالرحمن ياغي، حياة الادب الفلسطيني الحديث، ط ١، المكتبة التجارية، ١٩٦٨م ص ٢٦٢
٤٥. فرحة الاغاني الشعبية الفلسطينية، ص ١٧٨
٤٦. وليد ايوب، قصيدة مقهور، مجلة الزاوية، مجلة فصلية ثقافية، العدد ٤/٣، ربيع، شتاء، ٢٠٠٣م، رام الله، فلسطين.
٤٧. دراسات في الفلكلور الشعبي الفلسطيني، ص ٢٦٧
٤٨. جميل السلحوت ومحمد سائم شحادة، صور من الادب الشعبي الفلسطيني، ج ١، منشورات الرواد، القدس، ١٩٨٢م، ص ٣٦
٤٩. انظر للمزيد، دراسات في الفلكلور الشعبي الفلسطيني، ص ٢٥٧ وما بعدها
٥٠. انظر للمزيد، عبداللطيف البرغوثي، راجح غنيم السلفيتي، جامعة بيرزيت، ١٩٩٤ م، ص ٣٦٨ وغيرها.
٥١. دراسات في الفلكلور الفلسطيني، ص ١٩٤
٥٢. انظر للمزيد، وليد ابو بكر، القضية العربية في الشعر الشعبي الفلسطيني، مجلة الزاوية، مجلة فصلية ثقافية، شتاء، ربيع، ٢٠٠٣م ص ١٢٠ وما بعدها.

المصادر والمراجع

١. احمد ابو زيد، الاساليب الشعبية، دراسة تحليلية لاراء ويليام جريهام، (سمنر) دراسات في الفلكلور، دار الطباعة للثقافة والنشر، ١٩٧٢م.
٢. احمد ابو زيد، هوية الثقافة العربية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٤م.
٣. احمد رشدي صالح، الادب الشعبي، ط٣، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧١م.
٤. السيد حافظ الاسود، التراث الشفاهي ودراسة الشخصية القومية، مجلة عالم الفكر، مجلد ١١٦، العدد الاول، القاهرة، ١٩٨٥م.
٥. الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، المجلد الرابع، بيروت، لبنان، ١٩٩٠م.
٦. بسير بورديو، ط ١٩٨٤، نقلا عن التبعية الثقافية (مفاهيم وابعاد) ط١، دار الامين، القاهرة، ١٩٩٩م.
٧. جميل السلحوت ومحمد سالم شحادة، صور من الادب الشعبي الفلسطيني، ج١، منشورات الرواد، القدس، ١٩٨٢ م.
٨. حافظ الاسود، التراث الشفاهي ودراسة الشخصية القومية، مجلة عالم الفكر، العدد الاول، مجلد ١١٦، القاهرة، ١٩٨٥م.
٩. خليل حسونة، الفلكلور الفلسطيني دلالات وملامح، المؤسسة الفلسطينية للارشاد القومي، ٢٠٠٣م.
١٠. زينب حسن، الفلكلور الفلسطيني في بعده العربي، مجلة صامد الاقتصادي، العدد ١٤٢، السنة ٢٧، تشرين الاول، تشرين ثاني، كانون الاول، ٢٠٠٢ م
١١. سليم عرفات المبيض، ملامح الشخصية الفلسطينية في امثالها الشعبية، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠ م.
١٢. سهام ترجمان، يا مال الشام، دمشق، ١٩٦٩ م.
١٣. سيمون ديو رينج، الثقافة الشعبية والعولمة، الثقافة العلمية، ترجمة غادة سعيد الحلواني، العدد ٩٣، مارس ابريل، ١٩٩٩ م.
١٤. عبد الرحمن ياغي، حياة الادب الفلسطيني الحديث، ط١، المكتبة التجارية، ١٩٦٨ م.
١٥. عبدالقادر فيدوح، اغاني اطفال البحرين الشعبية، دراسة في التأسيس والتاصيل، مجلة الثقافة الشعبية، مجلة علمية متخصصة، العدد الثاني، البحرين ٢٠٠٨ م.
١٦. عبد الهادي عباس، المرأة والاسرة في حضارات الشعوب وانظمتها، ج٣، ط١، دمشق، ١٩٨٧ م.
١٧. علي الخليلي، اغاني العمل والعمال في فلسطين، دائرة الاعلام والثقافة في منظمة التحرير الفلسطينية، ط٢، لبنان، بيروت، ١٩٨٢ م.
١٨. عمر الساريسي، كلمات في الماثورات الشعبية، رابطة الكتاب الاردنيين، عمان، الاردن، ١٩٨٣ م.

١٩. عيسى خليل محسن الحسيني، دراسات في الفلكلور الفلسطيني، التراث الغنائي، ط١، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠٠٦ م.
٢٠. غوستوف دالمان، ديوان الشعر الفلسطيني، ج١، ط١، ترجمة نمر سرحان، دائرة الاعلام والثقافة، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، لبنان.
٢١. فاروق احمد مصطفى، الانثربولوجيا دراسة التراث والمجتمع، دراسة ميدانية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٨ م.
٢٢. فوزي العنتيل، الفلكلور ما هو ؟ دار المعارف، ١٩٦٥ م.
٢٣. فيصل دراج، الثقافة الوطنية والثقافة التابعة، من كتاب الشعبية الثقافية مفاهيم وابعاد، دار الامين للنشر والتوزيع، ط١، جمهورية مصر العربية، ١٩٩٩ م.
٢٤. محمد سعيد جبر، افراحنا الشعبية تقاليدنا ودلالاتها، مجلة التراث والمجتمع، العدد ١٦، ١٩٨٢ م.
٢٥. نخبة من الاساتذة المصريين والعرب المتخصصين، معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥ م
٢٦. نهى قسيس نفل، فرحة الاغاني الشعبية الفلسطينية، ط١، دار ورد الاردنية للنشر والتوزيع، ٢٠١٠ م.
٢٧. هاني العماد، اغانينا الشعبية في الضفة الشرقية من الاردن، الاردن، ١٩٦٩ م.
٢٨. وليد ابو بكر، القضية العربية في الشعر الشعبي الفلسطيني، مجلة الزاوية، فصلية ثقافية، العدد، ٤/٣، شتاء، ربيع، رام الله، فلسطين، ٢٠٠٣ م.

ملحق

نشوة البذار

﴿وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء

اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج﴾ سورة الحج الآية (٥)

لم تخطئ أذناي وهو جسي في مدار الأفق تدار
عندما قرع باب دارتنا
وتاهت قدمي في ردهات المفروض
أنا حمو رابي احمل وصايا نبوخذ نصر وأفكار آشور بنيبال
وقلبي يفوح منه شذا الفرات وعبير دجلة الأخاذ
نسدلها نلملم النظرات المكسورة وأهات الشحوب
نبلسم جروح الكنعانيات بموسيقانا وصهيل النخيل
والمزن الممطرة ترمقنا بكامل محبتها وعناق الجنين
اصف الغياب بدموعها وعلائق المكان
رحيق الشهب خيمت نرجساتها بين الغيوم
هواجس اليقين صارت سياجات الاستتار
يا هواه خيم في دموع الرواق
نداءاتنا تتجدد في الفصلين
الخريف والربيع يتجاذبان أطراف الحديث
الفكرة تخرج الصيف والغياب يدوم في الشتاء
زغرودة الضفدع تومئ أن الأقمار في الوادي تنادي الغبوق
التقاويم تتباين في بدايات التكوين
سقوط الأمطار يبهج الوثني والديني والعشاق
يا قلبي!!! الدين لله والوطن حاضنة للجميع
مطر الفتوح يديم البهجة في مواويل الرعاة
أوسمت دنيانا والخضر الخضر يتجول في المكان
في عيدك لد يشد الفلاح شد ويهزج المتعبون
شد شد قربت الرملة ع اللد ويتنادم الهلال والصليب في اليقين

ووفرة الحرث تنادم البربارة في الميزان
استعضنا عن الحوارات بالتحدي
شتي وزيدي بيتنا حديدي
يا وافدون لا تفرحون فشمس كانون مثل الطاعون
نسائم دمعها تروي عفيرنا في الميادين والخلال
والعدس يغدو للاولاد من فرط التجهم والغياب
وكن عند اهلك يا مجنون فزي كانون يستتر النسيم في الوصول
الجسم منفي عندما لا يكون الثلج ملح الأرض
والبذار الغطاسي قبل الأوان يكون في اللقاء
وشبط البذار في شباط يعانق الزرزور
الجدران المتداعية تسندها أغصان الطيون
والهواء يغادر مشاهدنا يحتمي برائحة الطليح والدحنون
والشومر يجالس الضوء الهارب من صنعاء إلى لبنان
والميرمية تعطر نوافذ منازلنا مع همسات الشجيرات
القرصعنة يلاشيها النعاس وتتقلب الصفحات
عصا الراعي ندمت ندامة الكسعي ومسرات الصغيرات
كان يكفي أن يقف الكناري منشدا مع نقار الأخشاب
يتلذذان بمذاقات القيقب وأزهار الزيزروق
في اللوحة تتشاءب الرجيلة والضرفحنة وبازيلاء الظنون
هنا المسافة تتوسطها الأبارة مع تسابيح البريد
لا احد عند الباب لان الغار يظلل الكرسة والهبيط
يا زكاة الجرن وخبز الطابون ورقائق خبز الصاج
بين أقزام العتمة احتمي برائحة التفاح الشامي والجنودول
المسافات ترسم العسيلي وعين أبي ناظم والمزrab
المحبون يتهدون قرن الخروف وخضرة الزعمطوط
أرى السنابل تغازلها مناجل الحصاد
تهزج الأيدي منجلي يامن جلاه يا مغمر يا حزين
ونغني خلف أسراب الصبايا بالقهقهات منعمين
مشين ما معهن حدا دادي دادي
ومشين على اثر الندا والبرادي
وتعيد النسوة ما اثر عن السابقات في الحقول
وتهلل بعد المواويل العديدة وتقول
لِي وَلِي يَا بِنِيَّة يَا وَارِدَةَ عِ الْمِيَّةِ
أَمَك وَأَبُوكَ قَالُوا عِ الْعَيْنِ بَتَمَلِي مِيَّةِ

نزلت على الصّفصاف تشرب حليب وصافي
نزلت على حلتها ربّي محلا بسمتها
وتتناغم خطى الصبايا وتنقلات الحور من الظباء
والذاكرة تعود إلى طروادة المتجددة في النسيان
الجرح البليغ في رأسي يمخر البحر ويقاقل عن يديّ
وأنا في ظلمة الليل ترقد الحوريات في موق العيون وتقول
شوك بلان وادراق وكرسنة ما تلين
تسمعنا جلبة أواني مبيض النحاس والقذور
معاطفها على مشاجب الفلاحين وعجائب العجائب
اسمع نداءها المكتوم وصياح الديك يعانق حلم الفلوات
من اليوم تعفرنا بعطر القرطة والذرة البيضاء والصفراء
أنا القمح -برمح رمح وفي ذكراي تنشغل اليدان
انه الصبح يرينا شعير الارقدي حالة القيام
والهاجس يضافحني بسبب بهجة البيادر ومهارات العتاب
وجرحي معلق فيه النجاد واحمرار الياسمين
وينطلق الغيط منشدا في حواف الوديان يقول
ثلث بنيات ع البيدر بكرييلن
يا هل ترى اتزوجن ولا كما هن
يلعن أبو إلي ضرب حمده وبكاها
وينجرف الضباب ببطء ويردف الموالم
يحباب يا حباب كيف الحال وكيف انتو
وحنا على حالنا ما اتغير إلا انتو
وياك وياك يلي اربيت أنا وياك
وان عشنا عشنا سوا وان مت أنا وياك
وانعطف السيل يردد لحن التلاقي وأصوات الحماة
من مصر يا زين مكتوبك لفي عنا
كل ما قرينا كن هالت مدامعنا
يا خاتمي إلي وقع في البير الورنة
ولي سمع رنتو موصول للجنة
وينطلق القلب بين يديك يعيش في روضات النعيم
عباءتك تتسمر في اللمعان والتجسيد تقول
الوردة تشبه الكردينيا والصفصاف واللبلاب
نهداها بلا حفيف تعانقاني في ضجيج الشرفات
اللوف يرصع ملابسه بالمرجان تنير دروبنا الركبتان

تتعري مع تنهدات البربين وتسدل شعرها الأخاذ
تنشد في حضرة الجالسين من الأحناف
ونالجاور البربين ع ألمي -عمن دوما منبوتو على ألمي
صديق ما يوافيني وأنا حي-اشبدي منو عند هيلات التراب
تبكي حليلة يئن قلبها تستجيب لها الرنة في حواف الوديان
ينكمش الجلنار نار في الصدى حياء الغزالي والعناب
أبنية مخرمة من جذور الموازي والخرطماني والبلوط
كانت شبابيكها مشرعة تستظل الحندقوق يغازلها القريص
لم أحن أحدا تقول -عندما وشوشني العكوب والخرفيش
والمرار لم يبق شيئا من آلام المفاصل والقودود
والحرارة التي لا تطاق تديم حلاوة الموز في أريحا العنود
الملوخية صداقاتها مع الزواحف والقوارض من بني الإنسان
اكلها يتحمل وزرها ولا ينظر في وجهها الصموت
عليك أن تدرك أن برتقال أبي صرة يستذاق في الخريف
والبوملي واليوسف أفندي واليافي الوسيم
كل الأيام تسمعنا لحن التلاقي مع الدوالي والياسمين
مع كل الصباحات أحو على صدرها وتكركر في فمي الحلقات
في جانب السور مطروحة أهدابنا تنمو في ثناياها عرى الجليل
تركض كالنهر إلى عمقي وندوب في قاعدة المعشوقين
نزرع أجسادنا في حضرتك أقحوان التذكار وصوفية العشاق
وتتناسل من دمنا تراتيل الغضب دروعا للشموس
وما زال اشتياقي ينتظر قدومها مثلما انتظر يوسف يعقوب
وأنا لقعد ع تل الحزن وابنين
ويلكي اظعونهم عني أمرين
وأنا لحزن حزن يعقوب ع ابنين
على يوسف شرب كاس العمى
والقلب لم يزل يعشق بريق شفيتها في كل الدورات
ونا لكتب سلامي ابشطر مكتوب
على إلي اصد يرها نيشان مكتوب
وأنا لدري نصيبي وين مكتوب
قبل ممشيت ودعت الحباب
السليقة والمدادية والهالوك والزنبق البري والبوصلي
تحرمننا لنعمة الفول والبازيلاء والقطاني في الألوان
العليق يعلمنا العناق مع تربة الأوطان وهمهمات الكواعب في الخدور

النارنج والذَّبْح والخص البري والزعرور
تعانق بوابات هذا الكون والفرار إلى النسيان
تنهداتها تحملني من نهر إلى نهر في عرى التكوين
علوم الهدهد ومضان الغراب والنملة المحتسبة من الجيوش
السلحف القواقع والحرياة المتلونة حسب مكامن الدهاء
تهز الحمص والماش في الصارود والحسناوات تهزج للحصاد
بوصلة الدم تبني أشرعة البطم والخروب في البطاح
الخافور يباري الطاعنين في أزمت السنين
ينزفون ملامح الخوخ والمشمش والدراق ومباسم الزيتون
النسمات ساكنة في عصائر المشمش والخروش
يغبطها الفوم والبصل والفقوس والخيار والقرع الأصفر والقشاء
حجارة الطابون من رصف الوادي المنسرب مع الراجلين
أكلات المسخن والمناسف والكرشات
والمجدرة والرقاق والعصيدة والسميدة والعدس الصحيح
تجمع الرعايا من أقصى الشمال إلى دالقات الجنوب
الثريد يتلألأبين الأصابع في البحار المسكونة في الأمعاء
الملاحم والأساطير تديم زخمها دير قلعا والعلالي وزنجر الأخاذ
تحت هطول الجراد يتسامى السماق مع جرحه في الوجوه
الشبوط والبنيات يلعبون وتجسد الدولة المحبة والفسنجون
التشريب مع الهبيط والدليمية والمفتول
المغربية يقابلها الكسكس في حوض المتوسط وأطلس الجبارين
من الرمال يصنع السويد سكونه الشمعي
والقبائل الأزلية تنماهى في صورة القنديل وصفرة زهره الأخاذ
وتبذر الحبائل في وجوهنا نضور الغبار
ويهبط العاشق مدننا يباهي العالم بالكاعب الحسناء
كحيل العين قاعد فاي عرقان
وخذو من لهاب الشوب عرقان
تعجب ياقلبي نهود كيف خلقان
شبه بيض مدحرج ع الوطى
وما زال يعانق الخيال المخنوق ويكتب الرحيل في الشموس
الهضاب وبطون الأودية في حضرة الوجوه
مهما خانتنا الجهات فالسدره تظلنا حتى الممات
ونا يا قاطع السدره عصاتي لا تعريها
فيها الخوخ والرمان امعلق في دواليها

فيها آيات العبد الله يا قاري كلام الله
خروبة المسبح وزيتونة العرايس والمحورة ولحظات الغياب
تنتشلنا من خبطة الغولة ودعسة بنت النبي والخواص
وتغني في جرسها المفتون الأكلح امهود ع العين بيلقط باذنجان
البحار مسكونة بلوعة الرياح وما تجلبه بطون الأودية والترية الحمراء
فوق الشفاه يرسم المصيص صهوتنا في البلور
العناصر تسقط الوجوه والموت الأبدي وصدى اهتزازات النهدين
الأعضاء المتوترة يبتنيها الفاقوع والسومة والصولجان
النبيص والقنفذ يعريان التكة في مدار السحالي والعصيات
الزلابية والعوامة لقمة القاضي مع زنود الست تختصر المسافات
أعواد الكبريت ونباشات الأسنان تستبق الحواس
في الغرفة الجسد لا تكترث به اليدان
حواصي بجرسها الصامت تهرول إلى بحيرات السكون وتماهيها البحار
نزلت ع البحر تغسل عفاها
مريض البحر من موجو عفاها
ولمن موجتو دخلت عفاها
تفت في البحر أصبح شراب
الحروف تعري الأسماء وتحتمي بليها العميق
شارات التذكار تشعل مصابيح الزرق في توتة الأدوار
شمسك بين نهديها اراها لم تعد كما كانت الأشياء
بلاطات الهواء وزنعر وبنات بر تقيم عسجدا في الوجدان
الصنوبر في الشعاب قادم من تلاويح البكاء
عراق افريق يقود الهموم يحتمي في ظلال أرز الأعماق
لم تعد الأشياء كما تركتموها يقول الكرمل في النهود
علك الماء والجرجير والكامر والمملوح
يسدلون ماتبقى من ذكريات على جذور سفرجلة التنوين
صابونة الراعي أو بخور مريم تتعامد مع رقة الأسود
لحاء الرمان والقرطم والزيفون وهبات أرز الباسلين
آه يا زهر الرمان حامل ع أمه غير أوان
العصفر والبسبس ونيلة الملابس لم تنزل تعمد المناديل
النيلين يظلل البياض والفضة وقبعات الجدران
في بلادنا لا حظوة للحناء وإنما المصريون هم المنشدون
ياظريف الطول يابو الميجنة
يا بو العيون السود شو بحبك أنا

يا هذه وعدونا بالورد وأعطونا الدفلى وهموم القلوب
وكرمال الورد يشرب العليق فكنت شفافة في العناق
لم يغلق احد الأبواب خلفنا فأحضاننا تبكي من اللقاء
ونا لصيح صوت يسمعونى
وبلك أحباب قلبي يسمعونى
سالت الداروين أمي وأبوي
قلولي سافروا ومحددا عاد
واد الزهور وماء الورد ومرى الورد وقلة الملقوف
ألوانها تستمد نسائم الإبطين وان لم تعانق في الغياب
الحلبة ومفاتن الحندقوق والبابونج والحبة حلوة واليانسون
تقتفي السواقي وتقيم الظلال في فراشات الحبور
نيران المواقد تعرفنا بالصندل وسياقات الغلايين
القرنفل معروف ونبيد العنب والمتشرد الوطواط
الصعتر والزعيتمان يقيمان في الشيخ مونس والمغار
الشيخ يعبر الدفء في مفاصلي تعانقني الرئام
الصبير والصبر الخضاري والتين الشوكي والجميز
الرند والجمار يتقدمها النضير في زنقات غزة وتنهدات الجليل
معروف للعيان أن السريس ماجن متشرد في الآفاق
ع العشب اليابس رمى جكيت ع العشب اليابس
محددا لابس مثلك حبيبي محددا لابس
على السريس رمى جكيت على السريس
قص الشليش علمني حبيبي قص الشليش
الجوافة تذرع الشوارع تمقت بيع الكلمات
هاهي هواجس السبانخ تتفتح بالشفرات مع المعدنوس
الكراث يقرع الطبول يرقص الصدور في أعشاش الأطفال
السلق يزين الاش معلنا ادعاء المعارف والقهقهات
الكاكا يهزج للجرذان تقضم الأسوار في قصر الأمير
البئر الأولى والمعلقات تتبارى مع سعفات النخيل
البندورة في مواضع القوة لا مساومة عندها ولا حتى الخنوع
الزعفران يعبر الدفء في الضروة الزاهية حول جيدها الأخاذ
نبضي يتقدمني كنفير العنبر الفواح في الالهوار وميسان
الشلب في الالهوار يصد الجراد الزاحف من الشرق والشمال
رياحي تثير الزوابع أعشاش السنام والجلخ الوسيم
الفيجيم يسحب بسط النهارات من تحت جداتنا المقعدات

النحل يبجل الملكات ويمقت الروائح الكريهة في النفوس
وتغنيني عاشقا أحب اللهو وأبدد التثاؤب في النهار
يطولك طول عود الزين لو مال
وشعرك حير الجدال لو مال
طلبنا النسب من أبوك ما رضي لا بفضة ولا مال
واشو الراي عندك والجواب
فتردفه بنبرات العشق تقول....
يطولك طول عود الزيزواني
قمح شامي خال من الزوان
تعال حط أختك لخوي بدالي
هذا الراي عندي والجواب
ومن رموش العين سوف أخط لك منديلا وضياء
أنثى الأرانب تلعب البلياردو مع الجري ومعشوقات الفصيل
عنب الثعلب يعطي الدوران في الحياة زهرها ارجواني فتان
أثمارها تشبه التفاح ومذاق الحلقات لايدانيه مذاق أو ضياء
التفاحات الإثيوبية تحاصر الأغوار وتستحم في الخردل من الآهات
أذن الدب أزهارها صفراء والسيقان مزغبة نجلاء
تهاجم العين يجلبها الدوار وتستقر في مسامعي غنجات التلاقي في العراء
التوت الأحمر يبزغ من الأدلاب النامية من الزيتون
الفلاحات تطعم زيوتها بمذاقات العناب وتهزج لفرحن الفيافي والطيور
وانجلت الغيوم لاهثة نحو بصل العنصل أزهاره بيضاء
بندورة الحيات توارت في الوقت ونفلة القطن كؤؤس الزهور
حيثما يبكي العاشقون تدغدغ مشاعرهم رجل الحمامة في المشاع
والصيادون في القصبات مع جذور البقدونس وقصب الربيع
اللفت والنعناع البري يجعلون بائع الورد في حال الهيام
يا طير طايير يا طير طايير
البيضة والسمر صاران ضراير
قولوا للسمر اتقص الجدائل
وقولوا للبيضة اتكحل العيون
أغصان الخروع تعانق الشمس وتبدي أسفها للظلال
على سلم الوقت يقضم البعير الشبرق وعيناه صوب السلال تحوم
زهوره وردية تحيطها بلاسم الأشواك
كالعيس في الصحراء يقتلها الظمأ والماء فوق ظهورها محمول
انتظرتك طويلا يا شوق فالصبير راوي الرعشة في الاقنان

ويبكي الحاضرون باسم الجليلة ودم كليب المسال
زهوره لؤلؤية تتشابه مع رجلي العنكبوت
عشبة الدبوة تسافر وتدمن الروح في الأحلام
ذاب الثلج والأضراس مشتاقا إلى الخشخاش
اعرني عينيك حتى اريك قرينك الدريس يتبختر في الحقول
رحيق مطبق الطير يشبه عسلة النحل في المدار
الشامة يزيل أدرانها حليب البوم وفي الحقول تتسع المسامات
وفسحة الغريزة تنهض قرنبيط الدجاج والطواويس تتهادى في المكان
دمها ثقيل و بذرة الكتان تحافظ على جماليات التربة والعنان
مشدودة إلى جني شمسة الراهب ونار الوجاق تجمع الشمل والخلان
يغازلها الكمون وإبرة العجوز تدغدغ اللمسات الحسان
العاشقة لايفتك بها شعر العجانز والحناء
وتدندن خلصة مع تنهدات الكرمل تقول
مرين ثلاث عا تل أبيب
وقلت يا شمس يا شمس غيب
حتى أدور على حبيبي
حبيبي وينو حبيب وينو
حبيبي نايم وامشقتق عينو
لشق البحر ونام في احضينو
وخلي الأرض تلعب دلعونا
على دلعونا على دلعونا
راحوا الحبايب ما ودعونا
وظلنا لم يزل يحبو في الدار يرضع الأزهار
القرطم يرمق الغياب ويرينا تزاومه مع الأجساد
البسوم لا يعرف الاحزان فالشفاه العاشقات تقبل وجنتيه
الخيالات تشعل في القلب نداء الاشتعال
يا الخلة ضياؤك بيزغ من رؤؤسك البيضاء
الخبيزة تدعو السراة إلى عشائها السري
تغني ترتجل العتابا تبتسم لها العذراوات تسويها باقات وانسام
اللفيتة ترسم قمرا على ثغرها يجليها الليمون والزيتون
لسان الثور يعانق الأميرات ويستميل الشعراء
الجرموم مر المذاق يطرد الطباخون سمه بالماء الحار في التكرار
الصليبيات والحويرة يرمقن الغياب بالابتسامات
الحميض بنهم البرق يلسع اللسان ويدر اللعاب في الخيال

السنيينة والركيبة تنتشل الوجوه من هاوية المدار
يا عرق الحميضة جبنة طرية تروي شهوة الفتيان
الرهبان يعجبون بالخرفيش والعلك والقرصعني والمرار
شقرق ليش منقارك محنا
نصارى ما ايسمو غير حنا
صدق من قال صدر البيض جنة
وصدر السممر نار املهلبا
الصحراء تنتشي بالعيون الزرق والسواق وعلك الماء
الدغيمس يزهو أرجوانيا ينمو في شقوق الصخور ترسمه مواويل الشفاه
رغم النهارات واللدّة المشتهاة ليس كثير الشيوخ في الحقول والأسواق
التمير الغرنوقي زهوره وردية أوراقه خضراء
الشحيم لم تلده الشجيرات في آذار يكتمل النضوج
ثومة العرب - الكراث والبلابوس ينتشيان من ظمأ الرمال
الفار ابيطلع حردان يتلهى في البقول البرية وجذور الأدغال
القول البري سكبك أبو لبن والجلاثون والحية الرقطاء
في مطارح العبور يترنح البقول بأغصانه في حافة الحضور
البلح وحليب النوق وأرغفة البدوي السمراء
تجعل الروح قريبة وان بعدت المسافات
تخرجنا إلى نمانم الحياة تحتمي بخيالاتها النجوم
البلان والنتش والصوفان يا ريتها ما بانّت في الأجضان
غريبة مسميات عين البس وحتمية خبز العذراء
سراج الغولة والخلة والعين الضوارة وسداسيات الأفاق
على ملاعب راسي أشرقت مبكرة أهدت الأنوثة للرهبان
الزؤفا وحبق الشيوخ تتهادى التوراة في وصفها الأخاذ
الريحان وزعتر الحمير يقفان طويلا عند شذاها السحري
يا ناس الله اكبر كل يوم صورة ابتتصور
حاملة ميرمية وقاعدة ادور زعتر
يا ناس الله اكبر ضحك عليهم كيسنجر
كيسنجر ضحك عليهم يا ناس الله اكبر
الجعدة تطارد الحمى من مفاصل الأطفال والشيوخ
الشيخ يجعل مراكبنا الخوف والماء ينشر أحزانه في الدنان
الحمحم يقيم على حواف الميادين والندا خنجر في القانون
حوض البحر الميت مرتع شجرة الزقوم وموج الجفون
يا سكرة المنحنى الفضى رجل الحمام ناعمة زرقاء

القرطم يتقمص سحر الغبار ويتشاءب من وجل الزعفران
الغالقة تندمل منها الجروح ويبنى الشاطئ حوافه في العنان
لسان الكلب عشبة الجروح تصنع فيزيائية القروح
الكزبرة والرشاد والكمون الأبيض تفيد لسعة الثعبان
الندى خنجر والنويعمة تجعل الجلود رطبة في الخلاص
الزنبق البري والبوصلي يعانقان المألوف عصفير السماء
اللوز والجوز والطقطاق و الحموي والنواعير تديم الدفع في حديثة وحماء
ينادمون دمي في لجة اغتراب الينابيع واهتزازات النهدين
استرق السمع لأهزوجة ترددها نسوة تختال الكبرياء
(من صحن المشمش لا تكبش دور على اللوزية)
البابونج يراقب الأطفال يسترسلون في قضم أظافرهم وهم يعبرون الطرقات
تتهاوى الأجساد متعبة إن لم يكن دواؤها زيتون بري
القزحة الحبة السوداء تتسع منها شرايين النماء وترتق عيون القلوب
الباخته ضد ا لزكام تتسارع محدودية عرجاء
المصطقرا ينقي الضم من البصر الشاخص في التكرار
القريش من العناصر الأربعين التي تغذي المرضعات
القضاب أحيانا يسبح يولي منه السل تاركا للمكان
تتوهج الخشمي تقوم اللثة والأسنان
الروماتيزم يوقع معاهدة الجلاء مذعورا من السذاب
القتحة والحنظل والمروحة والغار تديم مفعول السذاب
السماق ناكله مع الخضار نزين به صحن الحمص والكباب
الجلود تغير عريها أمامه يعانقها البيلسان والجلنار والرمان في شهر بان
المتنان صديق قروح الحمير راجلة تحمل الأطفال في الدروب
يتذوقون الموز أبو نملة يهزجون مصفقين
(حموي يامشمش بلدي يا مشمش ريحاوي يا موز خليلي ياعن)
اللوز والجوز والخابور يديمون المحبة مع الرطوبة في الصخور
منفية على صدري آهاتها كنهكة الأرض التي تنادي الرجوع
القريص يحارب النقرص وألم النسا والمفاصل في الدوام
الفضل الأسود والأبيض والأحمر والقرنفل والبهار الحلو
تطرد الارياح من القولون والأمعاء
الزنجبيل يهيم في حضنها البري ويشعرنا بالدفاء والامتنان
الخلنجان في فجر التعب يدوم العلاقة مع الأمعاء
جوزة الطيب احتكرها الهولنديون لوحيدهم يجلبها المعممون في المزاد
المحلب وزهرة القرفة وخميرة العطار

يدندن لحن التلاقي خلف غيمات الأمطار
قهقهات ثمر السكر ورأسها الماسي مجلوة البياض
الفضل والقطوني والبطيخ الأصفر وبامية أكرأ عز من التفاح والدراق
يا نوح ردد ما تردده النساء المتعبات
يا جارنا يا بو علي
والغول بطحن معي
والليل معنا طويل
والحب معنا قليل
ون خلص الحب بوكلك
البرتقال المر وقامات النساء زيد في جيب البحار
البادنجان ينادم البصل في المحاشي ورقة الأزمان
الأرز في لبنان مقدس والجليليون يعدونه رمز الجلال
العبره اسديتها طويلة صفراء
يقدهسها الفارس واللصوص والرهبان
الميس أرضعت ملوك الأرض والأمهات المقهورات
تنشد العذارى (ياتيس ماتشوف الميس)
الرمان تعشقه الأرواح يعانقه الدوم في الأوان
الأثل تعانقه القراسة وتفاح المجانين أزهاره سوداء
وننشد في أسربنا مع التمايل والأكف..
هي لله يا بو شوشة يابو حلاوة منفوشة
عبروا الفقرا ع الجامع لقيو الحصيرة مفروشة
قالوا انو إني فارشها قالوا البنت المقصوفة
قالوا بيش أنغطيها قالوا بورقة اللوفة
واللوفة مع الراعي والراعي بدو البيضة
والبيضة مع آجاجة وآجاجة بدها العلفة
والعلفة في العلية والعلية أمسكرة
والمفتاح مع بو صلاح راح اجبلنا تفاح
لهل البنات الملاح شمومات وهشومات وسرورات
والأجمل منهن كرومات ست البنات الحلوات...
أتراها تذكرني بالمواد تجلو ليلة الأحزان
وردة أريحا كف العذراء تتوجها النائحات في المدارات
عشبة القرقعة تلمع راحتها في الآهات والموروث
وردة البراءة تغازلها الحساسين عشاقها البناة
تلوح بالغمام وأذيالها الصفراء قدمت للحقول تاج الأكوان

الحمحم وشجرة الرب يباركها الهنود
تصفق في سماء الشرق مرايع البذار
يتعانق الشهران شباط وآذار
تنهمر الأمطار في المستقرضات بيزغ فجر التفتح والنسوع
تتدحرج حجارة الصوان وملح الغولة والهور الطنان
شباط يشد العزيمة يغازل آذار
آذار أبو الزلازل والامطارثلاثة منك وأربعة مني
لبيك يا ابن عم تنخلي دولاب العجوز افني
تنهمر الامطارمغردة شباط الخباط بشبط وبخبط وريحة الصيف فيه
أفيق ورنين شبقتها يعانق الدنان
في وحدتي كتبت ما سبق من مشاهد الفارس الأخير
بعائرنى البخيل ابكثر مالو
بخيل وراح للظلام مالو
يا ويل إلي انتخا وارجال مالو
بيموت وابخاطروا كيد العدا
أدخلني حبك الحياة راهنتني بالحبق البنات
اسمعي جيدا وقولي يقينك للممات
أنت خلاصي في الحياة إلى الحياة
بنت البخيل لا توخذها ابمالك
بيجي ابنها صقيع الذقن مخول
بنت الكريم خذها بكل مالك
بيع الرزق واضعن في هواها
وغبار طلع الرخاء يسوق آهاتنا ويعود الليل منشدا في الأفاق
حدرجي بدرجي نصب الدر جي
اطلعت ازورع الزرزور
لقفت الكف طلع يلتف
حيا الله بنات الشام
فيها الخوخ والرمان
فيها زاعقة العصفور
طلع الباشا بلا طنطور
طنطوروحايل مايل
حايل عا بنت الكردي
بنت الكردي اطلع وانزل
حامله إبريق الفضة

يافضة يا فضتنا
جيبى الكوز الجرتنا
والخابور يزدان برائحة الإبطين يعمد ابن طريف عنوان الجدال
سلام على زكريا المعمدان والعذراء مريم ويوسف النجار
والمسيح المعمد بماء المغطس والزيتون الضارب الجذور في الأعماق
سعات عمتنا تظلنا من يثرب منابت العز حتى أعالي الفرات
والعذراء مع الزهراء تعيدان عشبة الخلود إلى انكيدو ربيب القفار
وجلجامش لم يزل يحادث النفس في فلسفات التكوين
يطعم الكمة لجنود الفتح ويزرع المقيس
ويروي الأرض سيحا في بطاح دجلة ومرج ابن عامر والهضاب
ويديم حالات الدفع في المذرة والدقران والكربال والصارود
ولوح الدراس والرداد والحياسة والغريال
والزنجيل والقلادة والميزان والنير والسفاطة والشاعوب
البذار والعفير بعد الوفرة وسقوط الأمطار
هما السعادة والخلاص من الفاقة والحرمان
تنهمر الأمطار وتحيا الارض من بعد الموات
وفي ساعد سعود بدور المية في العود
والمريعية من بردها تثير التساؤل ويتحلق القوم حول الوجاق
والشفتان المعطرتان ترينا الألوان فيما يهزجه الصغار
حدرا بدرا قلبي سيدي عد العشرة
من ثلاث لثلاث طوق امطوق في البستان
نط الدم اطلع يا آفلان
ويأتي الربيع اكتمال المدار ويبزغ للناس قوس قزح
وكلما مرت خمسان الحياة هيا القلب أهازيج المرح
خميس البيض خميس الحليب خميس النبات خميس البشر
وسعد الذابح يدعو إلى ارتحال الينابيع وبيع الشذا
وسعد السعود ينير الدروب وسعد الخبايا يخيف البشر
كل ما مضى يذكرنا ان ليس لأسفارنا موعد
رام الله المبتلة برذاذ الهموم نجعلها في دنا العسجد نرجسا
البيرة تئن صوت العتابا يدوي الصدى في شارع السعودون
جبل لبنان يا عالي جبلنا
ومن دم العدى جبلناك جبلنا
عليم الله لو انركب المدفع على جبلنا
وانديرو تلا إسرائيل لنجعلها خراب

بلا فجر ولا مساء يتثاءب الاس وجلا من احتدامات الصراع
السماء سقف السجن للزيتون النبالي والرومي والظنون
الحب زهرة الشفقة يجعلني أقطع بين الدهر واشتعال المشيب
ياشفير هاويتي يقول الفلاحون إن لم ينزل القطر في نيسان
(المطرة في نيسان ابتسوى العدة والفدان)
يا ناقف الحنظل تحطمت دنيانا وتحقد بأهاتنا السيول والبركان
الجمال لاشئ يوقفه لا آهات السجن ولا حتى النسيان
آلاء غرفتي المعلقة مطوقة بأمواج الأحلام
كان الضجر والعمر سهمين يحميان نشوة الأمجاد وزهرة البيلسان
من كتفي وعيني يخرج السهم خلخالاً تقراونه في نهايات المطاف
كيف اصف الدنيا في مواسم الزيتون والقمر يضلل الباحثين عن فحوى الظلام
الآلاء تتقدمني نشرب الليل صدى سقوط الامتنان
تراني بعيدا قريبا اردد أحلام التمني ويندمل جرحها في الغياب
من أي العينين تخرج ذكريات فلفلة الجامع وسدرة الساحة والزنبق البري
قلبي ويدها الناعمتان يحرسان أنغام الطفولة من شعيرة الحياة
بكرة العيد وبنعيد ابندبح بقرة اسعيد
اسعيد مالوا بقرة ابندبح بنتوها الشقرا
والشقرا ما فيها دم ابندبح بنتو وبننت العم
لا تبحثوا عني فنهار الزيت مثل ما أصبحت أمسيت
أي مدار يستوعب هذه الروح وفقوس الحمير يطارد اليرقان
حماقة تخونني نفسي وأنا محتاج أن لا يشابهني الكلام
مشاهد للظل بوصلة حركتنا وها انذا أجرب الظلال
قلب صمتهاعيون اليوم تسلم اليدين لصوت يركض تحت الأجناف
الفليفلة الملونة تسرق عرق الخارجين من البستان
البطاطة الحلوة واللفت والشمندروالملفوف الأحمر والعنكبوت الحفار
والخلند تحت ردم الغرفة يدير ساحة الرقص عزفا بالجذور
إن كان لا بد فمضغة مما تتخايله الأسماك والحيتان البيضاء
الخروب البري ملاذا للصملى والدبابير الحمراء
قرون الخروب الخضراء تخثر لنا الحليب مقيقة ناصعة بيضاء
وبعد النضوج نصنع الخبيصة ورب الخروب يشرب مثلجا في الأفراح
يباهي عرق السوس وقصب السكر والتمر هندي يعشقه الصائمون
الدهين والقيمة والاش الأخاذ يعشقها الناس في النجف الشريف
الورد الماوي عدو لدود لحالات الخوف والرعدة الرعناء
العطارون في السوق الكبير والشورجة يقبنونه بالمشقال

الكاهن وطيور الكرم يتماثلون حيث الرحى تهزج للحبوب والحبور
أصوات الشنانير تلجم الحواجز تستظل شمعة مصارع الأجداد
السريس يفتش عن اللوعات في اتجاهات المتعبين
المزاريب في الكوانين ترجع الحلم في أول ناي شكا للصفصاف
اليرغول والشبابة يفتشان عن وميض وجهك الأخاذ
أي صندلينه أي منضلية
أي تون وايدس أكرس واسيدس
نسيو مضى عقل ما فش
أنا بي بي بو ما قل ادبو
أنا بي شيخة مصاري مفش
رحت عند النش قتل اصرفل القرش
قلي مفيش قتل الله يلعنك هل الوش
إعادة التطبيع وجه حضاري في لعبة طبيعة الافكاروالسموم
المسحال والطورية والقزمة المتلاثلة الأطراف
تصيح في السادة الزعماء نريد قبور الأجداد والأخوة من الخلان
يرد الساسة هولواكو وسماصرة مجلس الأمن راحو دون عنوان
في مجاهل الطرقات تجلد الذوات وتسرع الست المستحية إلى الانكفاء
وتحت جفون الأرض العطشى تعود مرفرفة إلينا شجرة المساء
ثمار الموعد المضروب مع سرب اطل من أبو عصب واللقلاق
وأصوات رصاصات العدو تجعل جفون الماء عائدة إليك
سئ الأخلاق من لا يتنسم انبعاثات عوثة الزمان
وولادة حالات التحكم لانبعث البدايات من جديد
من ضجة النهاروتثنيات الهواء نزين الأسنان والشفاه
الشتاء معنا وصفد دمعة الأصدقاء تهول لبسمتها الحقول
أنا غريب يا صفد وأنت غريبة في ممالك الضياع والأهواء
والآلاء سقف القصب يعانقه ورد الساعة يظلل الجدار
الرنند والضباب يركضان إلى زاوية الخطوب
دعونا نكون الزارعين لآمال الألوان
الشاعر يتسمر راسما لحظات التودد ومزاريب المياه
أخاصم الظلال والصواريخ لا تبطل متعة الشتاء
أعيش الكآبة في جامعة تقتل فينا شهوة التفاح
يا أيها العاري إلا من حفنة الاعتراف الأخير
كل النساء ثواكل إن بقيت على عرشك المتهاوي تصيح
أتلحق بالهواء النازل من بين الشفتين ونمضي في الانتظار

المطبق البري وغلضة المرأة أعلقها أوسمة الأرض والفريك
قايم الرايات يتدرج على الغريال يزين صدور النساء
من لمعان الشعر تنهم البحيرات رؤى الفؤاد ولم تنزل تقول
طلت من باب الشرق تلمع بديها
سيجارة يا خلق تلمع بديها
عليم الله لو مست الميت بديها
لتحييه لو كان ثلثين تراب
في بيتنا الوجاق يبدد عتمة الشتاء وقسوة العم مع اجتماع المحبين
لون الشتاء داكن كمهجة صاحب خوابي القمح والشعير
يجاورها صندوقة القطين والجرمعون في أكياس الخيش حزين
الجد يضع قامات القرع الأصفر على حواف التبن في القطع الجليس
وأنا مثل عصفور معدم اليدين في العراء أتنسم الباسمات
أخاطب البسيصة وحببات القطين في اشتهااء الروح لرشات البذار
النار في الوجاق قبرة تجعل الروزنة صديقة العصافير والطيور
والجد يردد الألحان يبدد شعورنا بالبرد والزمهرير
الدموع وحيدة رغم القهقهات ترسم أفاق الطريق
القصول ودق التبن والحفت تغدو وقودا لساسات الطابون
وها انذا اصنع معاطفنا لأعمارنا الصامتة وزخات المريعية الغبوق
مع الفجر تتحرك الدواب تغادرنا إلى حيث الحقول والنجم الساجد للرحمن
ولدينا عواطف حب تديم حلاوة الميخنا والموال
يا ميخنا يا ميخنا يا ميخنا
زهر البنفسج ياربيع بلادنا
زحلق حبيبي ع البلاط اوقعت أنا
الله معاهم وين مراحوأ أحبابنا
وهالوك الدار يكرع جهدنا حتى ثمالات التكوين
ونحن نصطاد أحلاما وفراشات الحقول
ونفسي تسير وتعثرات الفجر باحثة عن مقعدها المفتون بأقوال الرفاق
يتكلمون جيدا عن العيس التي يقتلها الظمأ والماء فوق ظهورها محمول
كل شئ في كوكبنا الصغير مذكرات امرأة وغانية هاربة بملابس الوقور
تين الضيل وزهرة القرفة والمحبب تجعل الإنسان يتحلل من صرخات الألام
جالس أمام التلفاز استذكر الحرمل والعاقول والائناس والارتشوك
رسمها محاط بصدى الرصاصات الباحثة عن البلوط والاسكي دنيا والجميز
في أمكنة شاردة تتبختر الكستناء مرحبة بالشتاء
بثقة الغائب اسيرفي دروب يظللها الابانوس وومضات العيون

في الأفق المبهم تحمل كتات القمح بعد جمع الأعمار
الأيدي تفضي بنا إلى حلق القمح والشياطين
والجمال في غموض الموج تئن تحت السنابل والشباك
وأنا احمل إثم البدايات تسائلني السنابل =هل ماء النهر هو النهر=
جسدي مجرى الأيام ورؤوس الكلمات تدغدغ الفقمات والدلافين على الصخور
وانداحت رذاذات الندى الكحلي عن سفير السنابل وغناء المحار
فتشني اللصوص طويلا يبحثون عن الدواة وصدى الكلمات في الألحان
تختار الفلاحات بما يردده الصبية في أيام الشتاء
تدخل إشعاعات الجرس إلى محافظ الصدور
يطير الرجل المفتون في الزهو يقلب الألوان
الجهر نتعلمه من الصبايا يقاذفنا الزمان في جزيرة الجمال
ننشد بلا فلسفة مع المنشدين
جماعة نزلوا البرية في فصل الشتوية
تكة وتنعشر حرذون معاهم ست اعصية
لقاهم تكة وصرصور في أيام القمحنطور
والشخدم لابس طنطور والبدلة عسكرية
زعلوا كل الحرذين على لبس الجرابين
والتكة بدها فساتين ع النمرة ألف ومية
فرفور ابيع تنانير ع قرة ازغيرة مكوية
اج الشخدم محامي على التكة مترامي
وقت شلحها الكلسون وراحوا ع الفرمشية
اج الصرصور محامي بتنعشر مجيدية
الجوائز تمنح للأفكار السيئة وللجنة على الحدود
وتبتسم النسوة والتيار يشترى أنشودتهن السرية في جزائر الثبات
ويجلس صاحبي مأخوذا برحيق الفرايك والقراقيش
واراه يولد ثانية مع كل لقمة يبللها من ضرع الشاة
والبكارى تهيم تحت الدوالي تخاطب الليل في جل الأوقات
=قل سرك اوابقه في جوفك أيها الليل وتقذفنا الذكريات
جرار الزيت المرصوصة تزحف على الأرض برجها السرطان
العسلية تقول للشربة والإبريق سأصبح ملكة والأرض من ملك اليمين
القبة والتقريص يتنادمان الأحلام على وشك الانقصاص
الوتر المشدود يتسلق ضحكاتنا يعلق القلوب على صواني القش والدندونات
يا قاطع الطريق دع ممرا آمنة لرحيلنا فالجونة تنادم رمل البحر والظلال
يا أيها الواردون اشتال القرنفل عبير جناك يلازمه أصوات القديسين

عرصات الديار وزنار بير الحمام ترتقي الليل بعد أزمنة الخفوت
تهرول ليعود البهاء إلى عين الزرقاء وصريدا وعين أبي ناظم والمزرب
الفوارة زابقت عمري المتداول بين رجال سوبا وعين الشجاع واللطرون
يا انخطاف شبابي وهو يظلل قصر أم راشد ويغور في التأجيل
طلت من باب الشرق زرعية ربي ما خلق مثل عزية
طلت من باب الشرق عصفورة الله ما خلق مثل ها الصورة
طلت من باب الشرق يمامة ربي يحميها تصلحل حالي
صفد يختصب بمداها حبي وكفي تورد البر من صنعاء
الآلاء والرثام جمالهن يزنبق الخطايا ومن شفاهن يطهر الصليب
يا طريق الصباقيم على الذنوب حتى وصلت فهاجرت مني الذنوب
رضابك صفد يحرقني اشتياقا وشوقك أمضى من اللهب
يا ظلال المحيا فاض النور منك فكنت في الأحشاء نارا ونور
يا...تنزرعين في فمي فأرى زعائف الروح في المرآة تضيئ
ومع قامتك يرتجف الليل ومن عينيك تنساب عيون الأرض في التقويم
وتسير القوافل من خلفك فتتحسر أمواج البحر على بلورك الأخاذ
لجج الوديان وفجر الملائكة وأبواق الهتاف السبعة وأعراق الصليب
كحمام نائم في راحتك وأسراب النخيل أطبقت أجفانها تطفئ الحريق
والفقع يلتصق بقرامي الزيتون وأطراف السناسل والحواكير
والصبية البلهاء يقتلون أنفسهم بمذاقات المشروم المسموم
يا قرون الغزالات أحرار عندما لا أراكن واقفات كالسنديان في السفوح
وها انذا اطلب الماء ولا أجد إلا انصهار الروح في مزاريب القدود
انتهت الصاعقة ولم تمت الجميزات بأرض غزة ومفارق النهود
وعندما تحمليني تترك الأرض الفستق يعانق شفاه العذارى والعيون
أيها العاشق الذي صدئت قدماء من أتلام الحرث وحرقت الشبرق والهبوب
العرايب وعيون الصل والحية الرقطاء والنشاب تعاضدهم في هدم ما نبتنيه
القرقود والشوكة وبيض العشر والعشرة الأواخر والنمورة والمعمول
السبلي والكمندار والضرم نباتات تزهر فرحا غذاء للنحل والملكات
الينبوت يزهر أربعين يوما في حضرة الملكات وتل الصافي مكامن العشاق
الزحيف ينير دروب النحل في تموز الثورة والفاقوع في الأكوان
الدبس والملبن والخائر والقمر دين تديم علاقة الود مع شهر الصيام
الحنديق يسود المكان والمسك والكعبان والروائح الأخاذة تهزج للزمان
=شامم ريحة حندقوق/أخذت عقلي هالي فوق /سوق إجمالك خي سوق
وتأتي حروف العمر الملونة المأخوذة بالتنوعات وآهات النساء
ويبزغ الجسد المتوهج بالق الأنوثة يرسمه البباي والتمر حنة العنود

والفلاحون على أحواض الأنهار يرددون لحن التلاقي وشهد الجرار
ينشدون =هر السمسسم عا الصندوق /بالله اشوي تاندوق/اطلع برى يلي فوق
ونراها تتراقص أوتارها السوداء في حلقات الندامة وبيع توابل القودود
خرزة البير تصبح ناي الخطوات وعمامة الطيور وضحكات مقصورة العزاء
ونكان راعي غنم شيب تغنيك وان كان راعي حمير يا علة تجيلك
العاري من الأشياء يشكل ضباب الخطوات ورسن الذهب في القيود
رقيمات السكون ينحني لها المزمار يساوي ظلها على سرير الكلمات
قلبي جمرات بملقط حاجبيها تصنعني كعكة وقت الشفاء
وهاأنذا امضي المشوار واسمح لك بالأناقة وقت الاعتراف
أدغال الشعيرات في جسدي الأخاذ تنحني لمستفقع الصفصاف والنقيق
أغصان اللبيد ترفع الأكف إلى الله تشكو الطرق الالتفافية وقسوة المستوطنات
المقر مرهف الحواس يمد الانسان بالماء وقت الحرمان
والبطاطة تشكل حلقة الوقت ومنبعا للجمال والخوف الجميل
الجهير ينشر أحزان الماء ويكون الرعاة عصافير الاحتمالات في المجهول
ويصيح ظهر القف أنا العاشق لزرقة السماء والمؤنس لعصافير المساء
يا طيور طايرة يا وحوش سايرة
سلموا ع أمي وأبوي قولوا اجبينه راعية
ترعى غنم ترعى سخول اتقبل جنب الزاوية
الندى خنجر غدا يطعننا به البغاة والمنتفعون
نشوة الماء واللحظات السريعة من المنحنى واغتراب الينابيع
تجوهر حافة الصحو من أيامنا والندى الكحلي يقول
يا اغزيل شرق شرقا راكب ع مهرة زرقا
يا اغزيل من مت أنا مين اقلي مرحبا
اغزيل على التبن بوكل ما بطعمين
يا شكال المرتينة قوصل هل الارنبا
البقلولة أو البستوكة كما يسميها الموصليون الرافضون كسهم الرحيل
تقول أه ما أجمل صوت الحب المنبعث من عيون عصافير الثلوج
خربشات يتولاها الأطفال تصبح خلجانا ملؤها الحياة
وهاأنذا تقيم في حضرتي مراهقات في مراجيح الدفوف
والقداح يقيم مع أحزانه بعد انتفاء حاجته عند المدخنين والطهارة
القوص ليس عطرا من زمان القبح يفقد حياته بالشاعوب
البطم تلتذبه اليرقات عبقه ينتشر في الأفاق يظلل المكان
السنديان يحمني من الداء وانفض من النوم علني اتقي الكابوس
غدا الوطن ينثر لحمي بعدما احتميت به من منافي الظنون

آه على زمن يسند الإنسان نفسه بوهج القبارة وحرارة الشيد
بي حنين للأرض البوار عندما تبتل أول مرة بزخات الخريف
العصافير لا أرها في بيوت يبتنيتها المقعدون هما وضلال
للصبح بشارات والعناقيد تقول لربيع العمر تعال
صفد تجعلني أعاني الموت ويردني الله إلى أرض تهيني الحياة
من زهو الزهر ينبت نيسان مفاتن القدود والتلال
إن لي أطفالا وحبا ولي في حبهم خمرو زاد
وأتوسد الحاضر عائدا من شهوة إلى شهوة نشوتها الجراح
سبت النور اوخميس البيض تلون فيه الأمهات والجدات أنواع البيوض
مع عيد القيامة تخضر الحواكيروتنتشر في مهادها الورود والزهور
تتعامد الألوان وتبهاى الصفرة والزرقة والحنون البنفسجي والد حنون
شقائى النعمان تنبثق جراحها ضاحكة من تربة حمراء
ترفع رؤوسها والندى يتلالا على أوراقها وعشقها يمتد إلى الصخور والصباب
السنابل الخضراء تعانق الشقائق مرة أخرى
وأجنحة العصافير تظلمها الهابطة من السماء
وعشيات الربيع تحتضن فضاءاتها اللازوردية رفوف السنونو عاشقة المكان
نظراتنا وشهقاتنا تتداخل مع صخب السنونوة مرة أخرى عابرة الزمان
الطيور المهاجرة تستحم بالرذاذ ودفء شعاع الشمس في بهجة الربيع
تتداخل رفوف العصافير مع أجساد الغيوم يداعبها الهواء
وما زال الرحيل طويلا يردد ما تتبهاى به النساء
على دلعونة على دلعونة راحوا الحبايب ما ودعونا
على دلعونة يا امدلعنية وصاروا يطلبوا في البنت مية
ولك يا عزب واملك مية دورع الأرملة وارحل من هونا
سماؤنا الزرقاء ترينا تقلبات حالات الغيوم من الخراف والحيتان والأقواس
البدر يجعل الغيوم مصطفة منداحة في أبهى حالات الجمال
وترينا القطن والعهن المنفوش تتألق من مباسمها الأصداف
حالات الصيف ترينا الطائرات الورقية تتماها بألوان الزخارف والنياشين
النقيفة تجعل العصافير حذرة لا تستقر في المكان
الدوري بجسده الصغير يحتل ثقب الجدران والمزاريب يبني الأعشاش
وديوك السمن تغري نثاها بما تجود الأرض ويكشفه المنقار
والسودة يسهل قنصها بعد امتلاء بطنها يتغشاها النعاس
السنونوة والاسكنضاضة تدور في مقطورات تسف أسطح البيوت
الحسون والزرقية والتويني يستطاب لحمها مع امتدادات الربيع
الحدة والبوعصب واللقائق والنوارس البيضاء تزورنا مع تداخلات الربيع

الزريق والهدهد والرقطي وحمام الجوختي وابدوا ريكم لا تبرح العمران
الشنانير تتهادى بجمالها تغبطها النساء المتبرجات الجميلات
ونحن نغني خلصة وللبنات جهرة بلا رياء اوجفاء
=مرت ما مرت ما مرت مثل الشنارة يا عالم فرت
وخبطت ع العشبة والعشبة اخضرت مطرح خبطتها نبتت حنونة
وسيقان الفاقوع تحتضن الديدان وأنواع اليرقات
وباليرقات نستجلب الطيور خدعة بعد وضعها طعوما في الافخاخ
وفي الصباحات الباكرة نعاود الكرة نضع الديدان سليمة في علب الكبريت
وتتردد في نفسي بقايا الناي تخرج من ثقوبه أجمل الألحان
التواريخ عند الرعاة والملاك تجعل الزراع يتجذرون في التربة مع الزمان
الرهبان يحاكون جمال الطبيعة في مزركشات الثياب
وسنت هيلانة تعشق عيونها النرجس وخفقات قلبها حمرة شقائق النعمان
والعازفون يوحدون زيهم والمنشدون في حضرة الرهبان
وقساوسة العرب يعيدون مجد الضاد في تراتيل الأحاد والأعياد
أليلك يثير مفاتن الصبايا وشفير الفجر يعانقها وردة في الأصيل
الخمري يقطع على مفاتن الروح ويفتح الحدود مع سراح الليل
شفتها تعشقها لسعة الرانج وحموضة اللون في السماق
من طيات ثوبها المشقوق تعبرني وتنغلق الشفاه على النهود
النعيم لا سكر فيه إن لم تتغشاني شهوة وجهك في العراء
أنا الطفل الذي يعتقد أن في عذوبتك سر الإله
وأنا لاعن عني فوق عني
على إلهي ابعده المحبوب عني
كذب من قال خالي مثل عمي
مثل الأب ما ايدل حدا
بيننا حرية العناق تحيل أصابعك نجومًا في السماء
كبتك يهندمني نياشين العيون تتداخل في ستائر التكوين
يريدونني ظلالا وأنت تريديني رمزا فريدا في ثنائيات التجريد
تنسابين شعورا بين أضلعي وأرسمك عصفورا من الحزن بريء
لولا هيامي فيك لكنت بقيت أهات غامضة التكوين
الشعر بعفويته جائع لمفرداتي تمر على شفتيك وقت الطباق
تصيرين له الوزن والحلم والشغاف والخيال والعاطفة سرجا للنماء
عفويتك تدير في الرأس نشوة النهايات وخاليل العذاب
أنا من ضحايا من يجلدون الروح ويعبثون بالرند حتى اليباب
تقدمت مفتوحة الحواس واشرب ليلك احملك في صدى الذكريات والصدود

يتحقق في لقائنا استعادة الروح وتستلقي في جروحي الجروح
وابوصافي يزرع المحبة في درب الدموع من داره إلى الخواص المنيع
تهزج الصخور فرحا مستبشرة بمقدمه الأخاذ
الصبية في الحوار يتهامسون يرددون قصيدة يلحنها الشعار في الأعراس
والشعبي على ربابته يصدح ويغني المواويل والأشعار
اسمعوا يا أمانة قصيدة كلها أخبارا عن بو صافي والحمارة
أبو صافي لقد سهر حتى يسرح ع الظهر
احمارتو ابتتهرقهر قهر ما أشقى منها حمارا
والصبح شد عليها واتبرم حواليتها
معرفش يركب عليها ضاع العمر يا خسارة
أشقى منها مريناش ابنها أورش الجحاش
الله يستر الله يعين قد ضعن مني الستين
أنا من التعب صرت أنين ونادي يا أهل الحارة
أبو صافي نزل ع الخلة ولحقو يابوقدلة
وأنا عزمي منحل خربتني السيجارة
يومنا مضى بلا حساب وتأخرنا عن الشباب
شعر راسي لقد شاب وقد أصبحت محتارا
الخرج والميات عن ظهرها واقعات
والخرج مني انغدا وانحرمت من الغدا
قصدي ما يدري حدا ولا أبوح بسرارة
أبو لظفي لقاهن قالوا الناس خباهن
لو بدوا خبيهن لكان في الأرض يخفيهن
أبو صافي لا تحتارا بو لظفي جمل هدارا
أبو صافي الله ايخليك بو لظفي أحسن صديق
ابينفعك في أيام الضيق لو خصمك عليك ثارا
يتلبسني الفرح عندما تعبريني في الخيال
وأهاتي مسرجة تتعمد بزيت الإيمان
حلاوة مبسمها الأخاذ تذيب لسعة السجان
من رموش عيون الالاس أخط لها ثوب التلاقي والعناق
تعيدن الحياة في اليدين وعناوين التراب
وترتفع اكف الأرض تنفجرين منها اذرع النماء
وارها مفتوحة الصدر إلى السماء تقاسمني حلاوة النسيان
هبي نزرع سحبا في النفوس ترشرش مباسمها الأوطان
بيزغ منها نغم وعسجد واليراع يحرسنا بلا انقطاع

وهمسات الواردات على الفؤارة والمزrab تعبق في المكان
يانجمة الصبح فوق الشام عليت الاجواد أخذت والأنذال خلّيت
نذر علي إن عادوا أحبابي لبيتي لأضوي المشاعل واحني العتاب
عندها تتململ الشّفاء وتكون الرؤى في مسيرة مولانا الموأل
ومطرة المساطيح تعيد النشوة في هيامات نفوس المتعبين
ورجع الصّدى يكون بين مبالزل الروح وعقبات اليقين
وتباشير الأمانى يأتي بها سنا شيرينها وحشرجات النجوم
وتعيش أناملها المبيتلة بالرمل على نهداث الربيع والموأل
ووقع سكون القوافي يردده الزعرور حتى لحظات همس الحنين

نادي ساري الديك

رام الله-فلسطين

٢٠٠٩/١٠/٢٤

مهداة لها، وهي بين نشوة الحياة، ويقظة قيثارة القلوب، تبذر الحرف ينبهر الياقوت

المؤلف:

ولد الدكتور نادي ساري الديك ببلدة كفر الديك، فلسطين عام ١٩٦١م. أنهى تعليمه الابتدائي والثانوي بمدارس البلدة، وحصل على الثانوية العامة من ثانوية الاخاء ببغداد، التحق بالجامعة المستنصرية عام ١٩٨١م، تخرج في قسم اللغة العربية عام ١٩٨٥م، حصل على الماجستير عام ١٩٨٨م، والدكتوراه من الجامعة المستنصرية عام ١٩٩٥م. التحق ليعمل في التدريس بجامعة الكوفة عام ١٩٨٨م، حتى نهاية عام ١٩٩٥م، وعمل في كلية العلوم التربوية - اناث منذ العام ١٩٩٥م حتى نهاية العام الدراسي ٢٠٠٠م، ويعمل الآن بجامعة القدس المفتوحة - فرع رام الله والبيرة التعليمي.

أصدر عدة مؤلفات منها:

- ١- محمود درويش الشعر والقضية - دراسة في شعر درويش ١٩٧٢-١٩٨٦.
- ٢- ما قالته غزة للبحر - دراسة نقدية في تجربة معين بسيسو الشعرية.
- ٣- الهجرة والانبعث في شعر صخر أبي نزار، دراسة في ملكوت الشعر والشاعر.
- ٤- علامات متجددة في الرواية الفلسطينية - الجزء الأول.
- ٥- أدب الأطفال من السومريين حتى القرن العشرين، دراسة نقدية تطبيقية.
- ٦- أثر الفكر في الشعر الفاطمي.
- ٧- جراحات حيفا عذابات الكرم - دراسة في شعر محمود درويش - ١٩٦٠-١٩٧١م.
- ٨- رائحة التراب (دراسات في الأدب والنقد) .
- ٩- نقوش بغدادية (نصوص إبداعية) .
- ١٠- أخوة التراب وهموم المكان (دراسات تأصيلية نقدية في الشعر الفلسطيني المعاصر) .
- ١١- الشهد واليعسوب قراءة تحليلية في الشعر الفلسطيني المعاصر من عام ١٩٩٣-٢٠٠٥م.
- ١٢- دراسات تأصيلية في الرواية الفلسطينية مع مؤلفين فلسطينيين آخرين، اصدار اتحاد الكتاب الفلسطينيين.
- ١٣- ظلال القيقب ومباسم الزيزروق، قراءات تحليلية في نصوص روائية فلسطينية.
- ١٤- مختارات من الأغاني الشعبية الفلسطينية (جمع وتقديم)

مؤلفات تحت الطبع:

- ١- وجع التراب ومحنة الإنسان: حياتي في بلاد الرافدين.
- ٢- نشوة البذار /نصوص إبداعية.
- ٣- ثورة في ظلالها القمر - نصوص إبداعية.
- ٤- صويحباتي في مدارج الروح /نصوص إبداعية.
- ٥- الرحي وندا الياسمين /قراءات نقدية في نصوص أدبية إبداعية /شعرية ونثرية.
- ٦- زهرة القبار وتنهيدات الروح في المرأة /نصوص إبداعية.

